كتاب

لطائف السمر

في سكان الزُهرة والقمر

أو

(الغاية في البداءة والنهاية)

وضعته وكتبته

أنا ميخائيل بن أنطون الصقال

(في مدينة حلب)

طبع بمصر سنة ١٩٠٧



المقدمة

نحمد الله تعالى جزيلاً . بكرة وأصيلاً .[١] ونشكره عدد انفاسنا على ما علمنا وأودى . حمداً وشكراً نتقرب بهما الى عرشه الاقصى . ونسبحه تسبيحاً طويلاً . تعظيماً له وتبجيلاً .

اما بعد فهذا كتاب فيه من طلاوة المجاز وملاحة المُرسل وحلاوة الاستعارة.ما يهذب الاخلاق ويروض النفوس وينقي الضمائر . وفيه من لطافة الكناية وحسن التورية ورقّة الاشارة . ما ينوّر البصائر . ويرقي الافكار ويطيّب السرائر : سميته بالغاية.في البداءة والنهاية:فأقبلوا عليه تجدوا فيه فوائد وآداباً . القاها عليّ والدي بعد رحيله عن هذه الدنيا فكانت عجباً عجاباً . وتجدوا فيه من الحكم والمواعظ . ما لا بدّ منه للحكيم والواعظ :

وقد قسمته الى تسعة ابواب الباب .الاول يشتمل على ثمانية فصول.

الباب الثاني يشتمل على خمسة عشر فصلاً .

الباب الثالث يشتمل على خمسة فصول

الباب الرابع يشتمل على ثمانية فصول ايضاً

الباب الخامس يشتمل على خمسة عشر فصلاً ايضاً

الباب السادس يشتمل على تسعة فصول

الباب السابع يشتمل على خمسة فصول أيضاً

الباب الثامن يشتمل على اثني عشر فصلاً

الباب التاسع يشتمل على ثمانية فصول أيضاً

---

(١) الاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب او العشيّ

الفصل الاول

من الباب الاول

في ترجمتي

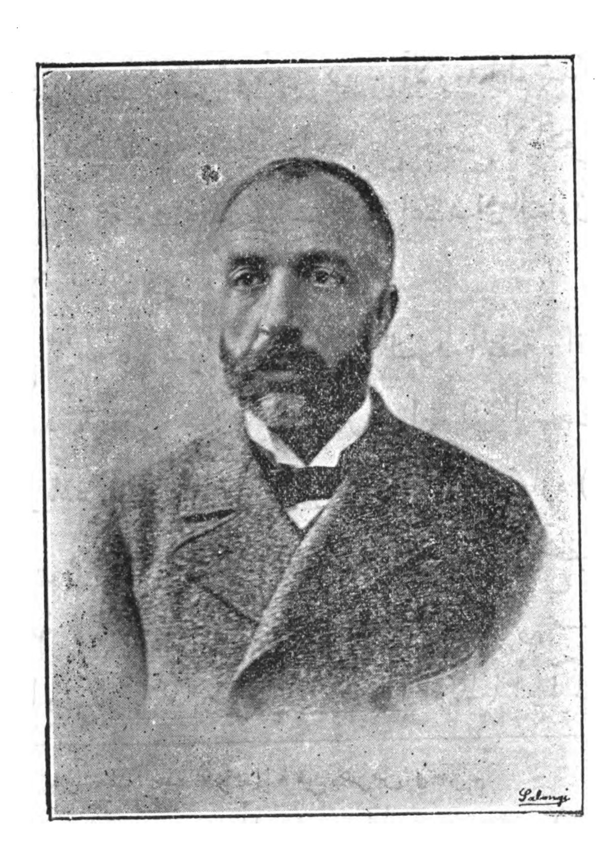
انا ميخائيل بن انطون الصقال ولدت بجزيرة مالطا في اليوم السادس عشر من شهر آب الغربي سنة اثنتين وخمسين بعد ثمانمائة والف مسيحية فلما افطمتُ (١) رحل بنا والدي الى مدينة حلب فجعلها محطّ رحاله .
وفي السنة العاشرة من عمري اقرأني اللغة العربية فاجهدت النفس في درسها حتى اصبت منها سهماً . ثم وجدت من نفسي ارتياحاً الى النظم والنثر فرواحت (٢) بينهما اواصل ليلي بنهاري الى ان اعتلّ بدني من الاجهاد.
وبعد هذا اتخذت الاقراء حرفة لي فأخذ بعض الناس يُعيرُونني ايّاها لانهم يَعدّونها دنيئة تحطّ من قدر صاحبها (مع انها لا تقوم بأود مزاولها في هذه البلاد) فتركتها كرهاً عني لا اختياراً لانها من اشرف الحِرَف واعلاها منزلة ولكن الناس لا يعلمون فان الاستاذ الصادق يهذب الاخلاق ويؤدب النفوس ويعدّ للمستقبل رجالاً صالحين مثقفين يدخلون المجتمع الانساني فيصلحونه بمعارفهم وآدابهم .
على انني لم انقطع عن المطالعة وقد ازددت رغبة في الشعر حتى احسنت نظمه وصرت احسب في عداد شعراء هذا الزمان . غير اني لم اقبل جائزة

---

(١) افطم الرضيع دخل فى وقت الفطام وحان له ان يفطم (٢) راوح بين العملين تناول هذا مرة وهذا مرة

وقد حذوت بذلك حذو والدي .

وفي اواخر سنة ١٨٩٦ رحلت الى الديار المصرية فرأيت في مدينة الاسكندرية اخلائي واصدقائي السادة نقولا كي وعزيز وباسيل سميان يريدون ان ينشئوا من ما لهم مجلة بمساعدة الكاتب الفاضل السيد يوسف شلحت فاختاروني مديراً فأنشأنا مجلة الاجيال الشهيرة في مدينة القاهرة . ولكنني بعد ان مارستها زهاء سنة ونصف دُعيت الى حلب فلم أرَ الاَّ اجابة الداعي



صورتي

اخلاقي

لقد منّ الله تعالى عليّ فخلقني دمث الخلق حسن السلوك محباً للوطن ودوداً غيوراً ثابتاً على رعي الولاء . أوْثر صديقي على نفسي وأدرأ عنه الشبهات ما استطعت . لا اقبل فيه لومة لائم . اتغاضى عن زلته واكتمها كتماناً شديداً حتى يعتقد من نفسه انني لم انتبه اليها واحمل على النفس ضيمها. اخفض له جناحي واجتهد في مجاراته كأن خلقي من خلقه فلا اخالفه الاّ فيما لا يجمل بنا وانا في ضمن هذا لا اغفل عن نصحه بعبارات رقيقة يُشربها ذوقه فلا ينفرمني بل يرتاح اليّ ويأنس بي . ألازمه ايام شدّته واواسيه واعزّيه . اذا قصدني قاصد تدمّت حاجته على حاجتي لا ابتغي منه عوضاً فاذا عانيت في معاونته مشقة خفيتها عنه لانني اعتقد ان التعاون فرض على بني الانسان لا منّة لهم فيه

لا اطمع في حطام الدنيا ولا ارغب في التفرد بالمنفعة . اقنع باليسير . لم اجعل للحسد في قلبي محلاً فكلما أرى اخواني ابتهجتُ بثروتهم وتمنيت لهم الزيادة . ارعى على الجار حرمته واذبّ عن ذماره (١)

لا يهمني من دنياي غير الفقير فكنت اساعده واسعى في تخفيف مصيبته بقدر الاستطاعة فاذا تمكنت من معاونته وافادته بتّ ليلتي مسروراً كأنني في زهرة الدنيا ونضارتها . اذا رأيت يتيماً أو عجياً أو لطيماً أو أيّماً او ارملة (٢)

---

(١) الذمار ما يلزمك حفظه وحمايته من عرض وحريم

(٢) اليتيم من الناس من فقد أباه ولم يبلغ الحلم . فان مات الابوان فهو لطيم . وان ماتت أمه فهو عجيّ . والايم من لا زوج لها بكراً أو ثيباً . والارملة المحتاجة أو المسكينة

او غريباً بائساً اغتممتُ

اقدِم اذا بدا لي وجه النجاة فاذا اقدمتُ لا انثني . اصبر على وثبات الايام بشجاعة وثبات واعلّل النفس بان الدنيا ليست بذات قرار فلا بدَّ لي من فراقها الى احسن منها . واعتقد اننا خلقنا للعذاب فيلزمنا ان نوطد النفوس على معاناة الشدائد والمكاره فاذا أصبنا من دنيانا سرور يوم كان تقوية لا بد اننا على احتمالها والاَّ قتلنا الغمّ .

اكره النميمة واسعى في اخماد نار الفتنة فاقرّب القلوب المتنافرة . امقت البطالة . اكتم السرَّ كأني قد نسيته فاصبحت من حذر الافشاء قليل الكلام لئلا يفيض الصدر على غير انتباه مني فرأيت السكوت اكتمَ للسر لان المكثار يعثر وهو لا يدري. لا ادخل مداخل السوء لئلا أُتهم بنقيصة.

أريد من الانسان العمل الحسن فلا يخطر ببالي معتقده . اقبل العذر واحبّ الصفح والحلم أمّا الذين غلبت عليهم اهواؤهم فاعتادوها والذين جُبلوا على خلق ذميم فأرثي لمصابهم ولا أؤاخذهم بل اتمنى لهم الاصلاح والخير لانهم لو استطاعوا لجعلوا نفوسهم احسن الناس فلا تصدر افعالهم الاّ عن اخلاقهم

لا اجد في الكريم الحسن الطبع مزية له تذكر فان خلقه الذي فُطر عليه (من غير ان يكون له به فضل) يلائمه ويساعده على الحسنات . ان الفضل العظيم لمن قمع نفسه واكرهها على اجتناب السيئات اذا كانت من سجيته .

مساويّ

لقد كبرتْ عليّ نفسي فصار الاباء فيّ عظمة . فاذا لسنني (١) احد وازرى بي نفرت وكدت اعدو طوري وشتمته بيد ان شتمي لا يستحيا من استماعه .

ماندمتُ على شيءٍ في حياتي قدر ماندمت على لطمة رجل مسن استخفّ بي فلم تمرّ على اللطمة دقيقة حتى شعرت بخطائي فصبرت بعد هذا على اهانته وسبه اياي اعترافاً باعتدائي عليه فأردت ان أصون نفسي من الاهانة فاهنتها بشراستي . والذي يؤلمني ان الرجل لم يكن ليقوى على ضربي فيتشفّى من غيظه فتركته منكسر القلب .

ومن هـذا القبيل اذا جادلتُ واستعان المجادل عليّ بالمواربة والمماحكة غضبت فأضعت برهاني بغضبي وانتهى بي الغضب الى الخصام .

اذا اعلمني أحد أقاربي أو احد اصدقائي ان زيداً اعتدى عليه ثُرت من غير ان اتروّى حتى لا يستطاع تسكيني فاذا تركت بضع دقائق عدتُ الى الحلم .

الفصل الثاني

﴿ في ترجمة والدي ﴾

وُلد والدي في اليوم الثالث من شهر آذار سنة ١٨٢٤. كان يعرف من

---

(١) لسن فلانا اخذه بلسانه وذكره بالسوء

اللغات العربية والسريانية والانكليزية والتركية معرفة تامة تكلماً وكتابة ويعرف كثيراً من العلوم والفنون العصرية القيت اليه من مدارس مالطا. ومن عين ورقة بلبنان. ومن حلب

وكان ناثراً محسناً. بارعاً فصيحاً. قوي الحجة مسموع الكلمة . صادق الرواية. رزين المجلس . وكان شاعراً مجيداً له ديوان شعر وروايتان ومن شعره قوله

معان تعالت عن ذكا كل فطنة ... مبان توارى كنهها[1] عن بصيرتي

شؤون ابت ان يسكن العقل غورها ... لذا لم ابت منها بغير السكينة

صروف جرت في كل فعل تقلباً ... كما فجّرت امواه بحر المجرة[2]

وذات تحاشت عن تحاديد حيز ... فحاشت حدود الكل في جمع حوزة

هي الحضرة العليا اتته رُب غافل ... تشوهت الافكار فيه اشهوة

برت كل ما في عالم الكون فانبرى ... لها قلم يجري بكل صحيفة

ومنها

فبعداً لها من اكلة آل امرها ... بأكلها يوماً الى شر هيضة

وليس لعاً[3] في سقطة قد تساقطت ... على جنسنا منها الرزايا بلعنة

فلذنا على جهل بواهن نسجنا ... وفزنا ولكن في عقول سخيفة

(١) الكنه جوهر الشيء ووجهه وقدره وحقيقته وغايته

(٢) المجرة باب السماء او شرجها سميت بذلك لانها كاثر المجرّ وهي في الحقيقة نجوم كثيرة لاتدرك بمجرد البصر وانما ينتشر ضوؤها فيرى كانه بقعة بيضاء والعامة تسميها بدرب التبان ودرب التبانة

(٣) يقال للعاثر لعاً لك دعاء له بان ينتعش ومعناه سلمت ونجوت

فرحنا ولكن ليس في حال يقظة　　فرُحنا كأهل الكهف في عمر غفلة
أأدم قد أغوتك حواء فاتعظ　　ومذ كنت مقداماً على الشر فاثبت
قضى الله ان تجزى بموت على الخطا　　فلا تكن المحتال في دفع جزية
وما كان مقضياً فليس لدفعه　　علاج ومن يقضي بعكس القضية
ومن ينقدِ الدنيا ولم يعتبر فما　　ارى فعله الاَّ بعين كايلة

وقوله

دنياك يا هذا ديار الزوالْ　　فلا تكن فيها كظمآن آل

ومنها

جئتك ابغي العلم منكِ وقد　　جاءك اقوام يريدون مال
فليتني كنتهمُ اذ غدا　　بك أهيل العلم خلف الرجال
وليتني لم ابقَ حتى ارى　　آناً تساوى فيه دون وعال
فآفتي معرفتي اذ غدت　　نوافج المسك بلاء الغزال

ومنها

ربَّ أصيحاب لقد حاولوا　　ان يجعلوا بدر اكتمالي هلال
ما بالهم لا أصلحت حالهم　　يرمون في قلب اليقين النبال
وهل يروع الوعلُ صمّ الصفا　　مناطحاً والريح شمَّ الجبال
والشمس هل نحطّ ان حُجّبت　　انوارها يوماً بنقع (١) القتال

ومنها

ياجيرة الحي بوادي الغضا　　من قد تمتعتم بسمر العوال
ما خلتُ أن يأتي زمان أُرى　　فيه مخلاً قانعاً بالخيال

(١) النقع الغبار

آه على حين تقضى بكم | في ارغد العيش وطيب الوصال
لا اتقي يوماً صروف النوى | كذاك لم يخطر فراق ببال
حتى جرى الدهر على غفلة | مفرقاً ما بيننا ثم حال

ومنها

عفواً الهي انني تائب | اقرع باباً فيه اسنى نوال
مطيتي اوقرتها بالخطا | وانني دانيت خط الزوال

وقوله من قصيدة ارسلها الى صديقه فرنسيس المراش

اقصاه طرف عن سناك كليلُ | فدهاه حتف من لقاك مهول
لاغرو ان شرق الذميم بكأسه | فقوارغ الدعوى لذاك تأول
واذا اللئيم أقلَّ فخراً كاذباً | فلقلما ارتضت الفخار فحول
واذا تصاهلت النواهق مرة | فلطالما اعترض النهيق صهيل
ارعى الذمام لمن يراعي ذمتي | والعهد عهدي لست عنه احول
لاتبلوَني في المحبة انني | بالروح سمح بالرياء بخيل

ومنها

اسفي لقد ضاع الزمان ولم يكن | احد لديَّ كما علمت خليل
لهفي على تلك الغدوّ وزهوها | لم يخشَ فيها للوشاة اصيل
ايام نرتع في ربيع نضارة | كم جرّ فيه للوفاء ذيول

ومنها

خذ من سواد الدهر شيئاً وامزجنه | بقلبك الصافي عساك تخول (١)

---

(١) خال الرجل ماله يخوله صار خوليا عليه ورعاه وساسه وقام به وتعهده يقال فلان يخول على اهله اى يرعى عليهم

وجريئة ساقت اليّ سؤالها   عجباً أفودك بالبياض شغيل
فأجبتها ماذا البياض بحادث   لكن حديثي في الطلول طويل
ذاك ابن مراش الذي من فضله   تُليت على اذنيك منه فصول
قد كان لي خلاً وفياً صادقاً   والى السوى ما كنت عنه اميل
ولطالما اقتحم الحسود مرامنا   فدهته من وادي الملام سيول
بطل اذ زحفت جنود يراعه   نحو العداة يقودها جبريل
ما زلزلت يمناه سهلاً راسخاً   الا ومنها للعداة تلول

تمت

وقوله

كم من غنيّ يرى ناراً على علم   ان قيل يصلح هذا قلت للرسن
وكم فقير علا بالفضل اخمصه(١)   مراتباً لم ينلها قط جهد غني
اني لارحم اعدائي وقد جهلوا   كأنهم لم يروا ما النار في القطن
غادرتهم ولهم عين مقرّحة   من السهاد ولي ملأى من الوسن
هم يشرقون بذكري عند وردهم   فيصدرون بين القطن والكفن
تمنوا الدهر بي ايقاع غائلة   انى لهم لم تكن في غفلة الوسن

وقوله

قرعت صروف الدهر صدغ تكبري   فرعت مواشي المطل نبت تصبري
وبدت جيوش الصد من غور الجفا   فاجأت منها في مضيق تحيري
وجرت بيادق مخبري بزرودها   ترمي سهاماً عن قسي تفكري

---

(١) الاخمص مالا يصيب الارض من باطن القدم،

انواه اشباح يلاطم بعضها بعضاً فرحت بها غريق تذكري

افعلت على اثر العراك عجاجة ثاوت بها الاخرى بافق تصوري

فجرت ثعابين (١) البروق صواعقاً فجرت لذاك بها جداول محجري (٢)

جثثاً أحجب من بلاي مكابراً وكباثري عظمت فضل مكبري

وأرود (٣) من قلب الضلال هداية كالمستجير من الدوار (٤) بعسكر

لا بأس مذ جاءت عبيلة يومها ان رحت من ليلي بحملة عنتر

وقوله

افدي محياً بمهجتي انطبعا وبدر تم بأفقها طلعا

وبارقاً من عذيب مبتسم مذ لاح لي مدمعي به همعا

وأعيناً في خراكها قدر فويل من راح فيه منصرعا

ومفرقاً فرق الغرام على قلوبنا فالضنى لذا اجتمعا

وحاجباً لا يزال منعكفاً يذود عن ورد مرشف سطعا (٥)

وقامة قامت الحدود بها للرمح هيهات من رأى ووعى

وطلعة تبعث السرور لنا كالنور تلقيه للورى شمعا (٦)

ووجنة فارسي طلعتها لما رأى حسن نارها وكعا

لو لم تكن ربة المحاسن لم يكن فؤادي لعزها الخضعا

فعقرب الصدغ ان سعت لعست (٧) وأرقم الشعر ان سعى لسعا

---

(١) ثعابين جمع ثعبان وهو الحية الضخمة الطويلة او الحية الذكر مأخوذ من معنى الجرى والسيل (٢) المحجر من العين ما دار بها وبدا من البرقع او ما يظهر من النقاب. (٣) ارود اطلب (٤) الدوار شبه الدوران ياخذ فى الرأس (٥) سطع البرق والشعاع والصبح والرائحة ارتفع وانتشر. (٦) الشمع جمع الشماع (٧) لعسه عضه

وليلة ما يحال ذكرها بفمي الا رأيت الفؤاد منصدعا
لبينه فيها صفاي وا اسفي مذ راح عني هناي منخلعا
كم زرتها والسماء عابسة نحوي وطرف النجوم ما هجعا
في ليل انس مضى بسجع هوى كل على غصن شوقه سجعا

وقوله

من قصيدة أرسلها الى صديقه نصر الله الحكيم النطاسي الفضال وقد كان رجلاً لا كالرجال

نحولي وسقمي فيه والف وواقر وودي وطير الشوق صاف وصافر
وهمي وبحر الحب هام وهامر وسؤلي وباعي فيه قاص وقاصر
لمن اشتكي ما قد تحملت من ضنى على أن كسري ليس لي فيه جابر
وما للنهى تنهى بأمر عن التي لها في بالالحاظ ناه وآمر
اذا ما الملت برقعاً تصدع الدجى بروق السنى منها فهي المحاجر

ومنها

اذا لم تزل في الحاكم تجفو ولم تزل حكيماً فنصر الله لي فيك ناصر
فتى ذو صفات صافيات يحلها عن الشين معنى فيه للعقل باهر
أحاط بحر العلم علماً أما ترى له في محيط العلم سارت بواخر

وقوله

— من قصيدة بعث بها الى صديقه الالمعي نصر الله الدلال

تطاوحت فيه صبابتي فعصاني وقليت فيه معنفي فسلاني

ومنها

ما كنت أدري العشق يفعل بالفتى فعل النسيم بأهيف الاغصان

حتى حثثت مطايتي نحو الهوى | ولويت عن نصح النصوح عناني
فركبت فلك صبابتي تيهاً على | لجّ النواح كنوح في الطوفان
يلقي رسول الفرع فيّ ضلاله | وأرى الهدى بتبليج القرآن
وأفر من أقداح أحداق الظبا | فأرى الفؤاد مراتع الغزلان
أغدو وقلبي بين وقع مناصل | وصليل هندي وهز سنان
فأروح بين جآذر بمحاجر | وكواعب بقواضب وحسان
ما لي وللعذال لا سلمت لهم | علل تقوم بفاسد البرهان
لكنهم أخذوا الجزا سلفاً فلم | يبرح حشاهم موقدُ النيران

ومنها

خذ بالذراع وخل عنك تطاولاً | مدّ الذراع لعاتق الميزان
فالدهر ميدان به دول النهى | تجري مع البرهان جري رهان

ومنها

شهم اذا ما استل سيف يراعه | شمت الضلال بخر للاذقان
ان يرض للعليا الرضى فلطالما | نزلت اليه تود منه تداني

تمت

وقوله

عسى للجفا عهد فيرجى انصرامهُ | فان رضيع الحب صعب فطامه
وهل بعد ذاك الصد كف لمدمع | لقد طال في تلك الطلول انسجامه
وهل ذلك الوجهُ المنيرُ بعيدَ نا | على كمد ام ظلّ يزهو ابتسامه
وهل تسمح الاقدار يوماً بعودةٍ | لتأليف شمل كان يحلو انضمامهُ
وهل ما تبقّى من حياة ذميمة | يعاوده صفو فيصفو اغتنامهُ

أساد تنا ما كان عهدي بحلمكم ... يجار على صب سلاه اضطرامه
أساد تنا تحلفتموني من الأسا ... ببحر من الانواء طال التطامه
أساد تنا ان تنكروا اجر عامل ... فان الوفا حق علي اغترامه
أساد تنا قد صان وجهي الهوى فما ... تبالي لذا ما شف عنه سقامه
اذا ما تناسيتم ودادي فان لي ... على الذكر قلباً لاعدا كم هيامه
فؤاد اذا ما واصل الطيف ساعة ... يغار له طرفي فيهمي غمامه
واقسى مصاب الحر ما لم يبح به ... واقوى الاعادي ما يعز اقتحامه

تمت

وقوله

أهيل الحمى تصبو لمرآكم عيني ١ ... فحتى م تبغون التجافي على عين (٢)
حفظت لكم عهداً على القرب والنوى ... ولكنكم مازلتم اصدقا عين (٣)
ألا ما فعلتم في فؤاد تركته ... لديكم غداة البين تحوذه العين (٤)
سقى الله يوم الحرش ما كان عهده ... سوى حلم قد مر في تلكم العين (٥)
ارى عهدكم كالآل يغوي اخا الظما ... وعهدي ٦ فيه دائم السح كالعين (٧)
ولي فيكم عين ٨ هجرت لمينه ... أعزاء من عيني ٩ او داء من عيني ١٠
كأني به قد عنت ١١ والحق شاهد ... باني لقاسي النكر صبراً على عيني ١٢

---

١ باصرتي ٢ فعل ذلك على عين اي تعمده بجد ويقين ٣ هو صديق عين اي مادمت تراه ٤ الناحية ٥ الجماعة ٦ الضمير عائد الى يوم الحرش ٧ مطر ايام لا يقلع . ٨ سيد ٩ أهل بلدي ١٠ أهل داري ١١ مجهول من عانه اي أصابه بعينه ١٢ أي على اصابتي بالعين

يكلفني السلوانَ عنه وما درى ... بأني فيه لا أميل الى العين ١
ولَوع ٢ به عن مسمع طالما اهتدى ... اليه على الآثار لكن بلا عين ٣
فلا غروَ اني عين ٤ من تعهدونه ... فلا الضرُّ يلويني ولا العذلُ من عين ٥
فرُشدي وودّي ذاكَ خاف وذا كما ... رأيتم على التجريب كالخالص العين ٦
وقد شاه رسمي يا لقومي فسائلوا الـ ... فتى تعاموا اذ ذاك ما ساء من عيني ٧
وقلبي الذي لم يخلُ منكم لغيركم ... غدا مسقطاً للواو والجيم والعين ٨
يُقلب من بلواهُ في كل قالب ... ولا قلب في قاب اتى سالم العين ٩
تجرَّتْ حياتي في رضاكم وليس لي ... نفاد من النعمى عتيد من العين ١٠
فأحيي الليالي السودَ حياً كميت ... تصبُّ البلايا فوق رأسي كمن عين ١١
تدور بيَ الاسواء لم ادر مأثمي ... وما لي اسعاف بذي الدار من عين ١٢
ودهري وقد انفقتُ دينار حظه ... يطالبني بالاصل منه وبالعين ١٣
فيا ايها الدهر الخؤون الا ارتدع ... على انني ما بعتكَ العينَ بالعين ١٤
فعينُ الهوى دمٌّ ١٥ وآخره دمّ ... ومعظمه ايل فما فيه من عين ١٦
لعمري هم الاعيان للعيش خضّع ... جثياً على عين ١٧ اذلاء للعين ١٨
وفيين في المكيال والعينُ ١٩ شأنهم ... يجودون بالأرواح فضلاً عن العين ٢٠

---

١ الرقيب والجاسوس ٢ فاعل يكلفني ٣ حقيقة الشيء المدركة بالعيان او ما تقوم مقام العيان ٤ اى نفسه وذاته ٥ كبير القوم ٦ الذهب المضروب خلاف الورق .

٧ منظرى ٨ حرف العين ٩ عين الفعل عند الصرفيين ماقابل العين ١٠ العتيد من المال اى الحاضر الناض ١١ مصب ماء القناة ١٢ واحد الاعيان للاخوة من أب واحد وام واحدة ١٣ الربا ١٤ اى حاضراً بحاضر ١٥ دم فلانا يدمه دماً عذبه عذاباً تاماً وشدخ رأسه وشجه وضربه والقوم طحنهم فأهلكهم ١٦ شمس او شعاعها ١٧ نقرة الركبة ١٨ للنظر ١٩ الميل فى الميزان يقال فى الميزان عين اذا لم يكن مستوياً ٢٠ الدينار

يروّون في حقل الاماني بذُورَها بتسكابِ دمع سال كالماء من عين١

تمت

«وقوله»

لاتسلني عن غرامي وشجوني وهيامي
ومقامي ٢ بديار لم يكن فيها مقامي ٣
وليال قد تقضت في انين واضطرام
انما سل عن سلوّ ي حب من خانوا ذمامي
جاز من جازاك يا قلـ ي بقطع وانصرام
واعتزل من خان عهداً واخل من سوء اتهام
واكسرنّ الرجل تسعى نحو محسار اللئام
خلّ خلاً لايرى ما بين حلٍ وحرام
وانظر المرمى كرام تسمُ مابين الكرام
واقل من قدلاح سامي تنجُ من حد الحسام
يالحى الله زماناً قد تقضى كالمنام
ومناماً بت فيه شاكياً حر الاوام٤
كم اراعي النذل حلماً وهو مشتدٌ الخصام
وألين القول لطفاً وهو فظ في الكلام

وقوله

زعمت سعاد الشيب شائبة الفتى وبدت تمازحني وأي مزاحِ

(١) ينبوع الماء . (٢) اى اقامتى (٣) اى منزلتى (٤) الاوام العطش

قالت لقد وافاك يفسد صالحاً فأجبت بل بفساده اصلاحي
لما رأى الغيد الحسانَ علقنني وأطلن في التضييق كان سلاحي
فرجعن عني خاسرات بعدما برّحن بي وأطلن عهد كفاحي
ولوى برأسي في ظلام حنادس نحو الصباح فقلت يا مصباحي
فأفقت من سكري بصهباء الهوى وعرفت كيف يكون عيش الصاحي

وقوله

ما مال صبكم منذ الصبا وصبا (١) وفي مقام النوى لم ينتعش بصبا (٢)
وما شكا من تباريح الهوى نصبا (٣) الا ولاعب اثر النازحين صبا (٤)
رقت عواذله من شارخ وصبي (٥) مذ آل لا يأتلي في حبكم وصبا (٦)
كم بات في الوصف موصوفاً بوا طربا واليوم بالفضل معروف بوا حربا

ومنها

يا فيلق الذل قد أفلقت (٧) عن حنق لا ثار تطلبني فيه ولا نشبا (٨)
خفض فما أنت في المسعى سوى وكل (٩) ما نلت في خفض أعلام الفتى أربا
فالبيض في راحتي تبكي متى ابتسمت والسمر تقطر في بحر الوغى لهبا
هل تبرزنّ حيالي ١٠ بعد ما شهدت عيناك من همتي الاهوال والعجبا
أدبر فما أنا من ترجى مذلته يا طالما قد ألفت الضرب والندبا ١١

---

(١) صبا الرجل مال الى الصبوة اى جهلة الفتوة واللهو من الغزل ومنه التصابي والصبا. والصبا ايضا الصغر .وصبا اليه حن وصبا الى فلانة مال اليها ٢ الريح المعروفة (٣) النصب التعب (٤) شوق (٥) شرخ الصبي صار شارخاً اى شاباً (٦) آل اقسم. ويأتلي يترك. والوصب المرض والوجع الدائم (٧) الفيلق الجيش والداهية. وافلقت اى جئت بالداهية (٨) النشب العقار او المال والعقار او المال الاصيل من الناطق والصامت (٩) الوكل العاجز الذى يكل امره الى غيره ١٠ حيالى اى قبالتي ١١ الندب الرشق

وانزل بساحة ذاك القصر مقتصراً (١) وأنزل الضر في مولاه والعطبا
ذاك الذي يغمر الآفاق فاحشه من وقبه كلما ساجي الدجى وقبا (٢)
فهو الامير الذي يمتار امرته (٣) بماء وجه به ماءُ الصبا نضبا
مذحل من كرماء القوم من عرب فناءه صاح كل القوم يا نسبا
أمير قوم خلت من هامهم همم كما خلت راحتاه الري والهلبا (٤)
قوم اذا جد في الآثار طالبهم ولوا الى حيثما مقدامهم هربا
أو أرهجت (٥) باديات الريح مقبلة تصايحوا دونكم نحو النوى أهبا
قوم يرون الوفا عاراً ومنقصة والصدق خسراً ونقض العهد مكتسبا
تأبى المروءة حلاً في ديارهم مذ بات ذو العرض فيهم يشتكي سغبا ٦
ألحقت بالقلوطين ٧ الدأب واخجلي اذ خاب زند اقتراحي فيهم وخبا ٨
ولا تشاكل ذوي الطغيان لو عظموا وان علوا فوق أرباب الهدى رتبا
في حبلهم حطب ٩ الشيطان يشطنهم ١٠ يمد منهم لنيران القضا حطبا
يقريهم ١١ النار لا يدرون انهم يمسون فيها جذور ١٢ الغي والخشبا
قولوا لمن سامني ١٣ في حلفه حلفاً ١٤ لا سالمته الليالي كيفما انقلبا

---

(١) اى مكتفياً به غير متجاوزه الى غيره ٢ الوقب مصدر وقب وهو الاقبال والمجيء . ووقب الظلام على الناس دخل وانتشر ٣ امتار لعياله أتاهم بميرة والامرة الولاية . (٤) الهلب كثرة الشعر (٥) ارهجت السماء همت بالمطر ٦ سغب الرجل سغباً جاع . وقيل هو الجوع مع التعب . وربما سمي العطش سغباً وليس بمستعمل ٧ مثل مشهور وهو يضرب لكل غائب لا يرجى ايابه ٨ اى خمد وطفىء ٩ الحطب النميمة ١٠ يشطنهم اي يشدهم بالشطن وهو الحبل ١١ اى يضيفهم ١٢ جذر كل شيء اصله والجذر اصل شجر ونحوه جمعه جذور ١٣ سامني كلفني ١٤ الحلف مصدر حلف والعهد والصديق يحلف لصاحبه ان لا يغدر. والحلف كل يمين

فالبدر ان تم حيناً دار منحرفاً ... اذ انه لم يزل للنقص مصطحبا

انت العزيز ولا مصر تسود به ... أنت الشريف ولا نعت ولا لقبا

انت الهمام الذي لا بأس يصحبه ... أنت الحسام ولكن ان ضربت نبا «١»

اوسعت ما تدعي شأناً ومعرفة ... فأين وسعك مما تدعي نسبا

زلت خطاك من العلياء مندفعاً ... حتى انحدرت لوادي الهون (٢) منجذبا

طوق الحمامة (٣) وافاك الهوان فكن ... وقفاً على النوح ما هز النسيم أبا (٤)

هذا حجابك رياح الهتك يصدعه ... اي والذي ابدع الاكوان واحتجبا

دعني وشأني وكن ما أنت كائنه ... فلست عندي بعين العقل غيرهبا

اليك عني زنيم القوم ملتحفاً ... مآزر العار مما لاق أو وجبا

ما افتر ثغر وليد الصبح مبتسماً ... وما اكفهر (٥) محيا همه غضبا

وما شدا عندليب (٦) السجع في رطب

وماجنى الصب من غرس اللقا رطبا (٧)

وما تردد في صدر الفتى سبب ... يزيد منه على أوتاده سببا (٨)

يا تائهاً في خلا دنياه تقذفه ... فيها الاماني المنايا لا يرى اللجبا (٩)

«١» نبا السيف عن الضريبة كل وارتد عنها ولم يمض «٢» الهون الخزي. «٣» الطوق حلي للعنق يحيط به. وقوله طوق الحمامة منادى للتحقير «٤» الاباء البردية والقصب (٥) اكفهر النجم بدا وجهه وضوء في شدة الظلمة ٦ العندليب طائر يقال له الهزار يصوت الواناً ٧ الرطب كل عود رطب وهو جمع رطب . والرطب الرعي الاخضر من بقول الربيع ومن البقل والشجر . والرطب نضيج البسر قبل ان يتمر . والبسر أذا انهضم فلان فحلا ٨ السبب والوتد هما من علم العروض ٩ اللجب الهياج والاضطراب والصياح واختلاط الاصوات

أوعرت ١ ثم وعوراً لو تبطنها ٢

أبو الفوارس ٣ أو معن ٤ الحبا لحبا (٥)

فهاك نهج الهدى ان شئت تركبه ‏ ‏ ‏ ‏ ياحبذا خير مركوب لمن ركبا

تمت

وقوله

أزجت ٦ زنوج الليل شهب ٧ الصباح

لما توسمنا الوجوه الصباح ٨

وقد علا البلبل في أيكه ٩ ‏ ‏ ‏ ‏ يهيج فينا الوجد والالتياح

ينساب صافي الماء فوق الحصى ‏ ‏ ‏ ‏ يوضح داعي الشوق أي اتضاح

والطير اذ مالت بعيدانها ‏ ‏ ‏ ‏ أغنتك عن عيدان ذات الوشاح

والطل ١٠ فوق الماء يبدو لنا ‏ ‏ ‏ ‏ كصدإٍ يعلو صقيل الصفاح

فنحن من زهو الصبا والصبا ‏ ‏ ‏ ‏ نشتم ريحاناً ونشتف ١١ راح

فاقطع بموسى ١٢ العزم فرعون من ‏ ‏ ‏ ‏ ما زال نحو الغدر قاسي الجماح

---

١ اوعر السالك وقع فى وعر من الارض ٢ من تبطن الوادى اذا دخله ٣ كنية عنترة بن شداد البطل المشهور ٤ هو معن بن زائدة بن عبد الله المشهور كان من اجود العرب ٥ الحباء العطاء .وحبا الرجل مشي على يديه وبطنه . وحبا يحبو زحف قبل القيام ٦ ازجاه ساقه ودفعه ٧ الزنوج جمع زنج وهو جيل من السودان واحدهم زنجى . والشهب الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها سكن ضرورة ٨ الصبيح الحسن يقال غلام صبيح ووجه صبيح جمعه صباح ٩ الايك الشجر الملتف الكثير والغيضة تنبت السدر والاراك او الجماعة من كل الشجر حتى من النخل الواحدة أيكة ١٠ الطل المطر الضعيف او اخف المطر واضعفه او الندى او فوقه ودون المطر ١١ اشتف ما فى الاناء شربه كله ١٢ النبي موسى وآلة من حديد يحلق بها . الفرعون التمساح . وفرعون لقب كل من ملك مصر او كل عات متمرد

وقوله

أعابوا عليّ أبحري لا جهالة ولكن لما أجريتها من عيونهم
فراحت تقاطيعاً باحشائهم أما ترى النوم مخبوناً جفامن جفونهم

وقوله

لو أنصفوا الوغد اللئيم لما هجو ه وقابلوا الشهمَ الكريمَ بمدحه
فكلاهما طبعٌ ودون غِياره تجديد خلقهما وناضحُ رشحه

وقوله

ابى الحب أن يجدي محباً سوى التلف
ألا انه بحر فحدث ولا تخف
يرى فيه أهلوه سكارى كأنهم
أولو الكهف لا يدرون ما مرّ أو سلف
تخل الهوى واسلم بنفس عزيزة
وحسبك ان تعتاض من واسع الشرف
وقد جاء نصحي قطر نيسان اذ غدا
ببطن الافاعي السم والدر في الصدف

وقوله

شققتم سويداه فغاصت بحبكم
كما شقت الاقلام كي تحمل الحبرا
وذاب على التبريح وجداً فجربوا
سبيكاً هوا كم كان في ذوبه تبرا



صورة والدي

وكان صياداً ماهراً . وموسيقياً اطوب بأكثر المطربات العربية والاعجمية وفنونها في ايقاع حسن . ومهندساً اشتهر بالاعمال اليدوية

وكان باراً باهله وجيرانه . عرفه بالنزاهة في معاملاته . وذكر أيضاً بالامانة ورد الحقوق الى اربابها فاذا حكم عدل وانصف غير متردد . يحب المساواة . اجتهد في ازالة خرافات كثيرة من عقول كثيرين . وهو احد رجال النهضة الادبية الاخيرة في هذه الامصار فرغب اهلها في المعارف وحبب اليهم المجلات العلمية والجرائد فتثقف كثيرون منهم

وقد كان رصيناً ثابت العزم سباقاً غايات . لا يبارى في مضمار . ولا يستصعب صعباً اذا طلب ادركه غير هياب ولا محجم

شهد مواقع من حرب القرم سنة ١٨٥٤ وهو الترجمان الاول لقائد

الجيوش الانكليزية حينما قامت دولتنا بريطانيا العظمى تنتصر للدولة العثمانية العلية . وفي الجملة كان من الرجال الذين لم يقدرهم الزمان حق قدرهم

لما دنت ساعة والدي الاخيرة سألته عن معتقده فأجاب انني اعتقد بل أشعر من وجودي بان الله تعالى موجد الكائنات وهو يجازي خلقه بحسب اعمالهم . فقلت له التمس أن تعدني بأنك اذا ارتحلت عن هذه الدار تتجلى لي وتخبرني بما ترى وما تعلم فقال اذا استطعت فعلت وسأفعل ان شاء الله تعالى . وبعد هذا أوصاني بحفظ وصاياء الله لفظاً ومعنى مع حسن تأمل وتفهم ثم احتضر (١) وآخر كلمة قالها «الموت صعب» وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٨٨٥

الفصل الثالث منه

في رؤياي لوالدي

لما كان اليوم السادس عشر من شهر آب غربياً سنة احدى وتسعمائة وألف وهو اليوم الاخير من تسع واربعين سنة مرت عليّ في هذه الحياة الدنيا وهي السنة السادسة عشرة من وفاة والدي جلست بعد طعام الظهر وانا في الدار وحدي افكر في الكون والخليقة حتى حرت في امري واخيراً نعست وغفوت ٢ فعاينت والدي مقبلاً عليّ وهو في بهاء ونور لا يستطيع

(١) احتضر الرجل على المجهول حضره الموت فهو محتضر اى قريب من الموت

(٢) قال الازهرى غفا الرجل غفوة اذا نام نومة خفيفة . وفى الحديث فغفوت غفوة اى نمت نومة خفيفة . قال وكلام العرب أغفى ، قلما يقال غفا

بشر وصفهما فخررت لذقني استر بصري براحتي لئلا يخطفه نور محياه. فدنا مني ولمسني بيده ورفعني فتلذذت بلمسه تلذذاً لم اشعر بمثله كل حياتي . ثم أمرني ان اجلس فجلست في الحال لا أخشى تأثير نوره في مبتهجاً برؤيته

وقد لاح لي انه كبير الجثة ضخمها عريض الاكتاف . طويل القامة في حجم عشرة رجال. اما حسنه فلا تجشمني وصفه لانه ليس من المستطاع ان اعرض نفسي له. فاذا شئت قلت على سبيل التقريب من باب المجاز لا الحقيقة: انه بينه وبين الانسان من الجمال والابهة اكثر مما بين الفتاة الحسناء والقرد الهرم

فرميت بنفسي بين يديه اقبلهما فضمني الى صدره وقبلني ثلاثاً مع انني لم اذكر انه قبلني قبل ذلك مرة واحدة ثم انه اجلسني الى جانبه وقال الا تذكر وعدي اياك ساعة احتضاري اني اظهر لك بعد رحيلي واعلمك كل ما أرى واعلم. ألم تلتمس مني هذا فقلت له اتذكر ولكن لماذا تركتني نحو ستة عشر حولاً فاجاب اعلم يا نجلي انه لما فاظت (١) نفسي حملتها مركبة برقية فمرت بها مرور البرق تقصد السماء الثالثة حتى وصلت مدينة القضاة وهي اعظم مدينة في الزهرة.فتذكرت انني وصلت الى مدينة هي مسقط رأسي وانني من سكانها يقيم بها اهلي واصدقائي. وهناك دخلت نفسي في جسم ارقى من جسمي الارضي ولكنه دون اجساد سكان الزهرة فتيقنت انني معاقب لا يحق لي ولا يسمح بان البس الجسد الذي يلبسه البار

ثم ادخلني بعض القضاة المدينة فوجدت اقاربي وخلاني يباصرونني

(١) فاظ الرجل مات وفاظ نفسه تقيأها اى قذفها من جوفه او اذا ذكروا نفسه قالوا فاض بالضاد وحكى الكسائى فاظت نفصه وفاظ نفسه يتعدى ولا يتعدى .

وهم في خجل واستحياء من جسمي الذي هو جسم الآثيم المغضوب عليه

وبعد دقائق اوقفني القاضي في مجلس القضاء الاصغر. فاذا هو قصر عالي الاركان فسيح الجوانب في روضة غناء بها من الثمار الشهية ما لم ير مثله آدم في فردوسه . وكانت المياه المختلفة الالوان تتدفق ولها خرير يروق السامعين .

وهنالك ابصرت ثلاثة من القضاة الشيوخ في اكيسة تمتاز عن لبوس الاهالي . وهم جالسون بعضهم بجانب بعض . فالجالس في الوسط مكتوب فوق رأسه بأحرف كأنها نارية « الحق » والجالس عن يمينه مكتوب فوقه « العدل» والجالس الى يساره مكتوب فوق هامته «الحكمة»

فأمرني الجالس في الوسط وهو أكبرهم بالاصغاء والتفهم أولاً ثم بقراءة هذه الكلمات الثلاث فقلت له بعد ما ائتمرت أمره اني تصورت الآن امامي كل آثامي وجميع كبائري.. ولكني أستغيث برحمة ربي وعفو مولاي أنا أسير الوصمة (١) وعبد الشهوة . لقد جنيت على نفسي فاستوجبت هذا الجحيم . لقد أسأت الى خالقي الذي أحسن اليّ . لقد خالفت أحكامه ونشرت آثامه . يا ويلي ويا فضيحتي من هذا الموقف الرهيب يا لهف قلبي على ذوي قراباتي وأودائي الذين تواروا عني خجلاً واسحياء. آه لقد عراني العار وأخزاني الخزي . عفوك يا الهي عفوك يا كريم

فلما أتممت هذا الكلام تراءى لي في صدر المجلس لوح كتب فيه ما يأتي «لقد كانت توبتك غير كافية لتبريرك فحكم عليك بأن تقيم بمدينة التكفير في القهر عشرين سنة . فاذا أصلحت نفسك بتوبة صادقة قبل مضي هذه المدة

---

(١) الوصمة العار والعيب والنقص والتكسير والفتور والكسل في الجسد .

نظر في أمرك »

لما انتهيتُ من القراءة قال لي القاضي الاكبر تصبر ولا تيأس من رحمة الله تعالى ولا تفتر عن حمده وشكره . نخرجت من المجلس وانا لا اقوى على التأمل بل المح لمحاً . يعذبني الخجل ويؤلمني العار حتى وصلت باب المدينة المعدّ لخروج المذنبين منها فركبتُ المركبة البرقية فوقفت بي بعد نحو دقيقة أمام رتاج (١) مدينة التكفير فدخلت خادعته وانا كئيب حزين ضيق الصدر موجعُ القلب دامع العين محني الظهر ترتجف اعضائي من هول دخولي ومن هول ما رأيت .

لقد رأيت في غرفتي التي أغلق بابها عليَّ جميع آثامي وكل كبائري مجسمة ابصرت كثيراً من اولئك الرجال والنساء الذين شاركوني في المعاصي وهم باجسامهم الآدمية

هذا يؤنبني وذاك يعنفني . هذه تتظلم وتلك تشمت . فكان لي من ذلك عذاب شديد ليس في وسعي وصف بعضه . وحسبي أنْ اقول لك انك كنت سألتني عن حالتي دقيقة فراقي الارض فكانت كلمتي الاخيرة : الموت صعب : لاني عانيت ألماً لا كالآلام ووجعاً لا كالاوجاع كلها ومع هذا فان عذابي في غرفتي هذه كان أشد عليّ وأعظم من تلك الساعة التي خرجت بها روحي من جسمي . والذي كان يزيد في تعذيبي هو انني كنت أتصور سكان مدينة القضاة وهم في غبطة وسرور . فمكثت على تلك الحالة عشر سنين وانا أصلي وأستغفر الله تعالى من ذنوبي ليلاً ونهاراً .

(١) الرتاج الباب المغلق وفيه باب صغير . والخادعة الباب الصغير في الباب الكبير وهو الذي تسميه العامة بالخوخة .

وبعد هذا أتوا بي الى علية في روضة فيحاء فيها من الازهار والثمار ماتطيب به النفوس وتقر العيون . فزالت عني تلك المخاوف والمناظر المبكتة والصور المعذبة وبت في راحة وسكينة الا أنه كان يؤلمني ابتعادي عن سكان الزهرة وخصوصاً عن مدينة القضاة .

اما شغلي فقد كان التعبد والاستغفار والاكراء (١) فشعرت بعد هذا بأن الله تعالى اقتبل توبتي هذه الثانية الصادقة وندامتي الكاملة الخالصة لان العدل اقتص بما لحق مني .

لما كان اليوم الاخير من السنة الخامسة في سجني بغرفتي الثانية بشروني بالعفو الكريم فألبسوني جسدي الذي كنت ألبسه في الزهرة قبل انزالي الى الارض ثم علوت مركبة الابرار فسارت بي تقصد المدينة العظمى٢ حتى اذا دنوت منها خرج كل السكان الى استقبالي يتلقونني بالازاهير والرياحين وهم يترنمون بالنشائد الخصوصية المنظومة للقاء التائبين

وقد كان في مقدمة المستقبلين رئيس المحكمة العمومية التي كنت فيها قاضياً وذلك قبل انزالي الى الارض فضمني الى صدره وقال لي: لقد أمرني قاضي القضاة أمراً من عند الله سبحانه وتعالى بأن أعيدك الى منصبك : فدخلنا المدينة وقد زينت لي زينة اذا وصفتها لاحد لا يدرك لوصفي معنى

منها ان الناظر يبصر المعبد الاكبر قائماً في الهواء والخلق يسبحون الله في أعلاه ويرتلون وهو وكل من عليه نور في نور . تخرج منه طيور تختلف ألوانها اللامعة وهي تسبح الله وتشكره عني .

---

(١) اكرى الرجل سهر فى طاعة الله عز وجل . (٢) اى مدينة القضاة

وكنت أراها ترُكب ١ وتقبض جناحيها ٢ وتتكركر ٣ وتنزل عليّ وهي ترنّق ٤ طوراً وتعِمّ ٥ تارة وتدوّم ٦ مرة وتحوت ٧ قائلة بلسان واجد وكلام فصيح : هنيئاً لك يغفر الله عز شأنه وتأوف بعباده ، ثم تعقّي ٨ وتثقب ٩ وتضرب ١٠ فتكسر ١١ غيرها اجنحتها وتخوّي ١٢ وتقلولي ١٣ وبعد ذلك تسفّ ١٤ وهي تقول «يا أيتها الخليقة بشري القاضي العظيم بعفو ربه اني الله تعالى غفار الذنوب» ثم تهفو ١٥ وتهيذ ١٦ وتحلّق ١٧ وتصفّف أجنحتها في السماء ١٨ وبعد ذلك تجثم ١٩ وهي تجرس ٢٠ وتنبص ٢١

(١) ركب الطائر نهض للطيران . وقيل تهيأ للطيران (٢) قبض الطائر جناحه جمعه . وقبض الطائر وغيره اسرع في الطيران والمشي (٣) تكركر الطائر تردد في الهواء . (٤) رنق الطائر ترنيقاً رفرف فلم يسقط ولم يبرح . وترنيق الطائر على وجهين احدهما صفه جناحيه في الهواء لا يحركهما والآخر خفقه بجناحيه . والترنيق كسر الطائر جناحه من داء أو رمي حتى يسقط (٥) عمّ الطائر تعميماً رفرف على الانسان ولم يبعد (٦) دوّم الطائر تدويماً حلق في طيرانه ليرتفع في السماء او طار ولم يحرك جناحيه (٧) حات الطائر على الشيء اي حام عليه . (٨) عقّى الطائر بتشديد القاف ارتفع في طيرانه وعقت العقاب ارتفعت وعقّى للنسر ارتفع . (٩) ثقب الطائر لحق ببطن السماء (١٠) ضربت الطير ذهبت وذلك اذا سافرت تبتغي الرزق . (١١) كسر الطائر جناحيه ضمها يريد الوقوع . (١٢) خوّى الطائر بتشديد الواو اذا ارسل جناحيه ويقال للطائر اذا أراد أن يقع فيبسط جناحيه ويمد رجليه قد خوى . (١٣) اقلولى الطائر وقع على اعلى الشجر . (١٤) اسفّ الطائر بتشديد الفاء دنا من الارض وطار على وجه الارض . (١٥) هفا الطائر اذا طار . وهفا الطائر بجناحيه اي خفق وطار . (١٦) أهيذ الطائر اسرع في طيرانه (١٧) حلّق الطائر بتشديد اللام اذا ارتفع في الهواء واستدار . (١٨) صفّف الطائر جناحيه في السماء بتشديد الفاء بسطهما ولم يحركهما (١٩) جثم الطائر والنعامة والخشف والارنب واليربوع لزم مكانه فلم يبرح حتى تلبد بالارض . وقال الجثوم بمنزلة البروك للابل . (٢٠) اجرس الطائر اذا سمعت صوت مره (٢١) نبص الطائر والصيد والعصفور نبصا صوت صوتاً ضعيفاً

فقرش ١ غيرها وتهدهد ٢ وهي تعطب ٣ وتملح ٤ ونحن نسمعها تقول :
« يا أيها الذين أحبكم الله تعالى فخلقكم سبحوه معنا واشكروه على عفوه
وغفرانه انه تواب رحيم »

وقد كان الحمام يهدر في تماريده (٥) ويسجع ويرعب (٦) هذا ظليم
يجفل ٧ ويهقو ٨ ويصوم ٩ وهناك ديك يبرئل ١٠ ويكركر بالدجاجة ١١
وهي تقرقر ١٢ وعصفور ينقد الفخ ١٣ يريد ان ينقد الحب منه ١٤ وقد
اصابه الحضب ١٥

أبصرت هدهداً يبقر الارض ١٦ ويحوم ١٧ لينغب ١٨ وأبصرت
بازاً يجدف ١٩ وغيره يلف رأسه ٢٠ والتفت فرأيت بلبلاً يرصع أنثاه ٢١

(١) فرش الطائر رفرف على الشيء (٢) هدهد الطائر قرقر (٣) عظب الطائر حرك زمكاه بسرعة. والزمكى منبت ذنب الطائر او ذنبه كله او اصله (٤) ملح الطائر كثر سرعة خفقانه (٥) التمراد بيت صغير يجعل في بيت الحمام لبيضه فاذا جعلت نسقاً بعضها فوق بعض فهي التماريد . وقد مر دها صاحبها .

(٦) رعبت الحمامة رفعت هديلها وشدته (٧) جفل الظليم ذهب في الارض واسرع وهو الذكر من النعام (٨) اى يعدو (٩) صام النعام رمى بذرقه (١٠) برأل الديك نفش برائله وهو الريش الذي يستدير في عنقه . فاذا نفشه للقتال قيل برأل وابرأل وتبرأل (١١) كركر بالدجاجة صاح بها (١٢) قرقرت الدجاجة رددت صوتها فان قطعته قيل قرقت (١٣) نقد الطائر الفخ بمنقاره اى نقره (١٤) نقد الحب لقطه واحداً واحداً (١٥) الحضب هو سرعة اخذ الفخ العصفور (١٦) بقر الهدهد الارض نظر موضع الماء وهو طائر ذو خطوط والوان كثيرة منتن الريح طبعاً لانه يبني افحوصه في الزبل . والافحوص والمفحص مجثم القطاة وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه اى تكشفه وتنحيه لتبيض فيه (١٧) حام دار حول الماء من العطش (١٨) نغب الطائر حسا من الماء اى شرب (١٩) جدف الطائر طار وهو مقصوص كأنه يرد جناحيه الى خلفه . (٢٠) الف الطائر رأسه بتشديد الفاء جعله تحت جناحيه (٢١) رصع الطائر الانثى

وغيره يرصع عشه بالقضبان ١ وورشانة تنقر موضعها ٢ ودجاجة تورض ٣ وقطاة تطرّق ٤ وأخرى تحضن بيضها وبطة تنقر البيضة عن الفرخ ٥ وقد كان القطا يثور من مجثمه ٦ وقد كنت انظر كثيراً من الطيور ترجع ٧ وقد ظهرلي ان أجنحة بعضها تطَّرق ٨

ولقد سمعت غلماناً ينبصون ٩ وسمعت أيضا جرس ١٠ بعض الاطيار . وشاهدت صبياناً يجفلون اليمام ١١ عن اماكنه واولاداً يعيثرونها ١٢ والعجب كل العجب انني كنت اعاين البعوض وانا اكاد اشعر انه يبعضني ١٣ مع انه لاوجود له في الزهرة

وكنت ابصر الجراد بعينيّ هذين يثور ١٤ ثم يبشر الارض ١٥ هذه جرداة تسرأ ١٦ وتلك ترزّ ١٧ الى غير ذلك مما يحار به العالم اللبيب . وقد كانت هذه المناظر صناعية وليست بطبيعية فتعجب من براعية مخترعينا

سفدها اى نزا عليها (١) رصع الطائر عشه بالقضبان بتشديد الصاد اى قارب بعضه من بعض ونسجه (٢) الورشان ساق حر وهو ذكر القماري والانثى ورشانة (٣) نقر الطائر الموضع بتشديد القاف سهله ليبيض فيه . (٤) ورضت الدجاجة بتشديد الراء وضعت البيض بمرة . ورخمت على البيض ثم قامت فباضت بمرة . وفي الصحاح قامت فذرقت بمرة واحدة ذرقا كثيرا . قال ابو منصور هو تصحيف والصواب ورصت بتشديد الراء (٥) اى تنقبها (٦) ثار القطا من مجثمه اى ظهر (٧) رجعت الطير قطعت من المواضع الحارة الى الباردة (٨) اطرق جناح الطائر بتشديد الطاء التف ولبس ريشه الاعلى ريشه الاسفل (٩) نبص الغلام صوت بشفتيه عند تزويج الطائر بانثاه (١٠) الجرس الصوت (١١) اى يطردونها (١٢) عيثر الطير رآها جارية فزجرها (١٣) بعضه البعوض عضه وآذاه ولا يقال في غير البعوض وبعض القوم أذاهم البعوض وأبعضوا اذا كان في ارضهم البعوض وارض مبعضة ومبقة اذا كانت كثيرة البعوض والبق وهو البعوض . (١٤) ثار القطا والجراد نهض (١٥) بشر الجراد الارض قشرها واكل ماعليها (١٦) سرأت الجرادة باضت (١٧) رزت الجرادة بتشديد الزاي اى دخلت في الارض فألقت سرأها

فلما وصلنا الى المحكمة العمومية أجلست في كرسيّ وبعد طرفة عين او قولك « يا الله » اقبل قاضي القضاة بجماعته فسلم وسلموا عليّ . وكان قد دنا وقت الصلاة فاغتسلنا ثم تقدمني الى المعبد الاكبر والخلق وراءنا فصلينا وشكرنا وسبحنا

وبعد هذا مضيت الى داري وانا مسرور بعفو ربي مبتهج بمنه وكرمه يكلمونني فلا يسمعون مني غير حمده وشكره

اقول انني كنت ادهش من هذا الكلام الذي اشكل عليّ معظمه فأهم بسؤال والدي عنه فيقول لي في الحال تمهل عليّ فأعلمك كل ما تريد ان تسألني عنه

قال وبعد هذا تذكرت وعدي اياك فالتمست الاذن من قاضي القضاة فأذن لي في شيء ونهاني عن آخروها انت جالس في حضرتي. فقلت له ايجوز لي ان أسألك هل نحن في الارض أم في الزهرة. فقال لسنا في احداهما وانما نحن بينهما لانه لا يسمح لي بان أعود الى الارض سجن العاصين والمخالفين ولا يؤذن لك في الدخول الى الزهرة لانها مقام الابرار الصالحين

﴿ الفصل الرابع منه ﴾

{ في المريخ }

قال والدي ان الله تعالى أوجد الكائنات في الازل فكان منها المريخ وهو ازهى وابهى واسمى وارقى موضع خلقه الله تعالى . وقد جعل الجنة في احسن روضة من جنانه . وبعد هذا خلق ذكراً وانثى فتناسلا الى ان بلغ عدد

(اى بيضها . والجراد غير موجود فى الزهرة

العباد نحو مائة ربوة . فتمردت عليه جل جلاله اسرة من الاسر العظيمة فأسكنها الزهرة عقاباً لها

ثم قال والدي لا يجد سكان المريخ تعباً ولا مرضاً ولا غماً ولا هماً . ان اكلهم وشربهم وكل ما يحتاجون اليه بين ايديهم . اعمارهم من خمسة آلاف الى عشرة آلاف عام من اعوامكم فاذا انقضى اجل احدهم ارسل الى الجنة في ابهة واحتفاء عظيمين جداً فبالغ ما استطعت في وصفهما ولا حرج عليك ولا جناح. ان سكان الجنة يتمتعون بكل لذة من دون ان يمسوا شيئاً

﴿ الفصل الخامس منه ﴾

(في الزهرة)

قال والدي ان الزهرة رياض رائقة. وغياض شائقة . ذات اشجار باسقة(١) . وازهار بالاطياب عابقة . تتدفق فيها انهار تختلف الوان بعضها عن بعض وتجتمع اليها المياه من عيون رقت وصفت وراقت الشاربين . يعسل (٢) ماؤها فتبصر عليه حروفاً تأويل كلامها انا جعلناك شفاء للمتقين

يهب هواؤها نسيماً بليلاً عليلاً . لا بارداً قارساً ولا حاراً يابساً .فكلما استنشقناه تجددت فينا الحياة

لله جبالها واوديتها ومرتفعاتها ومنخفضاتها فانها مزينة بالازاهير ذوات الروائح الذكية التي تأخذ بمجامع القلوب سروراً وابتهاجاً كلما شممناها قويت ابداننا ونشطنا الى العمل

---

(١) بسق النخل ارتفعت اغصانه وطال ( ) عسل الماء حركته الريح فاضطرب .

الفصل السادس منه

في المدن والطرق

قال والدي ان مدننا كثيرة غير انا لانحب الاقامة بها طويلاً بل نفضل عليها الجبال و نفضل ايضاً عليها القرى في البراري الواسعة . فلا نتضايق ولا نتزاحم في البلاد .

الامان سائد اينما ذهبنا . لا معترض يعترض ولا منازع ينازع . ايان نسر نروّح قلوبنا بالحدائق والجنان والغياض والرياض والانهار والجداول والعيون .

أما مدنكم في الكرة الأرضية فقد غصت بكم وضاقت عليكم حتى ضاقت بها اخلاقكم . تحيط بها اسوار من المنازل والحوانيت والمخازن عالية الاركان تحجب عنها نور الشمس وتمنع الهواء النقي . ان مدنكم قليلة المياه لاتجري فيها الانهار فقلت النظافة عندكم فاذا ابتلي احدكم بعلة سرت الى غيره وانتم لاتحتاطون بل تقولون هذا قضاء الله تعالى ان الله لا يريد بعباده شراً لو تعلمون

اذا دخل اوربي مدنكم ظنها مأوى الحيوان لكثرة ما فيها منه وانتم لاتميزون

مخازننا قليلة لقلة احتياجنا اليها ولذلك لا نسمع جلبة ولا صرخة وانتم تجلبون وتصرخون

طرقنا مستقيمة في فساحة عظيمة فلا نكاد نعرف طولها من عرضها ونحن في مسيرنا نتخذ الجهة اليمنى فلا نتواجه ولا نتصادم

لانرى صبياناً فانهم مقيمون بالبيوت أوهم في المدارس ولا نرى شيئاً تعافه النفوس بل نرى النظافة والاتقان . نبصر المياه النقية الصافية جارية في جميع الطرق العمومية والخصوصية وهي تصب في انهار سريعة الانحدار والجريان فلا تجتمع الى مناقع فتأسن (١) وتنتشر منها الحيوينات الفاتكة

أما طرقكم القديمة المبلطة التي تعثرون فيها لضيقها فهي خير لكم من طرقكم العريضة الحديثة غير المبلطة التي نحسبها مفاوز يثور غبارها عليكم وأنتم تتنزهون . فتعودون الى أماكنكم وقد امتلأت منه أجوافكم فتعرضون عن الطعام ولا تقبلون

لقد كثرت عللكم بطرقكم وأنتم لا تدركون فاذا لم تتداركوا نفوسكم بتبليطها ولو بنصف اموالكم ضعفت ابدانكم وفسدت بناكم «٢» ان طرقكم لتجني عليكم فكيف فيها تسلكون .

تسير الخليقة منا هادئة مبتسمة . يحيي كل اخاه ببشاشة ووقار فياليتكم بنا تقتدون

عندنا السلام فلا جدال ولا خصام . لدينا الراحة فلا تعب ولا عناء . هناك الترفة «٣» والغدنة «٤» هناك الرفاهة والعيش الرغد بل هناك الثطف «٥» والحبرة «٦» والبثنة «٧»

غير ان هذه النعم لا تترفنا « ٨ » ولا تبطرنا بل نجفن نفوسنا « ٩ »

(١) أسن الماء تغير طعمه ولونه وريحه (٢) جمع بنية وهى الفطرة (٣) الترفة النعمة والطعام الطيب

(٤) الغدنة النعمة واللين (٥) الثطف النعمة فى الطعام والشراب والمنام . والخصب والسعة (٦) الحبرة فى اللغة النعمة التامة (٧) البثنة النعمة فى النعمة . (٨) أترفته النعمة اى أطغته . (٩) جفن نفسه ظلفها عن الخبائث اى منعها .

ونكفها عن المحارم

يسأل بعضنا بعضاً عند التحيات هـل تريدون مساعدة هل تبتغون مدداً هل تضطرون الى شيء فيجيبون مثلاً انا نبني داراً او نجدد بهواً (١) او غرفة فنتسابق الى تقديم معدات البناء والتشييد بهمم عالية وقلوب نقية . ونشتغل ونحن نتمازح تمازحاً ادبياً لاينتقل بنا الى الجد. او نترنم بالاناشيد التي تذكر بها مآثر مشاهيرنا وفضائلهم في تساعدهم وفي وجوب تعويد ابدانهم النشاط وفي الجد والعمل مع حسن اتقان ودقة إحكام الى غير ذلك

فاذا لم يكن لاحد شغل أو عمـل يلهيه ويمرنه ذهب الى قاضي الحي الذي يقيم به فيشغله بتمريض «٢» مريض اويرسله الى معمل يشتغل به من غير ان يجهد لانه من العار ان يقيم يوماً واحداً بطالاً خوفاً على نفسه من المفسدة فان من يبطل من عمـل فسدقلبه ولذلك نتساعد برغبة ونشاط لانسأل بدلاً ولا عوضاً كأننا كلنا احباء واصدقاء مختارون نتبادل المنافع . ان الخلق عندنا في قناعة فلا يتهافتون على حشد الذهب والفضة ولا يطمعون

ما أش (٣) منهم احد ولا نهب (٤) بعضهم بعضاً وليس فيهم حرض (٥) ولا مذاع «٦» ولا نمام ذميم

---

(١) البهو البيت المقدم امام البيوت .(٢) مرض فلاناً تمريضاً احسن القيام عليه فى مرضه وتكفل بمداواته

(٣) اش قام بعضهم الى بعض وتحركوا للشر (٤) نهب الناس فلاناً تناولوه بكلامهم (٥) رجل حرض لاخير فيه وقيل هو الساقط الذى لاخير فيه والحرض الردى من الناس والكلام . (٦) رجل مذاع متملق كذاب لايفي ولا يحفظ احداً بظهر الغيب والذى لا يكتم سراً .

الفصل السابع منه
في الامور

قال والدي ان دورنا نظيفة فسيحة يبعد بعضها عن بعض . لا يجتمع أولادنا فيتخاصمون تخاصماً يتصل الى الامهات فالآباء

نقيم بغرف متسعة تشرق الشمس عليها وتغرب وهي كلها على هضبات تجري من تحتها ينابيع باردة . ينام كل واحد منا في مكان

لا نتخذ من الاثاث اكثر مما يتخذه البدوي الرحال عندكم. الا اننا لا نستعمل الصوف بل نجلس وننام على فرش شفافة وضاءة نسمي نسيجها بالمرن {لانه يتخذ من البلور الملين ذي المرونة} .ومن العجب العجاب اننا نغسلها كل يوم بذائب تخصص لها لتنظف بسهولة وبعد غسلها ترسم عليها صور الحشرات التي ربما قد غفانا عنها فاستخفت فيها فنلتقطها حالاً وهذا من مخترعاتنا المفيدة

ان ابقارنا وغنمنا بعيدة عنا لا تهب ريحنا عليها ولا ريحها علينا . هم كل واحد منا أن لا يدخل داره كلب ولا هر ولا جرذ ولا فأر ولا نملة وكذلك لا ذبابة ولا برغوث ولا ولا لانها كلها تنقل الحييوينات السامة فتضر بأجسامنا .

اننا نرحل في كل فصل من الفصول الاربعة الى جهة فاذا نزلنا في ارض رحلنا عنها الى أنظف منها

نذهب كل يوم مرتين صباحاً ومساءً الى الجنات والحدائق التي تبعد عن منازلنا من نصف ساعة الى ساعة فنجمع البقول الطيبة والفواكه الناضجة ثم نعود وقد تنزهنا . ونحن في كل هذا لا نمتطي مطايا بل نسعى على الاقدام

رياضة لابداننا .اننا نجتنب الصيد فقد حرمه الله تعالى علينا

لقد كانت دياركم تصلح للصيف والشتاء فلما تمدنتم التمدن الحديث وبنيتم لكم بيوتاً جديدة مثل بيوت سكان اوروبا على زعمكم من غير أن تميزوا قارتكم من قارتهم وتدركوا خصائص الماء والهواء فيهما أمست مسا كنكم لاتصلح للسكن وأنتم غافلون . فبدت العفونة بجييويناتها القتالة تنتشر بينكم وانتم لاتشعرون

ولقد أنشأتم أكثر دوركم في منخفض من الارض فجعلتموها أجحار الضبان (١) لاقصور الانسان .

تنام الفصيلة (٢) منكم في حجرة ضيقة تفسد هواءها وتستنشقه سماً قاتلاً لاهواء طيباً نقياً وأنتم لاتعقلون

اذا دخل الاجنبي بيوتكم اعترض له في كل واحد منها أثاث عشر أسر فيحسب نفسه في سوق فياليتكم تحسبون فلا تقوى ربة المنزل على تنظيفها والنظافة مقدمة على الطعام ولكنكم لا تفقهون

تفاخرون في مجالسكم بكثرة ماتلبسون وتفرشون من الفراء والصوف ولا تفاخرون الا بما يضركم الا انكم لاتنتبهون . والعجب كل العجب انكم جعلتم كنفكم في مطابخكم فتتحد رائحة الطعام برائحة الكنيف فتأكلون وتشربون

وفي الختام أقول لكم أن في تبديل الهواء حياة لكم لتقضوا أيامكم في الارض وأنتم سالمون معافون ان شاء الله .

---

(١) جمع الضب وهو حيوان بري يشبه الورل وقيل هو انثى الحرذون وقيل هو دويبة على حد التمساح الصغير (٢) الفصيلة من الرجل عشيرته ورهطه الادنون

الفصل الثامن

(في النظافة)

قال والدي النظافة وهل علمتم ماهي هي أعظم من أن توصف بشفة ولسان . اني لاأدري كيف أصفها وأعلمها الناس وأشير اليها .ولا أعلم بأي كلام أحضهم وأحثهم على التفاني في التجمل والتحلي بها تفانياً يؤثر في عقولهم وقلوبهم وحواسهم وأعضائهم بل في كل منبت شعرة منهم .

النظافة قاعدة من قواعد الدين . النظافة سر من أسرار الحكمة النظافة غاية المناقب والمحامد . النظافة لا شك أساس الظرف وأصله . هي الفيض الروحاني الذي يسيل منه ماء الحياة . هي سر خفي من اسرار الجنة الغامضة فاذا علمه الانسان واهتدى اليه ظفر بشيء من السعادة الحقيقية

لا علة ولا دواء مع النظافة الا فيما ندر ولا عاهة أيضاً . فيجب ان يعتنى بها شديد الاعتناء عظيمه وذلك في الماكل والمشرب والملبس وفي الفراش والاثاث وفي كل ما تقع عليه عيناك بمنزلك وغيره في كل ماتلتصق به ويلتصق بك وفي كل ما تشمه وتجسه وتمسه وتلمسه

لا يبالغ الفتى والفتاة في التجمل والتحسن طلباً للحسن الكاذب المموه الذي كله تصنع في تصنع بل لبدأبا في النظافة فانها كل الظرف ونصف الحسن. وهي اذا تأملت الحسن كله .اذا كان السمن كما تقولون نصف الحسن فالنظافة كله

وغاية ما اقول ان النظافة تقوي البنية وتلطف الهيئة فيحدث السمن الحقيقي الصحيح في البدن فينبعث النور والبهاء من البشرة فينعم الجسم في غضاضة ونضارة وطراءة وبضاضة . ويزهو حسن الوجه في بياض

واحمرار يشفان عن وضاءة (١) .وفي بهجة رائمة وطلاوة.وينشط القوام في رشاقة وخفة فيسلم الانسان. يا ايها البشر اجتنبوا القذرين والمثنتلين (٢).

الفصل الاول من الباب الثاني

(في العبادة)

قال والدي ان الله تعالى اراد خيراً بتلك الاسرة التي كانت تمردت عليه في المريخ فأسكنها الزهرة وقال لها لتكن عبادتك « المحبة » « الصدق » « العفة » « التواضع » وقال لها اني اريد من كل عبد قلبه . والمرء مكرم بفضائله . والنظافة لابد منها فثابري عليها

وقال من خالفني منك انزلته الى الارض فان كانت توبته فيها غير كاملة اوسلته بعد انقضاء ايامه الى القمر . فان اصر على المخالفة بعثته الى زحل فان فيه العذاب الاليم. ومن اطاعني اعدته (بعد خروجه من الارض) الى الزهرة فالمريخ حيث الجنة بجلال مني عظيم

قال والدي وقد كانت مدارك هذه الاسرة اسمى وارقى من مداركم بكثير فأخذت تتكاثر بعبادتها وقد جعلت الفضائل ديدنها فعمرت البلاد وانشأت القرى فأقام الله منها عليها قضاة مرشدين ومدبرين ومخترعين يخترعون ما تضطر اليه تعميماً للراحة والرفاهية فشكرته على آلائه وبالشكر تدوم النعم

الفصل الثاني منه

في المعابد

قال والدي ان معابدنا متسعة اتساعاً عظيماً. طولها مساو عرضها. اعظمها

(١) وضوء الشيء صار حسنا نظيفا (٢) ثنتل الرجل تقذر بعد تنظف

المعبد الاكبر في مدينة القضاة العظمى وهو المعبد الذي نزلت فيه كلمات العبادة الاربع التي علمتها

ان الداخل اليه يقرأ في صدر كل معبد كلمة «الله» مكتوبة على لوح كأنه ذهبي بأحرف عظيمة يبصرها كل من حضر . وهذه الكلمة الجليلة مركبة عندنا من اربعة احرف مختلفة الالوان . فالحرف الاول كتب باللون الوردي والثاني بالابيض والثالث بالازرق والرابع بالبنفسجي . وكلها ناصعة نقية ينبعث منها نور غاية في البهاء واللطافة فوق ما تشتهي

ويقرأ ايضاً تحت هذه الكلمة الجليلة كلمات العبادة الاربع . فالمحبة مكتوبة باللون الوردي والصدق بالابيض والعفة بالازرق والتواضع بالبنفسجي أي ان ألوان لفظ الجلالة الاربعة موزعة على الكلمات الاربع . ويجد الداخل تحتها كرسياً مرتفعاً ولا يجد شيئاً آخر لافضة ولا ذهباً ولا جواهر ولا مصابيح (فان النور في المعابد يضيء كما يضيء نهاراً) ولاأواني ولا ملابس ولا تماثيل ولا ولا

الفصل الثالث منه

في الصلاة

قال والدي يهب كل واحد وواحدة من الفراش من ابن وبنت خمس سنين الى ما فوق . ولا يستثنى منا الا العليل العاجز عن القيام وذلك قبل شروق الشمس بربع ساعة فيخلع ثيابه حالاً وينزل الى عنقه في مغطس بارد يجري ماؤه من عين صافية فيها مواد مقوية ولا يرتمس «١» فيه .

(١) ارتمس في الماء اذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده وقيل الارتماس

ويبترد. ولا يبترد «١» وينظف فمه واسنانه واضراسه من الحبرة «٢» والقلح «٣» والحفر «٤» واذنيه واظفاره من الاف والتف «٥» . ثم يلبس ثيابه من غير ان يتنشف كل ذلك في خمس دقائق فقط ويسرع المشي الى المعبد الذي يبعد عن داره عشر دقائق فيرى هناك احد القضاة يصيح بصوت عال يسمعه الحاضرون ويقول اولاً «يا أيها الابناء الذين جاؤا طائعين انكم واقفون في حضرة الله تعالى فنبهوا حواسكم» فنقول بصوت واحد غير مرتفع «الله يا الله لقد تنبهنا يا الله ونحن ضارعون خاشعون» ثم نسجد. فيقول القاضي ثانياً «يا أيها الابناء الصالحون انكم واقفون أمام الله سبحانه وتعالى فاخلعوا نعالكم احتراماً وتوقيراً ان الله يأمركم بأن يحب كل واحد أخاه اكثر من نفسه» فنقول «الله ياالله لقد تنبهنا وسمعنا ياالله لك المجد لك العظمة يامالئ الكائنات هيبة وجلالاً» ثم نخلع نعالنا ونرفع ايدينا الى الله ثلاثاً ونسجد مرتين. فيقول القاضي ثالثاً «يا ايها الابناء الصالحون المتعبدون انكم واقفون بين يدي الله تبارك وعلا فاكشفوا رؤوسكم تعظيماً له وتمجيداً ان الله يأمركم بأن

أن لا يطيل اللبث فى الماء والانغماس ان يطيله

(١) ابترد اغتسل بالماء وقيل فى الماء البارد. وابترد الماء صبه على رأسه ٢) الحبرة صفرة تشوب بياض الاسنان (٣) القلح صفرة الاسنان وخضرة بين اسنان البعير وقيل هو ان تكثر الصفرة فى الاسنان وتغلظ ثم تسود او تخضر. وصفرة فى الاسنان ووسخ يركبها من طول ترك السواك. وقلحت الاسنان تغيرت بصفرة او خضرة والرجل كان باسنانه قلح (٤) الحفر سلاق فى اصول الاسنان او حفرة تعلوها. والسلاق تقشر فى اصول الاسنان (٥) الاف الوسخ الذى حول الظفر والتف الذى فيه. وقيل الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار

تصدقوا في اقوالـكم ». فنقول « الله يا الله لقد تنبهنا وسمعنا واطعنا يا الله أنعم علينا بان لا نندهش بغير عظمتك وجبروتك انعبدك وحدك حق عبادتك ولا نشرك بك » ثم نكشف رؤوسنا ونحني ظهورنا ونسجد ثلاثاً . فيقول القاضي رابعاً « ان الله جل جلاله يصغي اليكم فاخلصوا نياتكم واندموا على سيئاتكم وان الله يأمركم بان تتعففوا آناء الليل واطراف النهار» . فنقول الله يا الله لقد تنبهنا وسمعنا واطعنا واجبنا ولقد تبنا اليك فتب علينا واغفر لنا وتداركنا برحمتك ياارحم الراحمين. اننا نعترف لك بسيئاتنا على اننا لم نتعمدها فتجاوز عنها بواسع حلمك يا رحيم يا حليم » ثم نرفع ايدينا وهي مبسوطة الاكف وننزلها ثلاثاً ونسجد . فيقول القاضي خامساً. «ان الله عز ثناؤه غفر سيئاتكم ووهب لكم نفوسكم وان الله يأمركم بأن تتواضعوا تخروا لاذقانكم ساجدين . » فنقول « الله ياالله لقد تنبهنا وسمعنا واطعنا واجبنا وحمدنا وشكرنا حمداً وشكراً صادرين عن قلوب محبة صادقة عفيفة متواضعة» ثم نخر ونسجد ثلاثاً ونحن نقول « لقد قلت يا ربنا انك تريد منا قلوبنا فانظر اليها . ورغبتنا في الفضائل فقونا عليها. وحضضتنا على النظافة ان شفاءنا كان لديها . نحمدك ونشكرك يا الهنا لانك متعتنا بخيراتك ونعمك واغنيتنا بمنك وكرمك . (فيقول هنا الذين لم ينزلوا الى الارض) . ولانك لم تضمنا الى بني آدم اللابسين اثواب العار» وهنا نعود كلنا فنقول «وفي الختام نتضرع اليك ياالله ونلتمس من آلائك ان ترسلنا الى الجنة لتمتعنا بمشاهدة وجهك الكريم» ثم نسكت فيقول القاضي « لنذهب بأمن من الله وسلام»

فنذهب وقد مرّ على صلاتنا نصف ساعة فنأكل ثم ننظر في مصالحنا وأعمالنا من غير أن نجهد نفوسنا . وبعد خمس ساعات ننزل في الماء الى

صدورنا وتتنظف ونلبس ثيابنا ونبادر الى المعابد مرة ثانية . وبعد خمس ساعات أيضاً ننزل في الماء الى معدنا وتتنظف ونسمى الى المعابد . وبعد خمس ساعات ننزل الى ركبنا وتتنظف ونصلي . أي اننا نغتسل ونصلي أربع مرات كالمرة الاولى في كل أربع وعشرين ساعة

الفصل الرابع منه

(في الاعياد والصيام والحج)

قال والدي اننا نجري الى المعابد في كل نهار خميس وهو اليوم السعيد الذي أنزل الله تعالى فيه العبادة علينا ذلك ان نهب من فرشنا وننزل في المياه وتتنظف ونسارع الى الصلاة فنصلي ثم نستريح نصف ساعة في الاروقة حيث نحبب الى نفوسنا الفضائل التي منها حسن الصبر على فراق اخواننا المعاقبين والمغضوب عليهم المسجونين في الارض والقمر وزحل . ومساعدة أقاربهم . وعيادة المرضى . وبعد هذا نعود الى المعابد ونسبح الله سبحانه وتعالى بهذه التسبيحات

(في المحبة)

«١» سبحانك يا خالق الكائنات يا من أحبنا نخلقنا ومتعنا بخيراته فتعلمنا منه المحبة

«٢» نسبحك يا أيها المحب الرؤوف بعباده . ونشكرك لانك انزلت علينا وصاياك في مثل هذا اليوم السعيد

«٣» سبحانك يا أيها المحب والمحبوب أنت الذي تبتهج قلوبنا بمحبته لانك أمرتنا بأن نبرّ بالمحبة والدينا

(٤) نسبحك يا ايها الطاهر المحبة انت الذي لاغاية ولا نهاية لمحبته

لانك طهرت قلوبنا بالمحبة فطابت سرائرنا

(٥) سبحانك يا أيها الصادق المحبة لانك نجيتنا بها من القتل والغدر والنميمة

(٦) نسبحك يا الله لانك بالمحبة منعتنا من الاضرار بنفوسنا وعن الاقدام على كل شهادة زور

(٧) نسبحك لانك جعلت المحبة قاعدة كبرى من قواعد الدين فأوثقت قلوبنا بوثاق منها متين

﴿ في الصدق ﴾

(٨) نسبحك يا أصدق القائلين لانك امرتنا بان نصدق في الحديث والوعد . ونصدق العباد النصيحة والولاء

(٩) نسبحك لانك وثقت تعاملنا بالصدق فوثقنا بنفوسنا ثقة تبادلنا بها المنافع فطاب لنا العيش

(١٠)نسبحك لانك عظمت بالصدق كل نفس منا فابتعدنا عن المدالسة وعن كل رذيلة من رذائل الكذب

﴿ في العفة ﴾

(١١) سبحانك يا مطهر المضاجع لانك امرتنا بان نتعفف فختمت على قلوبنا بالعفة فلم يغو احدنا أخاه

(١٢) نسبحك لانك علمتنا بالعفة أن لا نغتصب الحقوق لئلا يرث الغريب حق غيره بالدعارة

(١٣) نسبحك لانك نهيتنا عن الفجور فانتهينا ولم نعرض أجسادنا لغوائل الشبق ونعذبها به

(١٤) نسبحك يا واقي عباده من شر الغيرة لانك بفضل وقايتك صنتها من الاحن والمفاسد

(١٥) نسبحك يا الله لانك وقيتنا بالعفة كل داء عياء عضال عقام ناجس مزمن دفين (١)

في التواضع

(١٦) نسبحك يا من تليق الكبرياء بعظمته لانك تعطفت ودعوتنا أبناءك فتعلمنا منك التواضع .

(١٧) نسبحك لانك أمرتنا بان نتواضع فتعلمنا بالتواضع أن نكره حب الذات ونذوأ عنا الطمع

(١٨) نسبحك لاننا بمنك وفضلك مقتنا الطمع المذل واحببنا القناعة المثرية فلم نسلب الحقوق

(١٩) نسبحك لانك حتمت علينا القناعة فجنبتنا الحسد المهلك وحفظتنا من شوائب السرقة وأضرارها

الخاتمة

(٢٠) نسبحك يا مولانا لانك علمتنا عبادتك فجعلت بها أيامنا الطويلة في بهجة وحبور دائمين

(٢١) نسبحك يا منكد عيش بني آدم بالموت لانك جعلت انتقالنا اليك لذة ولم تجعله علينا نكداً

---

(١) الداء اذا اعيا الاطباء فهو عياء • فاذا كان يزيد على مر الايام فهو عضال . فاذا كان لادواء له فهو عقام . فاذا كان لا يبرأ بالعلاج فهو ناجس ونجيس . فاذا اعتق واتت عليه ازمنة فهو مزمن . فاذا ظهر بعد خفائه فهو دفين

(٢٢) نسبحك لانك بتعليمك ايانا وصاياك لا تنزلنا الى الارض بل توصلنا الى المريخ حيث الجنه بجلال عظيم

(٢٣) نسبحك لانك تنعم علينا في الجنه بأن نتمتع بمشاهدة وجهك الكريم فيفيض علينا بهاء ونوراً

(٢٤) نسبحك يا مكافيء الصالحين بمشاهدة وجهك الكريم الذي يشبع القلوب لذات في سعادة دائمه

(٢٥) نسبحك يا سامع الدعاء يا من يزكو بك التسبيح لانك مننت فسمعت تسبيحاتنا في البدء والختام

قال ولا نزال نسبح هذه التسبيحات مرة ثم نخرج الى الاروقه مدة نصف ساعه كما ابنت ونعود بعدها ونسبح الى ان يمر علينا تسع ساعات من ذلك النهار ونحن من غير اكل لاننا ممسكون عن الطعام من نصف الليل. فنذهب الى دورنا ونأكل ثم نتزاور والزيارة لا تكون اكثر من نصف ساعه . ولا عيد ولا صيام عندنا غير هذين. اما حجنا فهو الى المعبد الاعظم في مدينه القضاة حيث نزلت كلمات العبادة وذلك في اليوم الاول من شهر نيسان من كل سنه فيقدم الحجاج من جميع انحاء الزهرة واقطارها ويقيمون ثلاثة أيام يقدمون في نهايتها الهدايا الى قاضي البر ليوزعها على المرضى العاجزين ثم ينصرف

هذه كل كتب عبادتنا وصلواتنا وتسبيحاتنا . فلا يسمح لاحد مهما كانت صفته بان يضيف اليها شيئاً . نحن لا نتوسع مثلكم في النقول والشروح والتفاسير فنملأ منها الاسفار العظيمة والمجلدات الضخمه حتى تتشعب الآراء ويحدث الاختلاف فنلجأ الى المناظرات التي كانت في الغالب

سبباً في تفريق الكلمة فتحير كثيرون فصاروا الى الفتور الذي تمكن منهم فافتتنوا في دينهم .

الفصل الخامس منه

في قضاة الزهرة ونزولنا الى الارض

قال والدي لاشك في ان القضاة عندنا يمتازون عن غيرهم بالمدارك والعلوم وبالفضائل والمناقب وبالمآثر والمحامد وبالمكارم ومحاسن الصفات وحسن السلوك

لقد وقفوا نفوسهم على خدمة الخليقة فلا يهمهم غير تقدمها ونجاحها وسعادتها . زهدوا في الملاذّ وفي الملاهي . لايخرجون من محاكمهم وفيها دعوى لم تنظر أو مؤجلة فان الدعاوي عندنا لاتحتاج الى أكثر من تأجيلة واحدة . لايحابون ولا يدهشون المتحاكمين بهيبتهم لئلا يرتبكا في الدفاع عن نفسهما .لا يتقوفون أحداً في المجلس (١) . لايستهجون (٢) . يتدبرون أمورهم ويبيتونها (٣) ويسفون(٤) لئلا يرنقوا في أمر (٥) . فمن كان مثلهم لايخشى الدَبَريّ {٦} ولا يقال عنه هذا فصيخ {٧} أفين(٨) بل يقال هذا برز (٩) يزكن الاشياء

(١) تقوف فلاناً في المجلس اخذ عليه في كلامه وقال له قل كذا وكذا (٢) استهج فلان ركب رأيه فلا يشاور احداً

(٣) بيت الامر عمله ليلاً اودبره ليلا . وكل مافكر فيه اوخيض فيه بليل فقد بيت (٤) اسف الى مداق الامور والأمها بتشديد الفاء دنا . وفي الصحاح اسف الرجل اي تتبع مداق الامور (٥) رنق القوم في الامر بتشديد النون خلطوا الرأي (٦) الدبري رأي يسنح اخيراً عند فوت الحاجة . وعليه قولهم شر الرأي الدبري (٧) رجل فصيخ (٨) أي غير مصيب . والافين الضعيف الرأي والعقل (٩) البرز من

لا ينتهرون أحداً ولا يحتدون عليه بل يصبرون حتى يقدلع (١) هم وحدهم الصبورون الحمولون الحليمون والمدققون البصيرون الخبيرون والرزينون الذين رصنت عقولهم فلا تؤثر فيها نغية (٢) هم الذين لا يعابون بافراط فلا يحسنون الظن كثيراً ولا يسيئون . لا يماطلون ولا يطاولون . لا يغلطون المصيبين ولا يغالطونهم ولا يتغالطون (٣) ولا يموهون الاخبار عن السائلين ولا يلبّسون

اذا بدا لهم وجه الحق ابشروا به حالاً وعليه فالدعاوي الحقوقية عندنا نادرة الحدوث لان القضاة علموا بنزاهتهم العباد الحق ومعرفته فالمحقوق يعرف نفسه وهو لا يرجو ان يرشو القاضي أو يدعوه (٥) أو يهدي له مأكولاً اومشروباً اوملبوساً . ولا يأمل أن يخدعه بتباكيه اويغفله بدهائه اويستميله اليه ببيانه كبيراً كان اوصغيراً . ان العباد في الحق متساوون فلا يبطل الاّ الطامع المكابر الذي أغواهُ طمعهُ اومن بهِ جنون اوعلة والمبطلون قليلون

يرجع القاضي من صلاة الصبح الاولى الى المحكمة فيقضي بين الخصوم الى ان يدنو وقت الصلاة الثانية فيصلي ثم يذهب وقاضي البرّ معهُ الى عيادة المرضى وافتقاد العاجزين فيمرضهم ويعالجهم ويلاطفهم ويطلب الى رفيقه

الرجال العفيف والموثوق بعقله ورأيه . وأزكن الشيء ظن فيه فاصاب

(١) اقطع الرجل انقطعت حجته (٢) النغية مايعجبك من صوت اوكلام . واول مايبلغك من الخبر قبل ان تستثبته . (٣) غلطه قال له غلطت او نسبه الى الغلط . وغالطه اوقعه في الغلط وتغالطوا غالط بعضهم بعضاً (٤) دعا فلاناً طلبه ليأكل عنده

ان يقدم اليهم كل مايعوزهم . وبعد ثلاث ساعات يعود الى المحكمة ليفتي بنفسه المستفتين من العباد فان القاضي عندنا هو الحبر والكاهن والامام الذي عني بحبورته وكهانته وامامته . وهو الاستاذ والحاكم والمفتي والخطيب والطبيب والمصلح . وهو الخادم الذي يخدم الخليقة بامانة والذي يستميت في حبها من غير تمييز ولاتفضيل . وهو أيضاً الاب الحنون الدائب في تعزية الذين أنزل اقاربهم الى الارض وملاطفتهم حتى لايكون في الزهرة شاكٍ لاتدفع شكواه ولاتزال . فمن كان مضطراً مثلاً الى عمل سعى له فيه . وطيب قلبه ولهذا كله نكرم القضاة ونعظمهم ونحبهم محبة اعظم من ان توصف بشفة ولسان . وهم كلما عظموا ازدادوا تواضعاً ورغبوا في الخدمة بفرح منهم وابتهاج . لايتأففون ولايتضجرون حتى انهم لايلمحون الى اتعابهم

يخاطبون العباد على اختلاف طبقاتهم بكلمات رقيقة عذبة فيشتهي السامع ان لايقطع القاضي خطابه فانه كله نصائح وحكم وخطب ادبية تاريخية غير مملة لانها معقولة يشربها الذوق ويأنس بها الصواب فلا نجد فيها غرابة نشك في صدقها لان علم القضاة غزير ومواد الكلام كثيرة لديهم فلا يتوخون غريب الحديث ولايخافون المعارضة فانهم رصينون لاينطقون عن الهوى . يحاجون ويفحمون المعترضين لانهم راسخون في العلم

لاينتخبون الا من الرجال المجربين الموثوق بفضلهم الفائقين ليعظموا في عيوننا فلو كانوا دون غيرهم بالمعارف لم يعظموا فاذا لم يعظموا لم يصلحوا

لخدمة الدين والخليقة ذلك لان القاضي اذا كان جاهلاً حمل الجهال من الناس على الاستخفاف بالدين وجماعته

ان قضاتنا لا يترجون (١) لانهم لا يعرفون التناوة (٢) لا نسمع لهم أصواتاً مرتفعة ولا يدعون احداً الاَّ بقولهم له «ياحبيبي» ولكن هذا الدعاء لم يكن شفهيا لصدوره عن قلوبهم النقية الفائضة بالمحبة . كل واحد من الخليقة حبيب لكل قاضٍ

هنا قلت لوالدي اذا كانت هذه أعمال القضاة فهم لا يأثمون فلماذا انزلك الله تعالى الى الارض وأنت قاضٍ في الزهرة . فقال اعلم ان في كل مدينة محكمة عمومية مؤلفة من قضاة المدينة ومن بعض أعيانها الذين يسمون قضاة ايضاً لانهم يقضون ويحكمون. وهذه المحكمة يرأسها قاضي قضاة المدينة. اما غايتها فهي التدقيق في الامور الدينية والصحية والادارية المشكلة أي لكل مدينة ثلث محاكم لامور العبادة والصحة والادارة ﴿عدا المحكمتين الحقوقية والعقابية﴾ فاذا أشكل على القضاة امر في المحاكم الثلاث وقفت عليه المحكمة العمومية ودققت فيه وحلته حالاً . اماَّ أنا فقد عدوني من الاعيان وانتخبوني عضواً كما تقولون اوقاضياً . فسرت ذات يوم الى المحكمة فالفيت احد القضاة قد سبقني وجلس في كرسيٌّ لاجلس بعده فلم اياسره (٣) وأسايره بل عظم عليَّ الامر تكبراً مني وتجبراً فعلمه قاضي القضاة فأكبره وأعظمه ووبخني توبيخاً غير شديد لانه مأمور بالتوبيخ

(١) ترج الرجل اشكل عليه الشيء من علم اوغيره (٢) التتاوة ترك المذاكرة وهجر المدارسة . (٣) ياسره فلان اخذ يساره وفلاناً لاينه وساهله والشيء اخذه من جهه اليسار

فاذعن له رفيقي واستغفر الله من ذنبه فعفا عنه . اما انا فعصيت قاضي القضاة فارتكبت بهذا العصيان اثمين في وقت واحد أي الكبرياء والمعصية بتمردي عليه فساقوني بامره الى محكمة العقاب فحكم عليَّ لشقائي بان البس جسم العار وانزل الى الارض واعيش العيشة التي عرفتها

قال اما شقيقتك فلانة (وقد سماها لي) فقد استعظمت هذا الحكم الذي صدر عليَّ ولم تستذنبني (١) فحكم عليها ايضاً بان تنزل الى الارض وتلبس جسم العار مثلي وتعيش العيش الذي تعانيه الآن . وكان ذلك بعد عشرين سنة من انزالي فانها ابصرتني اذ ذاك أزاول عذاباً مبرحاً فصعب عليها امري فتذمرت على الله تعالى وتوجعت لي وتفجعت فعوقبت . وبعد سنة ونصف اخذتَ اخذها (٢) فالحقك العدل بها . غير ان الله سبحانه وتعالى لم ينسني من رحمته فلم يسمح بان تنزلا الى الارض من صلب غيري

الفصل السادس منه

في بعض الرؤساء بالارض

قال والدي اني ارى اليوم بعض الرؤساء لا كلهم خلافاً لما كانوا عليه بالامس والبعض جزء من الكل فرأيت ان استرسل (٣) في الكلام عسى ان يظفروا منه بنصيحة يستفيدونها فأقول لطالب الرئاسة . اذا كنت زاهداً

(١) استذنب فلاناً وجده مذنباً ونسب اليه الذنب (٢) اخذت اخذها اى سرت سيرتها وتخلقت باخلاقها (٣) استرسل في الكلام انبسط فيه واتسع

في الدنيا راغباً عن لذاتها وشهواتها لاهياً عن ملاهيها كارهاً للمال عالماً عاملاً نشيطاً تقياً نقياً تفضل حب الناس على حب نفسك . واذا كنت متيناً ثابت الجنان ولم تكن رجلاً كظاً (١) فتجرد لرئاسة الدين وتفرغ والا فانك تحمل أوزار العباد على عاتقك فيكون عقابك عظيماً . اذا ضللت كان ضلالك شديداً لانك تقود الخلق الى الضلالة فيسألك الله تعالى عنهم

اذا كنت لا تصبر على قمع نفسك فتزوج ولا تكابر فان التزوج لمثلك خير من التبتل (٢) ولا تعد الله بان تقول له «اللهم اني نذرت العفة والطاعة والفقر ووقفت لك قلبي وحواسي» ثم تخالف وعدك فان الرجل الصالح المتزوج الذي يعاني مصائب الدنيا ومشقاتها بصبر هو افضل من المتبتل المعتزل المنفرد بصومعته المنقطع عن اخوانه لا يسأل عنهم ولا يساعدهم كأنه ليس من بني الانسان لا يهمه غير نفسه ولا يحب سواها ولا اقول ذلك افضل من هذا فقط بل اقول ان الله لا يغفل عن عقاب هذا الكسلان المبتول (٣) من الانسانية

لو ادركت ما هي واجباتك التي اوجبها الله تعالى عليك لارعدت يوم تخلع عنك ثوبك طائعاً مختاراً . يوم تجرد نفسك من حب الدنيا عن حسن رضى منك . يوم تستأصل من قلبك كل شهوة . يوم تلبس ذلك الثوب الاسود لا حداداً على نفسك التي أمتها بالزهد بل حداداً على هذه النفس

---

(١) رجل كظ اى تبهظه الامور وتغلبه حتى يعجز عنها . وكظه الامر بهظه او كربه وجهده (٢) بتل الى الله وتبتل انفصل وانقطع عن الدنيا واخلص او ترك الزواج وزهد فيه (٣) المبتول المقطوع

الامارة بالسؤ وذلك اذا زغت او كدت تزوغ فان من زاغ قلبه لا يأمن العثار بل لا بد له من السقوط في قلبه

اني اخشى عليك ان تجعل ذلك الثوب لهلا كلك اذا لم تخدم الناس حق خدمتهم واذا غلبت حب نفسك وحب اقاربك على حبهم . اذا اتخذت الرئاسة لتعظيمك وتعظيم ذوي قرابتك . اذا الححت في طلبها واذا جعلت الناس يتعصبون لك وحضضتهم على المناهضة في التماسها واذا غالبت اخاك ومكرت به وخطفتها منه

قل لي كيف تلح وتحض وتعرض قومك للاضطراب وتحملهم على البغضاء التي يكون معها خرابهم . أتعتقد ان الله تعالى يرضى عنك انك اذا اعتقدت هذا فقد كان اعتقادك فاسداً . انك لتدرك ان لله لا يرضى عنك الا انك طمعت في رحمته وعللت نفسك بالتوبة بعد ذلك . ياهذا ان من تعمد الاثم اليوم ليتوب عنه غداً فقد أثم مرتين اثماً عظيماً لا يغفل عنه الله تعالى أتعتقد انك تجيء شيئاً حسناً يعود على قومك بالخير والفلاح علماً منك انك أهل للرئاسة وأنك أولى بها من غيرك . اذا صحّ هذا فقد جهلت نفسك وقدرك لانك لو كنت كما اعتقدت لما دخلت مدخلاً ينكره عليك الاتقياء الورعون الذين رسخت في قلوبهم محبة السلام بل زهدت في الرئاسة حتى يجيئك الناس يلتمسون منك ان تمنّ عليهم بقبولها فاذا لم يجيئوك فقد نجوت على الاقل من ذل الخيبة

اعلم ياهذا أن من طلب الرئاسة في الزهرة فقد حرمت عليه وأن من اعتقد انه ليس بأهل لها اعتقاداً مقروناً بعلم وتواضع فقد صلحت له

وصلح لها لانه عرفها حق معرفتها وأدرك ما وراءها مما لم تسبق اليه مدارك غيره ومن يعتقد أنه جدير بها فقد جهلها واستخف بها

لا تكن لرعيتك محباً غيوراً وأباً شفيقاً بل كن لها خادماً أميناً. تدارك الفقراء برأفتك يتداركك الله برحمته . تدارك المرضى المعذبين المسجونين واشفق عليهم . رق لهم . تلطف بهم . مرضهم . خفّف عنهم مصائبهم وويلاتهم : لا تجتنبهم لوخامة مساكنهم وأوساخ ثيابهم بل نظفهم ولازمهم واياك ان تشمخ بأنفك في خدمتهم فاذا شمخت فقد خرجت عن الدين . أصلح بينهم . لا تقصر عن المواعظ والنصائح ولا تتساهل في تحريم الكبائر

اذا استفتيت فأفتيت افتاء كان فيه ضياع حق او تقليل كرامة او حاولت في افتائك تحبباً وتزلفاً فياويل نفسي ما اشدها جزعاً عليك من غضب الله تعالى وسخطه

اذا عزمت ان تصلح بين الزوجين فاستمسك بقلبك ليفيض عدلاً وحكمة . اذا غلبت حب المال عليك فقد تبرأ منك الدين لانك تجور على نفسك وعلى الناس ولا تنصفهم. لانك تتخذ لك من دون الله وثناً تعبده ولانك تشرك حب الدينار في حب الله ومن تبرأ عنه الدين في مثل هذه الحالة يعاقبه الله عقاباً خصوصياً في مدينة التكفير ولو أنه تاب في الارض

اذا وعدت احداً فلا تملثه (١) . لا توعد ولا تحقد ولا تنتقم . فاذا أوعدت وحقدت وانتقمت واتبعت هوى نفسك يعاقبك مولاك عقاباً خصوصياً . اذا هابك الخلق بالمحبة ولم يخشوك فأنت حكيم يغبطك الناس

---

(١) ملث فلاناً وعده عدة كانه يرده عنها وليس ينوي له وفاء وملثه بكلام طيب به نفسه ولا وفاء له

لا تعرض نفسك للسقوط اعتماداً منك على ثباتك وقوتك فتزل بك قدمك وانت لاتدري حيث يصعب عليك بعد ذلك نهوضك او حيث لاتستطيع النهوض

شاور العقلاء في الأمور واعتمد عليهم . لا تسمع الى أحاديث المرجفين والنمامين وللمغتابين

امتحن نفسك فاذا كنت شرساً غضوباً لاتقوي على رد جماحك حين تغضب فاجتنب الرئاسة لانها تتبرأ منك اجتنبها اجتنبها ولا تغضب الله تعالى عليك . ان من تغضب أضاع عقله . اذا غلبتك الشراسة فجانب الناس ما استطعت لتخفيها عنهم   كيف تقدم على الرئاسة التي تضطرك في كل يوم الى مخالطتهم ومصاحبتهم وخدمتهم والى تحمل الحمقى الجفاة الأخلاق منهم والصبر على غطرستهم وعجرفتهم مع أنك قليل التحمل

اني لا عجب من اختيارك الرئاسة لنفسك كأنك واثق بها تعتقد أنك قادر على توسيع خلقك فتتحمل بل أعجب من رئيسك الذي أقامك راعياً وربما عجبت معي في سرك أيضاً ان الله تعالى سينتقم منه عن عباده انتقاماً شديداً خاصاً به وحده وذلك لعدم ترويه وتدقيقه التدقيق التام الكامل حين اختارك فغفل عن حقيقتك . واذا كان قد تغافل عنها فهناك البلاء الأعظم الذي جرّه بيده على رأسه . ان من لم يضع الأشياء في محلها لم يكن من الحكمة في شيء فهو ومن اختاره في خطاء عظيم . ان الرئيس الصالح يصلح قومه مدة قرن مثلاً أما الرئيس الفاسد فانه يفسدهم ثلاثة قرون . انني كنت دعيت في الأرض الى الرئاسة فأبيت علماً مني أني لم أكن خليقاً بها

اذا كان الرئيس غير عالم فعليه ان لا يفتي وعليه ان لا يعتمد على نفسه

في البحث عن المسائل المشكلة الملتبسة فان الجاهل لا يفهم دقائق المعاني

اذا كان الرئيس ضعيف البرهان فلا يجوز له أن يجادل فاذا جادل وغاب ظنّ مجادله انه اصاب وفاز وظن المجادل أنه كان على غير هدي من اعتقاده وهذا امر محرم لانه ينشأ عنه ضلال مبين وتبدو منه فتنة عظيمة وافتتان في الدين

لينزو الرئيس الصالح ويعتكف في مكانه . ليحبس نفسه عن مجالس الناس العمومية والخصوصية (إلا اذا دعت الضرورة) فيجد في عيون الناس ويعلو كعبه عندهم ويتفرغ لاجابة داعيه

لقد رأيت بعضهم يجتمعون في مجالس الطرب فيستخفهم حتى تهيج عواطفهم فيا حبذا لو ادركوا ان مجالسيهم يستخفون بهم وينمون الاحاديث عليهم اذا خافوا على نفوسهم ان تطالبهم برغائبها فليؤدبوها بالتقشف . اني اتلطف اليهم واسألهم ان لا يعرض بعضهم قلوبهم الساكنة للتحريك لئلا يضطروا الى ضغطها بعد هذا فيخشى على ابدانهم ان يؤثر فيها الاكراه

لا يشربوا الخمور فان في شربها إثماً وعاراً . ليكن كلامهم أسمى من كلام الشعب . لتكن افواههم طاهرة مصونة لانهم يخرجون منها كلام الله

محظور عليهم ان يجاروا الناس في كل احاديثهم . إنّ كلام الرئيس يؤثر في كثيرين من العباد فعليه ان يتأمل ويتروى ثم يتكلم لانهم ينقلون حديثه ويحتجون به

لا يرغب الرئيس كل الناس في الوقف ويحرم الورثة فلو اتبعوا رغائب أولئك الرؤساء لجعلوا كل ما على الارض وقفاً فيمسي الخلق كلهم يلتمسون خبزهم من رؤسائهم

لا يكن الرئيس مشتتاً للافكار بتعسفه مفرقاً للجماعات منفراً مهيجاً فانه راع صالح . ليتصدق على كل المحتاجين فانه لا يجوز له ان يختص بنفسه فقراء

لينبه الرئيس كل رئيس غفل عن واجباته وذلك برقة وحسن إشارة فاذا لم ينتبه فلينصحه ويوبخه سراً لا جهراً . لا يكف عن توبيخه لانه اذا زل ترك الناس كبائرهم وتمسكوا بهفوته وربما عابوا به كل الرؤساء ولو كانوا منزهين عن العيوب إجمالاً وغاية ماأقول إنه خير له ان يكون على حذر وانتباه لايغفل عن نفسه وان يجعل منها عليها رقيباً لئلا تغلبه الشهوات فتستعبده المشتهيات .

اني انصح الواعظين الذين يصعدون في المنابر ينهون عليها ويأمرون وينصحون ويحذرون أن يعمل كل منهم بنصيحة واحدة من كل عظة يلقيها فاذا عمل ضمنت له الجنة

ياايها الرؤساء العظماء اني احمل اليكم سلام قضاة الزهرة وابشركم بانهم يتحدثون باعمالكم الصالحة فسروا وابتهجوا واغفروا للذين يسيئون اليكم فانهم لا يعلمون من انتم انتم حسنات الايام والليالي انتم الذين رضي الله تعالى عنهم فاسبغ عليهم نعمه وبركاته خففوا بها مصائب سكان الارض وويلاتهم

الفصل السابع منه

﴿ في خطيئات سكان الزُّهَرَةِ ﴾

قلت لوالدي ما هي خطيئات سكان الزهرة . ألا تريد أن تقول ماهي ألعلهم لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى . أليس من الواجب أن يؤمنوا أكثر

منا . أسألك هذا وأسألك أيضاً أن لا تعرض عن سؤالي وأن لا تنفر مني . أنت تعلم أني لا أستطيع إلا أن ألح عليك مع انني أكره الالحاح . انني لا أسألك من نفسي فكأني بملقن يلقنني السؤال ويحضني على إلقائه . فأجاب اعلم يا ولدي وفلذة كبدي وتأكد أننا لا نصادف في كل الزهرة نفساً واحدة لا تؤمن بوجود الله تعالى . أننا نشعر بقوته ومجده وندرك شيئاً من حكمته كأننا نراه بعيوننا

أما الخطيئات التي تكثر عندنا فهي الكبرياء والحسد والاعتراض على الأحكام العقابية

فقلت له لقد ذكرت في الكلام عن الملاهي ما يأتي « لا ينظر الرجل الى غير امرأته ولا تنظر الزوجة الى غير زوجها الا ما ندر » فكيف يصدر مثل ذلك منكم ولو نادراً أليس بعجيب منكم أن ينظر البعل (١) الى غير بعله مع سعة مداركه ومعرفته أنه يعاقب عقاباً شديداً لا تقبل فيه له شفاعة ولا ندامة بل ينزل حالاً الى الأرض؟!

فقال أعلم أن في الزهرة حسناً يقام له ويقعد . وجمالاً يستعبد الاحرار . وبهاء يسترق العقول ويسلبها مداركها . ووضاءة تهيج البلابل . وملاحة ترقص القلوب في الصدور . ونضارة تشخص لها الابصار . وبضاضة تحرك الساكنات وتسكن المتحركات . ورشاقة تهفو بها الأفئدة . وظرافة تذوب منها حبات القلوب . ولطافة تسيل الخواطر فتجري اليها خواطر . ورقة

---

(١) البعل الزوج . وقيل لا يسمى الرجل بعلا حتى يدخل بامرأته وهو زوج على كل حال والانثى بعل أيضاً وبعلة (؟)

تلبب الالباب(١) الخالية فتصببها (٢) وهي لا تريد أن تصبو . وكياسة تقول احفظ نفسك يا أيها المتعبد . وبهجة تقول أغمض عينيك ياأيها المتبتل والا افتتناك . وطلاوة في كلام تقول لها الأسماع لقد شنفتنا تشنيفاً . وغنة تطرب الجماد فيقول رفقاً بي فقد أشجاني الحنين . ونباهة وفطانة ورزانة ورصانة وفصاحة وبلاغة وكل ما يحبس اللسان عن البيان وليس الخبر كالعيان

فمن تاب منكم توبة صادقة كاملة رجع الى الزهرة وتذكر فيها كل ما نسيه ووعى ببصيرته وأبصر بعينيه . وسمع بأذنيه . فاذا لم ينتبه الناظر منا لنفسه ويستمسك بقلبه واذا لم يقل اللهم صني واحفظني فاني لاأريد أن أعثر نسي العقاب وأضاع الصواب وسقط . واذا استمسك واستعان بالله جل جلاله عدّله ذلك حسنة ورب حسنة واحدة دفعت سيئات ان الله عادل رحيم

قال فتفرغ كثير من القضاة الذين هم من الطبقة الأولى للعلوم والفنون فبرعوا وفاقوا في الاختراع وفي كل شيء أولئك المتسامين المستكبرين الذين كادوا يقعون في الآثام بصلفهم فتواضع كثير منهم بعد ما علموا أن العلم غايةٌ لا تدرك وأن لكل مجتهد فيه نصيباً وافراً منه فلا يستطيع أحد أن يستأثر به

وسعى القضاة في تعميم كثير من المشتهيات فقلّ الحسد . وأخذوا يثبتون للخلق ان التشديد في العقاب خير لهم من التخفيف وان الله سبحانه وتعالى يعاقبهم رأفةً بهم . وقد أمر القضاة بمنع كثرة التزاور (٣) وحظروا

(١) لبب فلانا أخذ بتلبيبه أى جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جره
(٢) أصبت المرأة فلانا شاقته ودعته الى الصبا فحن اليها (٣) تزاور القدم زار بعضهم بعضا

على الخليقة الاجتماعات التي يخشى منها تعريض القلوب للمهيجات . وقالوا ان البطالة اثم وعار فكل باهل (١) مكروه فيجب اجتنابه ولو أنه ترك شغله ساعة واحدة

الفصل الثامن منه

« في الاحكام الحقوقية »

قال والدي في كل محلة في الزهرة محكمة حقوقية لها قاض واحد . فاذا كانت الدعوى من الدعاوي الحقوقية المادية والمديون يحرك (٢) ويأبى تبرئة ذمته شكاه الدائن الى عاقل المحلة وشيخها وهو غير قاضي المحكمة فينصحه فاذا اصر ولم ينتصح قال له الدائن لنذهب الى القاضي . فاذا امتنع عن الذهاب شكاه اليه فيحضره ويعده متمرداً يستوجب المعاقبة . فينظر اولاً في الدعوى الحقوقية فاذا قر دح أي اقر بما يطالب منه حكم عليه بتوفية الحق . فاذا لم يكن مقتدراً وكان الدائن محتاجاً عوض له القاضي من مال البر حالاً وامهل المديون الى يوم إيساره ثم ارسله الى محكمة العقاب لتنظر في دعوى التمرد وتحكم عليه في الحال

فاذا انكر المدعى عليه الدين وقال للقاضي هذا المدعي عرض (٣) مبطل يكذب عليك كانت الدعوى عقابية اكثر من كونها حقوقية فيعجب القاضي والحاضرون من ذلك الانكار الغريب لاننا نعد الكذب وابطال الحق كله وإنكاره جميعه أو بعضه جناية لاتصدر غالباً الاعن اختلال في

(١) الباهل المتردد بلا عمل (٢) حرك امتنع من الحق الذى عليه (٣) رجل عرض يعترض الناس بالباطل

الشعور واعتلال في البدن . فيأمر القاضي فتحضر آلة تشبه آلة الخياطين نسميها بالفاحص تمتحن المخلوق فان كان فيه جنون او علة أخرى أعربت عنها وذلك بان يجلس أمامها ويسند اليها يديه فتفوه بالحقيقة . فاذا انصع للحق (١) قبل ان يسندهما واستغفر خفت جنايته فيساق الى المحكمة العقابية بعد الحكم بالدعوى الحقوقية وبعد التحصيل ايضاً

فاذا أسند يديه وافصح الفاحص عن الاختلال والاعتلال اقام له القاضي وصياً وارسله الى دار الشفاء ثم حقق الدعوى وحكم على الوصي بان يوفي الدائن حقه من مال المديون اذا كان مقتدراً والا عوض للدائن مع الامهال فاذا كان المدعى عليه صحيح العقل لا اختلال فيه ولا اعتلال أمر القاضي فتحضر آلة أخرى اسمها المحقق فيجلس أمامها ويسند يديه اليها أيضاً فتعترف عنه بالحقيقة . فاذا كان غير مديون كرمه القاضي وتركه وعرض المدعي على الفاحص . فان كان فيه اختلال واعتلال أرسله الى دار الشفاء . وان كان صحيحاً أرسل الى محكمة العقاب

فاذا كان المدعي عليه مديوناً حكم عليه بالايفاء او بالامهال كما بينت لك وسيق الى المحكمة العقابية . فان كان مديوناً بشيء والمدعي ادعى بأكثر منه حكم على المديون وسيق الاثنان الى المعاقبة

غير أن الانكار والابطال والكذب من الامور القبيحة النادرة الوقوع وا ندر منها الجسارة على الجلوس أمام الفاحص فالمحقق وهما من اختراعاتنا الغريبة المفيدة فان الحاكم يستغني بهما عن الصكوك وعن الاطالة في التحقيق

---

(١) انصع للحق أي اقر به . وقيل نصع بالحق وانصع أقر به واداه

والتدقيق فلا يتحير في كشف الحقائق ولا يظلم احد بتزوير خفي . لا تحليف عندنا ولا حلف

الاّ ان الدعاوي الحقوقية عندنا قليلة لان الخلق يستماثون في الديون غالباً اي يجعلونها في أملثاء ثقة وهم الاغنياء الموثوق بأمانتهم الذين يصرفونها في سبيل الاختراعات التي يحصل بها ما يصرف عليها

إنك لا تجد بيننا معرضاً (١) يستدين ممن امكنه من الناس

لا يثقل الدين رجلاً ولا يبلغ به مشقةً فيعجز عنه ولذلك لا يقول قائل لقد أوقرني (٢) ديني وبهظني (٣)

لا يلوي (٤) المديون دين الدائن ويماطله ولا يقمحه ذلك بان يدفعه بالقليل عن كثير يجب له

نحن لا نعرف المحاضرة وهو ان يغالبك مثلاً احد على حقك فيغلبك عليه ويذهب به مغالبةً اومكابرةً

لم نر الدائن يتشكى على الغريم فيقول هذا يلح عليَّ في اقتضاء الدين ٠ هذا يساكيني اولم تروه يضيق عليَّ في المطالبة ٠ او يقول هـذا يبرس الم يشتدّ عليَّ . هذا يبصو الم تعلموا انه يستقصي عـليَّ . لقد اراد ان يعتصر ماله الم يبلغكم انه يريد ان يستخرجه من يدي . ولا يقول يا أيها الرجال تأملوا كيف يلبيني انظروا كيف يخاصمني وقد جعـل ثيابي في عنقي وصـدري وقبضني

(١) المعرض المعرض لكل من يقرضه أو المعرض عمن يقول لا تستدن او المعرض عن الاداء أو استدان من أى عرض تأتي له غير مبال (أي ممن وجده)

(٢) أوقر الدين فلانا أثقله (٣) بهظهُ الامر غلبه وثقل عليه و بلغ به مشـقة وعجز عنه (٤) لوى فلانا دينه و بدينه يلويه مطله و بحقه جحده اياه

وجرني . انظروا كيف يعتلني (١) اما ابصرتموه جرني جراً عنيفاً وجذبني وحملني

ولا يقول ليستدم (٢) وليكن مستدمياً (٣) ليرفق بي وليكن الذي يستخرج دينه من غريمه بالرفق . لا تدعوه يذهب بي الى القاضي فاني معسر لا املك بلغة (٤) ليس لديَّ ما اكتفي به من العيش

ولا يقول اني أستنظره (٥) اطلب الامهال . ماضره لو طلبني لو طلب حقه في مهلة . الم اقل له صبراً فتأخذ حقك مسمطاً تأخذه سهلاً مجوزاً نافذاً الم اقل لهُ حقك ناصع واضح اولم اقل له انا التبيع انا الذي لك عليه مال

ولا يقول انني ذرعت بماله اولاً أي اقررت به ولم انكره اياه. لم اطرق بحقه لم اجحده ولم اقر به بعد ذلك

ولا يخاطبه بقوله انا لم أستخفِ عنك فلماذا تقول لقد اقنب هذا . انني لا ارغب ان تضع عني الدين ولا ارغب ان تلي عندي تلاوة ان تبقي عندي روية اي بقية منه

ولا يقول كما تقولون ماذا يبتغي مني هذا؟ لقد كان له عليَّ دين فاديته. انني براء مما يدعي .هذا كاذب يجيء بالباطل . الى غير هذا من القال والقيل. ثم قال والدي نحن سكان الزهرة مأمورون بتأييد الحق نحن راضون بحقوقنا راضون بما قسم الله تعالى لنا . من نصر منكم في الارض محقاً على مبطل فقد جعله الله قاضياً في الزهرة

(١) عتله اخذه بمجامعه وجره عنيفاً فحمله

(٢) استدام غريمه رفق به (٣) المستدمي الذى يستخرج من غريمه دينه بالرفق

(٤) البلغة ما يتبلغ به من العيش اى القوام منه (٥) استنظر. ان شرح هذه الكلمة بجانبها كغيرها اي اطلب الامهال .

الفصل التاسع منهُ

﴿ في العقاب ﴾

قال والدي يظهر لنا نحن سكان الزهرة اننا نرى ونسمع ما أنقله اليك. يساق الجاني الى ساحة العقاب وهي متسعة جداً لا يرى أوسع منها فيسمع الخلق كلهم اينما كانوا رعداً قاصفاً هائلاً مرعباً ويبصرون الزهرة وكل من عليها يتلألأ بنور يكاد يخطف الابصار وهو نور العدالة من عند الله جل جلاله فيطرقون وهم يستغفرونه عز ثناؤه بجوارح خاشعة وقد دهشوا هيبة ووقاراً وبعد نحو دقيقة والعباد على ما وصفت يسمعون صوتا جهورياً عظيماً مهيباً ترتعد منه الفرائص وترتجف الابدان رعباً وهلعاً من خشية الله ذي العظمة والجلال حتى تكاد القلوب تنخلع والعقول تضطرب فيصرخون بصوت واحد « ارحمنا ياأيها اللطيف بعباده » ويخرون لوجوههم ثم يصغون ليسمعوا حكم الله العادل وهو هذا

« لقد حكمنا عليك ياأيها العاصي بان تخرج نفسك من جسدك هذا وبان تدنى وتقل مداركها وتنزل في صلب الرجل الفلاني فرحم المرأة الفلانية من بني آدم في بلد كذا من الكرة الارضية وحالة كذا فتلبس ذلك الجسم جسم العار غير ذاكرانك من سكان الزهرة وانك كنت فيها سعيداً . وقد جعلنا لك هذا النسيان رأفة منا بك . فاذا عشت في الصلاح والفضيلة أعدناك الى هنا باحتفاء وذلك بعد انقضاء ايامك في الارض ومحونا عنك العار الذي لبسته بمعصيتك فلا يعيرك أحد بلبسه فاذا أثمت ثانياً ضاعفنا عقابك واعدناك

الى الارض . فاذا عشت في الصلاح وتممت ايامك فيها بالفضيلة رجعناك الى الزهرة من غير احتفاء ومن دون ان تدخل المدينة العظمى مدينة القضاة ولو كنت من سكانها . فاذا داومت على الاثم في الزهرة وتماديت ضاعفنا عقابك واعدناك الى الارض ثالثاً فاذا أتممت ايامك بالصلاح والفضيلة سمحنا لك بان تدخل الزهرة غير اننا نغلق في وجهك باب المدينة العظمى ونترك عليك سمة العار . فاذا أبيت الا الاصرار على غيك وتماديت فيه سجناك في زحل حيث لا تكون مدتك اقل من خمسمائة سنة تكابد فيها العذاب الاليم . وبعد انقضاء سنيك نرسلك الى المريخ لا تدخل الجنة فتكون في منزلة حقيرة . فاذا لم تعش في الارض بالصلاح والفضيلة غير انك اذا تبت قبل انقضاء مدتك رجعناك بعد انقضائها الى الزهرة من دون احتفاء رافعين عنك سمة العار الا انك لا تسكن المدينة العظمى ان كنت لست من اهلها فتقيم بوطنك الى ان يتم عمرك فنرسلك الى الجنة ولكنك لا تجلس مجالس الذين اطاعوا ولم يعصوا . فاذا رجعت الي المعاصي أعدناك ثانياً وثالثاً الى الارض نضاعف عقابك في المرتين ثم نرسلك الى زحل اذا لم ترعو عن غيك كما اعلنا لك . فاذا أثمت في الارض وتبت قبل ان تتمم ايامك وكانت توبتك غير كاملة ارسلناك الى مدينة التكفير في القمر . فاذا عشت فيها تقياً نقياً كفرنا عن

---

(١) لقد أشار على بعض الائمة الافاضل بأن أكتب ما يأتي . اعلم يا أيها القاري اللبيب انني لست ممن يقولون بمذهب التقمص أو التناسخ أو خلق النفوس قبل الاجساد وقد أحلت هذا الجسم البالي للاقتصاص منها . فكل ما يمر أمامك مما لا يطابق الدين القويم ان هو الا خواطر شعرية مباحة ورب شعر في نثر ونثر في شعر . والمقصود منها تهذيب الاخلاق وتفكهة القارئين.

آثامك وعفوناعنك واعدناك الى مدينتك قبل نهاية مدتك فتدخلها باحتفاء فاتحين أمامك ابواب المدينة العظمى اذا كنت من سكانها بعد ان نمحو عنك علامة العار والا فلا نعفو فتقيم الى ان تتمم مدتك . فبعد نهايتها نعيدك الى الزهرة لايحتفى بك ولا تمحى عنك سمة العار وان تدخل المدينة العظمى فاذا اثمت في الارض ومت ولم تتب ولم تبرأ ذمتك بالرد والتعويض ارسلناك الى زحل ثم المريخ لا تدخل الجنة كما افصحنا لك »

هنا قال والدي اني لاعترض على نفسي عنك فأقول ان الاثيم يحكم عليه بأن ينزل الى الارض ويقيم بها ويعود كما علمت ومن المعلوم ان الله تعالى يجعله فيها ضعيفاً تؤثر فيه المؤثرات وتهيجه المهيجات فيأثم بضعفه اثماً يستوجب به السجن في زحل فيقع في عقاب ثان اشد واقوى من الاول لم يعينه الله بحكمه في الزهرة ولم يعانه فهل من العدالة ان يضاعف عقابه بعد تعيينه . فأرد واقول ان هؤلاء المحكومين الذين يرسلون الى الارض ثانيا وثالثا والذين يسجنون في زحل هم الذين كانت آثامهم في الزهرة كثيرة فاستوجبوا السجن فيه الا انهم لم يكونوا من القتلة فرفق الله تعالى بهم وأمر فارسلوا برأفة منه الى الارض لعلهم يتوبون فيها . فمنهم من يتوب ويعود الى الزهرة فينجو برفق الله ورحمته من عذاب زحل الاليم

قال فحينما ينتهي اعلان الحكم ينقطع الصوت ويغيب ذلك النور فيقف الخلق فيبصرون نفس المحكوم تخرج منه في هيئة افعى تسقط وتتوارى فيبقى الصدى (١) فيأمر قاضي المحلة اهل المحكوم بأخذه وحفظه فأن لم يكن له اهل فيرفع الى محل اعد له ثم ينصرف الحاضرون

(١) الصدي جسد الانسان بعد موته

إن المديون الذي لا يستطيع الدفع اذا حكم عليه بالانزال الى الارض يدفع عنه قاضي البر

اما الذي يتسبب باغاظة غيره ويهيجه الى الشر فيعاقب. واما مدة الحكم فهي اليوم من دقيقة واحدة الى مائة وتسعين سنة. فالمحكوم عليه بدقيقة يقضيها في الرحم ويسقط منه ويعود الى الزهرة. ومن المحكومين من يحكم عليهم بالسقوط الى الارض وفيهم حياة فيتمون ايامهم ثم يموتون ويعودون. على ان الذين يموتون في الارحام قبل ان يخرجوا منها هم الذين كانت خطيئاتهم صغيرة

هذا وان اماكن المحكومين تعين في الحكم كما سبق الكلام فمنهم من يحكم عليهم بالانزال الى جهات حارة ومنهم الى انحاء باردة ومنهم الى معتدلة ومنهم من يحكم عليهم بان يولدوا ويعيشوا في الفقر اوفي الغنى. ومنهم من يحكم عليهم بأن يرتاشوا دائماً ويؤثلوا اي ان تحسن حالهم. ويكثر مالهم. ومنهم من يحكم عليهم بان تتسعسع حالهم دائما وان يخدعوا. ويضيقوا. ويرزحوا ويخلوا ويتربوا و يبذوا. وهوان تنحط حالهم. ويقل مالهم. ويضيق عليهم معاشهم. ويضعفوا ويذهب مافي ايديهم. ويحتاجوا. ويخسروا ويفتقروا ويلصقوا بالتراب من الفقر. وترث هيئتهم وتسؤ حالهم. ومنهم من يحكم عليهم بأن يبهروا أو بأن يبوطوا وذلك بأن يستغنوا بعد فقر. أو أن يذلوا بعد عز ويفتقروا بعد غنى. ومنهم من يحكم عليهم بأن يولدوا في العز أو في الذل. في الشقاء أو شبه السعادة لأنه لا سعادة في الارض.

ومنهم من يحكم عليهم بالعقم وبمعاناة المصائب والمكاره الظاهرة أو الخفية منهم من يحكم عليهم بالعمى أو العور أو العرج أو الشلل أو الصمم أو

الزمانة (١) . أو بالعمى والشلل والصمم معاً مثلاً ونحو ذلك مما يصيب الانسان أياماً وأوقاتاً معينة ومختلفة بحسب الجرم أي ان بعضهم يولدون عمياً عوراً عرجاً كتعين (٢) شلاً وكماً كسحاً حدباً قعساً جنفاً كشماً . وبعضهم يعاقبون بعد ولادتهم بالعمى أو العور أو العرج ونحو ذلك أو بعلتين وعاهتين (٣) وزمانتين أو بثلاث أو بأكثر في وقت واحد . غير ان الله تعالى لا يعاقب بالأمراض المادية الخصوصية . ولا بالموت العمومي الدنيوي (ما خلا العقاب الموقوت كما سيجيء) ولا يعاقب بالجرح والقتل والسلب والتعذيب ونحوها لانه نهى عنها . والحاصل أن أحوال الانسان والتغييرات التي تطرأ عليه ما خلا ما استثني منها كلها بحكم الله

قال ومن المحكومين من يولد على هيئتي أبيه وأمه معاً . أو على هيئة أحدهما فيكون نجلها في الزهرة أو نجلاً لواحد منهما

ومن المعلوم أن بني آدم يختلفون بعقولهم وهم من عرق واحد على ما تقولون فالأخ يختلف عن أخيه ذلك لأن أحدهما ذكي والآخر أبله . أو يختلفون في طباعهم وبعض ألوانهم . أو يختلفون في كل شيء . وحل ذلك هو أن كل واحد منهم من نسل في الزهرة فمن كان عاقلاً فيها وان دني

---

(١) الزمانة العاهة وعدم بعض الاعضاء وتعطيل القوي والاطباء يخصونها بالشلل وهو يبس في اليد

(٢) الشل جمع الاشل والشلاء من الشلل وهو يبس اليد وذهابها . الوكع من الوكع وهو ميل الاصابع قبل السبابة حتى تصير كالعقفة خلقة أو عرضا والمقصود هنا أن يكون خلقة . القعس نقيض الحدب وهو خروج الصدر ودخول الظهر . الجنف انحناء الظهر . الكشم نقصان الخلق والحسب والاكشم الناقص الخلق

(٣) العاهة الآفة

عقله حين خروج نفسه من جسمه وإنزاله الى الارض فهو بالطبع يمتاز عن الجاهل الذي دني عقله أيضاً وقس على هذا غيره

أما الانبياء والرسل فانهم ينزلون الى الارض وهم ابرار اطهار وذلك رحمة للعباد . ينزلون طائعين مختارين ويلبسون برضاهم الجسم الآدمي . ينزلون ويقاسون التعذيب والقتل والذل وخصوصاً التكذيب الذي هو أصعب شيء عليهم . وهم لا يكونون الا من رؤساء القضاة

وبعد نهاية مدة نبوءتهم ورسالتهم يعودون الى مدينة القضاة في الزهرة بأبهة وإجلال من عند الله يقول فيهما الواصفون اننا لعاجزون عن وصفهما ولو اجتمعت بلاغة البلغاء وفصاحتهم في كلامنا فان مجد الله يملأ الزهرة فيتلألأ كل ما عليها ويبتهج الخلق ابتهاجاً لا مزيد عليه مدة ثلاثين يوماً فينقل ذلك النبي أو الرسول بمركبة برقية الى الجنة فيجلس بين يدي الله تعالى

ان الذين يعذبون من الانبياء والرسل ويقتلون يمتازون عن سواهم بمجد أعظم من مجدهم

أما الملوك فانهم من أعاظم رجال الزهرة المحكومين أيضاً فاذا عاشوا في صلاح وفضيلة وعدلوا ولم يقصروا في واجباتهم نحو الرعايا عادوا بعد انقضاء أيامهم الى الزهرة بأبهة فيقيمون بالمدينة العظمى سبعة أيام ثم يرسلون بمركبات خصوصية الى الجنة . غير أنهم لا يساوون الانبياء والرسل بالعظامة والاجلال فيجلسون بعدهم

فاذا جاروا وظلموا اوعتوا وطغوا اوعصوا وخالفوا ولم يضعوا الاشياء في محلها ولم يرعوا الرعايا حق رعايتها عوملوا معاملة سائر سكان الزهرة الذين أنزلوا الى الارض من غير امتياز فكل واحد منهم يعاقب بحسب أعماله

وأما سرورهم الأرضي وكدرهم فانهما ناجمان عن أعمال رعاياهم أولاً ثم عن أعمالهم ثانياً فاذا أدرك الملك الفساد وتدارك الأمة وأصلحها فقد أصلح نفسه معها وعاشوا جميعاً عيشاً هنيئاً رغيداً بقدر الامكان

الفصل العاشر منه

﴿ في القتل العدواني ﴾

قال والدي ان الله تعالى جعل جريمة القتل اعظم وافظع من سائر الجرائم لانه جل جلاله خالق عباده لينموا ويكثروا فلا يسمح لاحد بان يمد يديه اليهم بأذى . ولان القتل يخالف قاعدة كبرى من قواعد الدين وهي المحبة وعليه فلم نسمع منذ قرون بحادثة قتل او جرح في الزهرة والقمر

ان القاتل الذي يعزم عندنا على القتل ويرتكبه ولو مدة نصف ساعة قبل وقوعه يرسل حالاً الى زحل حيث لاتكون مدة سجنه اقل من الف سنة وبعد ذلك يرسل الى المريخ من غير ان يدخل الجنة . فيا ويل نفوس أقاربه واصدقائه ما اشدها حزناً عليه وخجلاً منه. والذي يصمم على القتل ويقترفه وهو في الارض يرسل بعد انقضاء ايامه فيها الى زحل ومدة سجنه لاتكون اكثر من الف سنة . فاذا تاب وندم وكانت توبته كاملة وندامته تامة فلا يعفى من سجن زحل إلا ان سنيه فيه اقل من سني الذي لايتوب ولايندم . ويشترط في توبة القاتل النادم ان يساعد ما استطاع عيال القتيل

اما القاتل المتهور غير المصمم فاذا تاب في الارض وندم توبة وندامة كاملتين تامتين وساعد الذين كان يعولهم المقتول بقدر استطاعته فيسجن بعد

مضي ايامه في مدينة التكفير مدة لا تقل عن مائة وخمسين سنة يرسل بعدها الى الزهرة من غير احتفاء ومن دون ان يدخل مدينة القضاة ولو كان من سكانها وتبقى عليه سمة العار . والساعي في القتل والمحرض عليه والمشارك فيه هم جميعاً بحكم القتلة . والذي يكرر القتل يزاد عقابه في كل مرة ضعفين . والذي يعزم على القتل فلا يقوى عليه عدَّ من القتلة غير المصممين . و الذين يعذبون ثم يقتلون يضاعف عقابهم

الفصل الحادي عشر منه

﴿ في القتل الديني ﴾

قال والدي ان من الجنايات الفظيعة التي يتأسف على مرتكابها سكان الزهرة ويعجبون من الاقدام عليها ويتألمون منها تألماً شديداً عظيماً جناية القتل الديني (حسب اعتقاد كثيرين من الأمم) ذلك ان يفتك الانسان بمن لم يتدين بدينه و تعد هذا الفتك قرباناً يقرب به لله تعالى فيقتل ويفتك ويذبح وينحر ويصبر (١) ويتفنن في التعذيب وهو يذكر الله تعالى الذي امره بالرأفة والرحمة ويستعين به فتراه في ورع وخشوع يهلك ونفسه متبهجة . يخضب يديه بدم اخيه وصدره منشرح . يعذب نسيبه الذي يستغيث به وقلبه طيب

ان الله حرم القتل بجميع انواعه فكيف يجزؤنه ويقسمونه وينوعونه

(١) صبر الانسان وغيره على القتل حبسه ورماه حتى يموت و يقال للرجل اذا شدت يداه و رجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه أو حبس على القتل حتى يقتل قتل صبرا . وصبر فلانا اكرهه وألزمه حلفه صبرا أو قتله صبرا

ويجعلون بعضه حلالاً وبعضه حراماً قسماً منه منهياً عنه ونوعاً مأموراً به

يغصب الشقيق شقيقه على دينه وكلاهما يبتهلان الى الله ويستعينان به .

ما اقبح تلك المذابح الدينية . ما افظع تلك السجون التي كانت ممتلئة بآلات التعذيب . ما اردأ بني آدم . ما أجهلهم ما أعظم غفلتهم . يابني آدم أتعلمون انكم أشرس من الوحوش المتضورة . ان الوحوش المفترسة تتظلم اذا شبهناكم بها

قال اما الذي يقتل وهو يحسب انه يقرب قرباناً لله تعالى فيعد قاتلاً ويعاقب. ويعاقب معه ذاك الذي أغواه وامره عقاباً لا اشد منه ولا اقوى وهو لا يخرج من زحل الا بعد خروج آخرسجين بعشرين الف سنة وبعد ذلك ينقل الى المريخ لا يكلمه أحد فيه ولن يدخل الجنة

الفصل الثاني عشر منه

﴿ في القتل الحربي ﴾

قال والدي ان كل من اثار فتنة وتسبب في حرب حمل وزر كل مقتول وعوقب عن كل قاتل . وكل من اخمد فتنة ومنع حرباً فقد غفر الله سبحانه وتعالى له سيئاته وعده من الذين عملوا الصالحات

اما الذين قتلوا في الحروب وقد امرهم بها حكامهم فتغفر ذنوبهم بدمائهم ويعودون الى الزهرة . فاذا قتلوا وهم صالحون أرسلوا الى الجنة ليجالسوا الابرار معززين مكرمين

الفصل الثالث عشر منه

في القتل السياسي والمدني العقابي بالأرض

قال والدي ان القتل السياسي والقتل المدني العادي معدودان عندنا من القتل المنهي عنه ولو كان بحكم حاكم والسجن فيهما اقرب الى التقوى والرحمة والعفو في بعض الاحوال جائز . اما الذين يقتلون عمداً والذين يكررون القتل فيعاقبون بالسجن المؤبد

الفصل الرابع عشر منه

في لو علم المحكوم ما كان عليه لاجتنب الآثام

قلت لوالدي لو علم المحكوم المقيم بالارض ما كان عليه في الزهرة من السعادة لاجتنب الآثام . فقال لقد علمت مما تقدم ان الله تعالى حينما يحكم على الاثيم ويهبطه الارض يقول في الحكم ما معناه « غير اننا لا نجعلك تذكر انك كنت متنعماً في الزهرة وذلك رأفة منا بك» لانه تعالى يعلم انه اذا جعله يتذكر ايامه في الزهرة وعيشه الرغد بها كان الحكم شديداً بل اشد عليه من الشدة .فان المخلوق مهما كان اثيماً في الارض لا يستحق هذا العقاب .الا ان سجين مدينة التكفير وسجين زحل يذكران الزهرة ويريانها . وهذا عقاب خصوصي للذين لا تكون توبتهم كاملة . وللذين يتمادون في المعاصي وينغمسون في الآثام ولا ينتهون عن المحارم والكبائر . غير ان المقام بمدينة

التكفير ليس بمستكره كالمقام بزحل. ومدة التكفير غير طويلة غالباً واكثر المكفرين يسمح لهم ان يقيموا بالمدينة نفسها من غير أن يسجنوا. لا يعذبون ولا يشكون غير فراقهم الزهرة . والعبرة للكثير في جميع الاشياء

ثم قال ان المخلوق يطمح ويجمح فيمسي عبد الشهوات واسير الاهواء مرتكباً جسوراً حيث لا محل للجسارة والاقدام ذلك لانه يرى ويسمع الحكم على الاثيم في الزهرة فيرتعد بدنه ويستغفر وهو يشاهد تجريد المحكوم عليه من جسده ويبصر خروج نفسه منه بصورة افعى قبيحة ويبصر في بعض الاحيان سكان الارض يعذبون فتنبض فريصته رعباً ويبصر كيف يموت الابرار ومع هذا كله فانه لا يعتبر بل يأثم ويندم ثم يعود الى الزهرة ويأثم ايضاً فيرجع الى الارض وهذا منتهى العجب . لا تقل في سرك ليت الله تعالى يرسل الينا في كل مدة نبياً يدعو الى الخير والفلاح بالمعجزات (ولقد كنت عزمت في سري أن أقول هذا فعلمه قبل أن افوه به) أما كفى ما قتل الناس عندكم من الانبياء وعذبوا من الرسل وكذبوا فعليكم بكتبهم فهي كافية وافية واستمسكوا بها واسترشدوا

قال لقد قلت «ان المخلوق يبصر في بعض الاحيان سكان الارض يعذبون» أي ان الله تعالى اذا رأى عبده في الزهرة قريباً من الانحراف عن الحق أراه سكان الارض وهم يعذبون وذلك ليعتبر

الفصل الخامس عشر منه

(في عذاب زحل)

وقلت لوالدي صف لي عذاب زحل هل هو نار محرقة أم غير ذلك

فقال ان الله عز ثناؤه ينهى الخلق عن التعذيب فكيف ينهى عن شيء ويأتي مثله . لقد جعل العقاب من نفس العمل فيصور للمحكوم عليه أعماله بحالة طبيعية وينير قلبه وعقله لكي يشعر بفظائعه ويقدرها حق قدرها ويجعله ينظر المتنعمين من أهل الزهرة والمريخ أيضاً (الا ان المحبوسين في مدينة التكفير لا يبصرون سكان المريخ فعذابهم من هذا القبيل أخف من عذاب المسجونين بزحل) فيعاني عذاباً أليماً شديداً عذاباً قوياً مبرحاً لا يقدر ولا يصبر عنه . وهو ان بعض الارضيين يقتلون ويعذبون ويسلبون ويظلمون ويهينون ويطردون الى غير هذا من الجرائم والكبائر والشرور والفظائع فحينما يذهبون الى زحل تنجلي لهم الحقيقة فتتجسم أعمالهم ويرونها كأنها تجترح في تلك الدقيقة التي هم فيها من غير ان تغيب عنهم وذلك مدة سجنهم .

ماذا يرون يرى القاتل نفسه غالباً يقتل ويعذب نجله الذي ولد له في الزهرة وأخاه وابن عمه وأحد أقاربه أو أحد اصدقائه واحبابه. يراهم يسترحمون ويتذللون بين يديه ليرحمهم ويريحهم من عذابهم وهو يزداد قسوة وتوحشاً فعند ما يتحقق ذلك وفواحش أخرى اقترفها يصير في حالة من العذاب والندم والتأسف والتوجع والتفجع أشد من النار المحرقة .

الفصل الاول من الباب الثالث

(في المحاماة بالارض)

قال والدي ان آفة الحقوق عندكم المحامون. يزداد التزوير والاحتيال

بازدياد المحامين. ان المحاماة حرفة شريفة رفيعة لكن العدد الاوفر من اربابها ادنياء .

يجب ان يكون المحامون من أعاظم الرجال غير اني ارى اكثرهم من سفلتهم .

لا يكون المحامي محامياً الا اذا كان عالماً متبحراً في العلم فمالي ارى الجانب الاعظم منهم جهلاء . هل المحامي الا صادق امين فلماذا تقبلون على الخونة الكاذبين . ان الذي يخون خصمك ويخدعه يخونك بعده . ان المحامين الصادقين يؤيدون الحق ويثبتونه فكيف يجوز لكثير منهم ان يصيروا خصوماً يؤيدون الباطل. ايرجى منهم ان يجتهدوا في تخليص موكليهم وهم اكلة اموال اليتامى والايامى والارامل اتدرون من هم اليتامى هم الصغار القاصرون الذين ظلموا في الارض قبل ان يعرفوا كيف يتظلمون . هم الضعفاء الذين يستمدون القوة من الاقوياء فكيف يغدر بهم . وهم الذين لولاهم لما اشار الناس الى الرحيم وقالوا هذا الرجل من الرحماء

من هن الايامى والارامل هن اللواتي يعرفن كيف ظلم اولادهن ولكنهن لا يعرفن كيف يدرأن الظلم عنهم وهن اللواتي مضى رجالهن وتركوهن الى الذين يتمدحون بالمروءة ويتنافسون فيها وهن اللواتي وكل رجالهن بهن الذين يريدون ان يكفر الله تعالى عن سيئاتهم بالاحسان اليهن الذين لا يريدون الا ان تمتاز المروءة عن النذالة وتتفضل عليها . اي فظاعة افظع من محام يساعد ظالماً على هضم حقوق ايم ويتيم وظلمها

ساعدوني يا اخواني من اهل النخوة والانسانية على لعن هذا المحامي اجهروا معي باخزائه وانتم لا لوم عليكم ولا جناح . اية لعنة اعدل من اختها

هي التي تنقض على هذا المحامي فتصعقه بصاعقة من غضب الله تعالى وسخطه اية لعنة تقول اللهم انك اسقطتني على ماعون لعنت به فأعوذ بك منه هي التي تسقط على رأس ذلك الظالم الرجيم

هل يجوز للجانب الاكثر من المحامين ان يجدوا في تبرئة اللصوص والقتلة . من دافع عن لص وقاتل معروفين باللصوصية والقتل فقد شاركها فيهما

لا ادري متى يمن الله تعالى على المجتمع الانساني فيكف عنه اولئك البغاة الطغاة ويدحقهم دحقاً دحقاً .

ياويلكم يا ايها المحامون الظالمون الذين يساعدون الباغين على بغيهم من انتم وما هو شغلكم وعملكم أأنتم انصار الحق أأنتم الطبقة الاولى من البشر . أأنتم الذين يطلب الناس عندكم حقوقهم ودماءهم ويصونون بكم أعراضهم ويحفظون أموالهم . أأنتم المصابيح النيرة التي يستنير بها الحكام . أبكم يستضيئون ومنكم يقتبسون . أفيكم ينافسون . أاليكم يرجعون أعليكم يعتمدون أأنتم ملاذ المظلومين وملجأ الضعفاء .

أنتم مبدأ الطمع وداعي اللصوصية . أنتم منشأ اللوم وعلة التهييج ومعدن الفساد . أنتم مصدر الاغراء وأس الاحتيال وسبب الخصام . أنتم منبع الشر وجرثومة المكر وواسطة الغدر ومادة الفتك . أنتم أصل الظلم وفرع البغي ومنجم الباطل . أنتم غاية الفظاعة ونهاية الدمار وأنتم أنتم الذين استحيي أن اخاطبكم بقولي لكم انتم

اما أولئك الافاضل الذين يأخذون بيد المظلوم ويضربون عن يد الظالم. وأولئك الذين يفرقون بالقناعة ويوتفعون بالمروءة ويتسامون بالنشاط.

ويدرأون عن نفوسهم الشبهات بالامانة والنزاهة . واولئك الذين اذا حكموا انصفوا واصلحوا ما افسده الظالمون . وأولئك الذين لا يراوغون فهم الذين تبتهج الانسانية بذكرهم الصالح وتسأل الناس رفيعهم ووضيعهم ان يميزوهم ويخصوهم بالتكريم والتعظيم لانهم دعاتها وانصارها وهذا قليل من كثير

اذا اختارت الحكومات المحامين مثلما تختار اعضاء المجالس فمن كان منهم صالحاً أعلت منزلته وثبتته ومن كان فاسداً منعته وطردته كثر خيرهم وقل شرهم

الفصل الثاني منه

﴿ في قضاة المحاكم الارضيين ﴾

قال والدي من ظن في نفسه انه قادر على القضاء لم يعرف منزلتها من الجهل ومن استخف بالقضاء فقد استخف به الناس ووجب منعه منه . لا يكون الرجل منكم قاضياً الا اذا كان حكيماً ولا يكون حكيماً الا اذا كان عادلاً عالماً حليماً كلامه موافق الحق ولا يكون حكيماً أيضاً الا اذا وضع الشيء في موضعه

من كان فيه صواب الامر وسداده ومن كان يحكم القول والفعل ويمنع نفسه مما لا ينبغي لها فهو الحكيم . فانظروا الى الكثيرين من قضاتكم وأعضاء مجالسكم هل هم حكماء وهل يصلحون للقضاء . هل هم قانونيون وهل لهم من قوة الحجة والمعرفة ما يؤيدون به الحق وهل لهم ألسنة تتكلم وهل

يفهمون ما يتلى عليهم وينقل اليهم وهل يستطيعون الاعتراض ويدركون ان لهم حق الاعتراض أيعقلون يا ليت شعري ماهو وكيف يكون يا عجباً منهم أهو صك يحسبون فائدته ودنانيره . أهو نسيجة حائك يبخسونه حقه . أم هو ثوب بز يغبنون المشتري في بيعه

يا أيها القضاة الذين لستم على شيء من العلم والعقل لماذا تعرضون نفوسكم للذل والاهانة . اني لا ألومكم لانكم تعتقدون ان المثري لا ينقصه بثروته علم وعقل وانه اذا هذى وجب على الناس ان يقولوا أفصح مولانا . واني لا ألومكم يا أكثر الاعضاء لانكم بله لا تعقلون . ولكنني ألوم أولئك الذين يمدحونكم ويعرضون اسماءكم يوم توزيع الاسامي كما تقولون في اصطلاحكم . لماذا يختارونكم أيعتقدون انكم أكفاء للقضاء وللذين يشاركونكم فيه . فان كان هذا اعتقادهم فهم مثلكم ودونكم . وان كانوا يعرفونكم حق معرفتكم فلماذا يحكمونكم في حقوق العباد و يعرضونكم للمذلة والاحتقار ألم يكن اكرم لكم لو تواريتم في مخازنكم عن عيون النقادين . تطلبون المعالي بالقضاء وهو يجعلكم اضحوكة . انتم ترضون بالهزء وتقبلون السخرية واما الامة فلا ترضي ان تنوبوا عنها لان النواب يجب ان يكونوا من العقلاء المميزين العارفين ما للامة من الحقوق وما عليها من الواجبات . تريد الامة رجالاً يحافظون على حقوقها ويرعون كل امورها واما انتم فتضيعون الحقوق من غير ان تعلموا . يا ويل الذين انتم وكلاؤهم وسفراؤهم تذبون عن ذمارهم وتنتصرون لهم

لقد خذل الذين يستنصرونكم . انكم لاعداؤهم وانكم لمنهم تنتقمون ليتنبه كل من غفلته قبل ان ينبه بسقوطه

الفصل الثالث منهُ

﴿ في الوصاية بالارض ﴾

قال والدي لا تكن وصياً لئلا تتهم وانت بريء ولئلا تغفل عن حق اليتيم والايم المظلومة فيسألك الله تعالى عنهما . ولئلا تغلب حب ولدك على حب اليتيم . ولئلا تستقرض ماله فلا تسطيع رده . ولئلا يخدعوك فتصرفه في غير محله . ولئلا تكون عاجزاً فتؤذي اليتيم والايم وانت تشفق عليهما ولا تريد الا نفعهما

وصيتي اليك ان ترد الوصاية . من اكل مال اليتيم والايم فقد اكل جمرة لا تخمد واستمطر عليه اللعنات تترى الواحدة بعد الاخرى

الفصل الرابع منهُ

﴿ في الحروب والمذابح والفظائع ﴾

قال والدي ليس لي الا ان اقول طوبى لنا نحن سكان الزهرة لنا السعادة والغبطة لنا الخير والحسنى لاننا لا نعاني مصائب الحروب . ان اعراضنا وأوطاننا وكل مالنا مصونة مثل نفوسنا . لا تهلع قلوبنا ولا تنخلع بالمذابح ولا تذل نفوسنا بالاسر . لا نحتم (١) لا نختلف في شيء بالزهرة الا يزول حالاً نعم ان الذين يقتلون في الحروب وهم مأمورون بها تغفر ذنوبهم بدمائهم

(١) احتم الرجل اهتم في الليل أو لم ينم من الهم .

ويعودون الى الزهرة كما علمت ويخلصون من الارض غيران القتل والعذاب يؤلمانهم ويكربانهم وهما غير معينين في الحكم عليهم بالزهرة

ان الملوك عندنا هم رؤساء القضاة وهم موكلون بحفظ الرعايا وراحتها والقضاة كما عرفت يفصلون الخلاف ويصلحون فلا نضطر الى الحروب التي نتلاشى بها ولا يقوم الاقوياء على الضعفاء ولا يثور الكبراء على الصغراء . لا تهجم الشعوب على القبائل ولا القبائل (١) على العمائر ولا العمائر على البطون ولا البطون على الافخاذ ولا الافخاذ على الفصائل فيتفانوا ويتلاشوا

لا تغصب كل امة أختها وتسلبها حقوقها الطبيعية والوضعية وتتسلط على خيراتها وتستعبدها . لا جنود عندنا ولا قواد ولا مهندسو حرب ولا اسلحة . لا نتنافس في اختراع الاسلحة السريعة الملاشاة لا نتفاخر بالحيل والمكامن المعدمة الحياة . لا نتبارى بالتغلب والقهر وفتح المدن والقلاع والحصون كما أنتم تتبارون . لا قلاع ولا حصون عندنا في الزهرة . لا نجعل النساء أيامى ولا الاطفال يتامى . لا نجري دموع الامهات حزناً على فتيانهن الذين يذهبون وهم في مقتبل العمر فرائس الاطماع . يداسون تحت الاقدام

(٢) قال صاحب الكشاف الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب . والقبيلة . والعمارة . والبطن . والفخذ . والفصيلة . فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر . والعمارة تجمع البطون . والبطن يجمع الافخاذ . والفخذ تجمع الفصائل . فخزيمة شعب . وكنانة قبيلة . وقريش عمارة . وقصي بطن . وهاشم فخذ . والعباس فصيلة وقد زادوا طبقة سابعة وهي العشيرة يريدون بها بني الاب الاقربين

يدوس الاخ اخاه ويهلكه وهو لا يدري

لا مغيث لمستغيث ولا مجير لمستجير . اذا اراد راحم ان يرحم ومساعد ان يساعد في احتدام نيران المعامع فلا يجدان الى الرحمة والمساعدة سبيلاً

ماذا تفعل عندكم في تلك الساعة جمعية الصليب الاحمر المحمود سعيها تنظر الى بني الانسان وقلوبها تتقطع توجعاً وتفجعاً . هناك التوحش الذي يستفظعه و ينفر منه من الف كل فظيع بل التوحش الذي هو اشد من توحش الوحوش الضارية التي تلتهب أحشاؤها جوعاً وعطشاً . ماذا اقول و كيف اصف ذلك التوحش اقول انه اشد وافظع واقبح واردأ من الشدة والفظاعة والقبح والرداءة . ليتوار الانسان في وهاد الارض واغوارها . ان هذا الانسان لفي جنون فقد غلبته كبائره وشراسته حتى ضاع رشده فيا ليته يعقل ويدرك ما يفعل و ياليته يبصر . لقد عمي وعمه (١) ولكن عن الرحمة والخير

ما أكثر طمعك يا انسان ما أشد تكبرك وعجرفتك . ما أعظم شرك وضرك . ما أغراك بالقبائح وأولعك بالفظائع . هو الطمع هو الجشع الخبيثان المؤذيان القاتلان الملعونان لعنات متواليات متتابعات . لقد قادك صالفك الى الشرور و لرذائل والى إهانة نفسك واذلالها بل الى اهلاكها في سبيل اطماعك الدنيئة الساقطة

لقد دنست الارض ونجستها وظلمتها بكبائرك الصادرة عن تجبرك

---

(١) عن الزمخشري العمه كالعمى غير ان العمى عام في البصر والبصيرة والعمه خاص بالبصيرة

وغطرستك . لقد أقلقت الارض وأزعجتها بغدرك ومكرك ودهائك حتى لعنتك وتمنت لك الانقراض لتستريح هي من توحشك فتستأنس بالضواري لكونها أرحم منك فانها اذا شبعت انست واطفت وسكنت وأما أنت يا أيها الانسان الظالم فانك كلما شبعت أشرت وبطرت ونهمت وشرهت وجفوت وقسوت وطغيت وبغيت حتى فقت بالتوحش أعظم الوحوش كما ذكرت فتبرأ الحيوان المفترس منك وتنصل (١) الى الارض والسماء من خياناتك وجناياتك وكل فظائعك فتركك وابتعد عنك ونفر منك لا يساكنك خوفاً على نسله لئلا يتفنن تفننك في التوحش فاختار الأودية والغابات والوهاد والجبال المرتفعة الصعبة المسالك وتوغل في ادغالها واجماتها فراراً منك واعتصاماً بها أنت الذي تفاخر بانسانيتك . وانفرد يحمد ربه ويشكر خالقه على نجاته من وجهك الغضوب لئلا يتطير (٢) بالنظر اليه . أنت الذي تدعي بالمدنية وتحاضر بحضارتك وتباهي بتمدنك الحديث وتباري بدينك ومعتقدك وتغضب وتسخط اذا تنقصها أحد وتكفره كأنك تقي ورع وانت في كل ساعة تهين دينك بقبائحك وتهتك حرمته باقدامك على هذه الرذائل لماذا تغار على شيء لا تعمل به ولا تحبه . كيف تغار عليه وانت بعيد عنه

ما هذا الرياء وما هذه المداجاة . ما هذا النفاق . اهذا كل دينك . ماذا تستفيد منه اذا كنت لا تريده لنفسك لماذا لا تتدين لتريح عقلك وقلبك وجسمك كله . تريد ان تتدين ولكنك لا تجد لك ديناً يحلل

---

(١) تنصل الى فلان من الجناية خرج وتبرأ (٢) تطير بالمشيء ومنه تشاءم

المحرمات ولا ينهاك عن المطامع الدنيئة. قل لي هل انتفعت بها حتى لا تنفك تسعى وراءها. الا يكفيك ما اقترفت وما جمعت. يا ليتك اكتفيت واسترحت وارحت. انك شرير لا تريد الا الآثام والشرور حتى صرت تمدح الشر واهله. ارحم نفسك يا ايها الانسان ولا تهلكها. لك العقل يا عبد طمعك واسير جشعك واستيقظ من ضلالك وجهلك واعلم اننا نحن سكان الزهرة اذا اردنا ان نضع نفوسنا ونروضها ونتقشف نظرنا بأمر الله اليك عن بعد ونحن نرتعد من لؤمك وقساوتك ومن شدة حرصك فنحمد الله تعالى ونعتبر بك خاشعين

نكره النظر اليك ونتعوذ بالله من شرورك أفهمت ما اقول يا ايها الانسان اقول اننا نتعوذ بالله تعالى من الانسان الاثيم كما تعوذ انت من الشيطان الرجيم فلك الخزي والعار ياويلك يا أيها الانسان الغضوب الشرس بل الويل كل الويل لك يا ايها المتغطرس المفترس

ياايها البشر ابناء آدم ألستم كلكم اقرباء وأنسباء ألستم من سلالة واحدة ألستم اولاد اعمام ألستم من اب واحد وام واحدة. اعقل ياهذا وأدرك وافهم وتيقن انه لو كان آدم في الارض حياً ومات اليوم لاصابك منه سهم بحكم الوراثة لانك ولد من اولاده. أفهمتم ياأيها الارضيون انكم من اصل واحد فكيف تتسابقون الى المقاتل والمذابح وانتم تمدحون في جرائدكم ومجلاتكم وتآليفكم وفي منابركم وانديتكم وتقولون هكذا يكون الوطني الغيور على وطنه فانه يفديه بدمه. ألله ألله ماهذه الغيرة الوحشية. ما هذه النخوة الضائرة ماالذي يبعثك ياايها الانسان على هذا الفداء وانت تعيش برفاهية ان

كنت لا تطمع في وطن غيرك . لا يبعثك عليه غير التكبر والتعظم واستحلال ما هو محرم

ألا يقع نظرك يا ايها الوطني الغيور على اخيك حين تقتله الا تأخذك به رأفة فتكف عنه . اني لاعجب كيف لا ترتجف اعضاؤك ساعة قتله وكيف لا يسقط السيف من يدك . اهكذا يفعل حب الذات في الانسان . ليرحمك الله يا ايها الانسان لانك لست تشعر بفظائعك ولا تدري ماتفعل . انك تهدأ فتندم ثم تعود الى اقبح مما كنت عليه

وقال لقد علمت ان بعض الرحماء الافاضل عندكم يسعون الآن في منع الحروب (كما سعى غيرهم في تخفيف بعض ويلاتها فرحمهم الله عز ثناؤه واحسن اليهم) ولكن هذه غاية لا ترام الآن وقد طلبت قبل اوانها ولذلك لم تتم : ولا اقول انهم طلبوها قبل وقتها فقط بل لم يمهدوا لها الطرق ولم يعدوا المعدات الفعالة . ان هذه المسئلة العظمى تقتضي جهداً عظيماً في اعوام تتوالى على الآباء والأبناء

اذا ارادوا ان ينجحوا ويفلحوا ويربحوا رضى الله تعالى التام ويصونوا كل عزيز لديهم فعليهم في اول الامر ان يجدوا في اختيار لغة قريبة المأخذ سهلة الحفظ قليلة الشوارد وجيزة رقيقة يجعلونها اللغة العامة لكي يتقارب البشر عندكم فيتشاركون في المصالح ويتشاكلون ويتوافقون ويتماثلون في العادات والمآكل والمشارب ويتودد كل واحد الى الآخر حتى يصاهر بعضهم بعضاً وتراهم يتشابهون في كل امر . وعليهم في ضمن هذا ان لا يكفوا عن حسن السعي في جعل الناس يقلعون عن التعصب والتحزب معاً وذلك بنشر الرسائل العلمية والمقالات التهذيبية . واذاعة النصوص والنقول والاحاديث الدينية التي هي

أقرب من غيرها الى تأليف القلوب والمساواة بين الامم . وابداء النصائح والروايات المؤثرة تمهيداً لتعميم المحبة والفضيلة ذلك في كل المدارس والأندية التي يجب ان تكون جماعاتها من جميع الاديان والملل المختلفة المذاهب والعادات والاهواء . ويجب أن يجتهد في تعليم التلامذة بعض الفوائد والحكم التي تجمع الكلمة بحفظها وترغبهم في تبادل المنافع حتى اذا خرجوا من المدارس أعدت لهم الشركات الخصوصية لتتحد القلوب بتوحيد المنافع

أما المعلمون فيلزم ان يكونوا من أكابر العلماء المشهورين بالآداب والفضائل وخصوصاً بعلم الأخلاق والا فالفائدة معدومة . ويجب على الشعراء والفوقة (١) البلغاء ومشاهير الكتاب أن يدعوا كل شيء ويدأبوا في الحث والتحريض والترغيب والتشويق والتحبيب بما امتازوا به من البراعة والمهارة في الخطابة والكتابة والانشاء

ولا شك في أن الملوك ورؤساء الاديان والامراء والفضلاء ينهضون عند ذلك نهضة واحدة ويأمرون أمراً نافذاً قاطعاً بامضاء هذا الخير العام وتنفيذه ويعينون جوائز ومناصب للذين يمتازون عن سواهم بالافادة والتأثير في نجاحه وتعميمه كل ذلك بعد أن يكون أولو الامر قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا على صيانة ممالكهم وحفظها من الاطماع

اما الاراضي الخارجة عن العمران البشري التي يعدونها غير داخلة في حقوق الدول والتي لم تدخل في سلطة الامراء العادلين والتي يحسبونها غير مملوكة فيتفقون عليها . وبعد هذا كله فترك الحرب مستطاع والاجماع على السلام سهل

(١) الفوقة الادباء والخطباء

فاذا أجمعوا ثم وقع بينهم خلاف كان جزئياً وكان حله ممكناً (ما دامت ممالكهم والاراضي المباحة مصونة بالمعاهدات كما ذكر) وذلك باختيار محكمين دائمين ينتخبون من ربوات من الشعوب ويعينون لفصل كل خلاف دولي . فاذا حكم على أحد ولم يقبل الحكم كان على الدول المتعاهدة إلزامه وعندي أنه لا يسعه الا الرضى لان البشر حينئذ يصبحون غير الموجودين اليوم . وفي هذا ضمان السلام ان شاء الله تعالى فيالسروركم وحبوركم اذا نجوتم من تلك المصائب الفظيعة الناجمة عن الاطماع

فاذا اتى على ترك الحروب خمسون عاماً لا اكثر انقلب الانسان من حالة الى ضدها فيصبح وديعاً رحيماً ومحباً رفيقاً فتقل المحارم التي منها الطمع وتخف ويلات الارض لان المرء رهين العادة واسيرها فاذا عودته التوحش تعوده حتى يفوق الوحوش وبالعكس

وقال لا تعترض علي بان تقول اذا تم هذا الاصلاح العام وخفت ويلات الارض فلا تصلح لعقاب المجرمين من سكان الزهرة . فاذا اعترضت قلت لك اذا صح هذا الانقلاب (وسوف يصح اذا شاء الله) وقدرنا ان الارض ارتقت به مائة درجة فالزهرة ترتقي خمسمائة وعليه فكلما تقدمت الزهرة خفف الله عقاب البشر في الارض بتقدمها العمومي

حرب الانكليز والبويرس

قلت لوالدي ما ترى في حرب الانكليز والبويرس القائمة الآن في أفريقيا الجنوبية أعادلة هي ام جائرة فأجاب « كل حرب جائرة » فقلت له ان كثيرين يقولون بجور الانكليز . فقال ان الانكليز ولو جاروا وهم اعداء

فانهم أعدل من اولئك الاصدقاء الذين يضحون البوير على مذابح مآربهم يريدون ان يغرقوا الانكليز بدماء محاربيهم فيبيدون عن آخرهم والانكليز لا يغرقون . لقد حمسوا البوير حتى احتدموا واحترقوا او كادوا والانكليز متنعمون بجزيرتهم الباردة . يمدحون بسالة البويرس وثباتهم وهم كلما مدحوا استقتلوا

ان البويرس يدافعون عن استقلالهم ولكن هل ينفعهم الاستقتال . هل يكرهون الانكليز على تركهم . هل يستطيع الانكليز ان يرتدوا عنهم . ان الانكليز مكرهون على الثبات اكثر من اعدائهم . ان الانكليز مهما خسروا فهم الرابحون بعد نجاتهم من هذه الحرب . ان الانكليز يعوضون واما البوير فلا أمل لهم بالتعويض ولو كابروا

ما مثل البوير من الانكليز الا مثل البراغيث من الانسان فانها تقلقه وتحرمه لذيذ المنام وتمتص من دمه غير انها لا تمرضه فاذا طلبها فرت وتوارت ثم كرت عليه فيهب من فراشه ويتأثرها فيدرك بعضها ويختفي بعضها وهكذا الى ان يقل عددها وهو مع ضخامته وعظمه لا يستطيع ان يدركها كلها في وقت واحد لان مداخلها ضيقة وهي خفيفة كثيرة التنقل لا تستقر في مكان فيتتبعها بصبر وحكمة الى ان تحصر فتقبض

لقد اخطأ البوير في استثناء الانكليز من بعض المعاهدات فلو عاهدوهم كما عاهدوا غيرهم من الدول لاصابوا ولكنهم اغتروا بمواعيد بعض كبار السياسيين وغيرهم من المحرضين الذين لا يهمهم الا شغل الانكليز ليتمكنوا منهم بشيء بل ليجعلوهم يتغافلون عنهم

لقد اخطأ ساسة البويرس وقوادهم في غزو بعض المدن من مستعمرة الرأس الانكليزية . لقد خدعتهم امانيهم وزعموا انهم يملكون تلك الامصار . هجموا على قلاع الانكليز وحصونهم فارتدوا عنها مدحورين فعلم انهم رجال غارة لا رجال حرب فلو وقفوا في حدودهم لأمنوا شر الرجعى وذلها التي كانت عليهم انكى من الحرب كلها ولم يكرهوا الانكليز على بذل النفس والنفيس ولم يضطروهم الى تعويض شرفهم بتتبع الحرب . ومما زاد الانكليز رغبة في مواصلة القتال هو استخفاف بعض الدول بهم تنصراً للبوير فكانوا بذلك عليهم لا لهم وهم لا يتأملون .

الفصل الخامس منه

﴿ في السجون والمنافي ﴾

قال والدي اذا اردت ان تعلم اين السلام والسكينة فاذهب لو امكنك الى غرفة من غرف المنفى العظيم والحبس الكبير في مدينة التكفير القائم على هضبة (١) عالية في روضة اريضة تفوح ازاهيرها وتضوع (٢) فتحمل روائحها الرياح الى الروابي والبطاح فترتاح اليها الارواح . وتأمل ترَ المياه النقية العذبة تنحدر من تلك الهضبة متكسرة كأنها تصيح وتصرخ حزناً على فراقها

(١) الهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل خلق من صخرة واحدة أو الجبل أو الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون الا في خمر الجبال أو دون المرتفع من الجبال أو ما ارتفع من الارض والخمر ماوارك من شجر وغيره

(٢) ضاع المسك تحرك فانتشرت رائحته .

اعاليها . تجد المحبوسين في امن وسلام يحمدون الله تعالى غالباً ويشكرونه تجدهم معتكفين على التعبد والتزهد كأنهم في معبد عظيم . كلما حمد المحبوس وشكر تفتحت امامه ابواب الفرج فيزداد تعبداً وتورعاً وتزداد اخلاقه تحسناً فان الغاية من المحابس التهذيب والتأديب برقة وتلطف فيخرج منها كأنه خرج من مدرسة عالية مشهورة بعلم السلوك والاخلاق وقد اتسعت دائرة عقله فأدرك ما لم يكن يدركه قبلاً وتعلم ما لم يعلم لانه تفرغ للتعلم فلم يشغله عنه شاغل ولانه اتعظ بتلك المواعظ وانتصح بالنصائح التي القاها عليه قضاة من مشاهير الرجال الاتقياء والعلماء ذوي الفضل والفضيلة . واولئك القضاة يقفون نفوسهم بالطوع والرضى على خدمة المحبوسين وتعليمهم وتهذيبهم . هذا وان سجن زحل الاعظم الذي يقاسي فيه الاشرار العذاب الوانا نحسبه مدرسة فلا يخرج السجين منه الا بعد ان ينقى من كل عيب ويتجمل باحاسن السجايا ومحاسن المزايا ليكون صالحاً للاقامة بالمريخ

قال واذا اردت ان تبصر شر الانسان وتوحشه وشراسته وتوسعه في فنون القبائح وتقدمه في اختراع الرذائل . واذا طلبت ان تعلم كيف يكون غدر الانسان المتوحش واذا رمت ان تعرف اين تقر الفجور والآثام والكبائر والجرائم واين الدناءة السدومية. واذا رغبت ان تتحقق أين توجد الدنايا اين الفواحش البربرية .واذا شئت ان تنظر اي عالم تنشأ فيه ويلات الانسان ومصائبه ونوائبه ومصاعبه ومتاعبه وشدائده ومكارهه وأكداره وغمومه وهمومه وفواجعه وبلاياه ورزاياه وتنتشر بين البشر عندكم .واذا اوددت لو تتيقن كيف تنبعث الاوخام والاوساخ والادران والاقذار فتتفشى العلل والامراض بكم فقو قلبك وتشجع وادخل ذلك العالم الصغير الا وهو

السجن والمنفى العمومي في قلعة من قلاعكم التي لا تجهلها . ولا إخالك تدخله فاذا دخلته ارتعت من هول وشناعة تلك المرائي والمناظر الكريهة القبيحة لاتدخله لئلا تشمئز ويقفّ (١) شعرك ويتمعر (٢) وجهك ويتقبض جلدك ويقشعر بدنك وترتجف اعضاؤك وينبض عروقك ويحبض قلبك (٣)

هنالك الشتم والتعيير . التهديد والحقد والنميمة . هنالك الكذب والتزوير والمراوغة . الاغتياب والسرقة والجور . هنالك الغدر والمكر والخديعة والغضب هنالك اللطم واللكم والضرب والجرح والقتل . تجد هذه النقائص والجرائم وتلك الرذائل والفظائع والفواحش التي اشرت اليها وتجد اشياء كثيرة غيرها لم اذكرها

ترى كثيرين من المتأدبين اولي الاخلاق الرضية الحسنة يفقدون آدابهم ويضيعون مزاياهم (بعد ما يضمون الى السفلة الادنياء)

يستغيثون ويستجيرون و يتوجعون ويتفجعون و يشكون ويتظلمون ويتململون . ويئنون ويموتون كالكلاب على المزابل والاقذار . تزهق نفوسهم بين القبائح والشنائع والهيمات (٤) ويخلصون وهم سعداء بخلاصهم فيحسدهم اخوانهم الذين يموتون ويحيون كل يوم مراراً مما يعانون ويكابدون

يطلبون ان تخرج ارواحهم فلا يجابون فينتحرون . ان كثيرين منهم يغلب عليهم اليأس فيمسون ويصبحون كالكلاب الكلبى (٥) او الوحوش

---

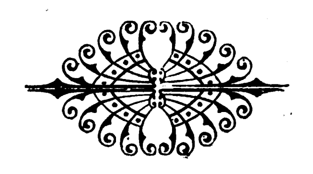
(١) قف الشعر قام فزعا (٢) معر الرجل وجهه غيره غيظا وتمعر وجهه مطاوع معر يقال معر وجهه فتمعر (٣) حبض القلب ضرب ضربا شديدا

(٤) الهيعة صوت الصارخ للفزع وقيل الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو . (٥) الكلب المصاب بداء الكلب ومن يعقره الكلب الكلب جمعه كلبى

الضارية . فاين الرحيمون المشفقون الحنونون الرؤوفون اين مخففو الويلات عن اخوانهم . اين جمعية الصليب الاحمر . اين لجنة الرفق بالحيوان لترفق بالانسان . اين المتبتلون . اين الزهاد . اين النساك المقيمون برؤوس الجبال المعتزلون المنفردون عن البشر في صوامعهم . اين الرهبان المتممون في اديارهم اين الذين ينذرون على نفوسهم تمريض المرضى . اين المتصدقون على المسجونين ليسارعوا الى هذه السجون . ليعلموا جميعاً انه ليس التزهد والتنسك والترهب في تجنب الناس والانزواء والانفراد حب الراحة راحة الابدان اجابة لداعي الكسل وحب الذات المتمكن من قلوبهم وليس التعبد بالفرار من عذاب الدنيا ومشقاتها

يزعمون ويعللون نفوسهم بان لهم في ذلك فضلاً واجراً وثواباً لا فضل لهم ولا اجر ولا ثواب الا بمساعدتهم اخوانهم هؤلاء المسجونين في امثال تلك السجون البعيدة عن الانظار

لينذروا شيئاً من مالهم لينذروا لينذروا لله تعالى خدمة اخوانهم مدة يعينونها بقدر تجلدهم التقوي فيكافئهم الله بنقلهم الى الزهرة فالجنة حيث يجلسون مع الابرار فاذا اقدموا وفعلوا انقلب ذلك السجن من حالة الى ضدها والله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن المحسنين



الفصل الاول من الباب الرابع

﴿ في الطلق والولادة وتربية الطفولة ﴾

قال والدي كل امرأة عندنا خصوف (١) لا تجر (٢) ولدها. تلدوهي تأكل وتشرب وتضحك لا تشكو ولا تئن ولا تتوجع شكوى وانين وتوجع بني آدم بل تضع كانها تمغص مغصاً ليس بشديد . لا تحتاج الى قابلة لانها لا يهددها خطر إننا لا نظائر (٣) لاننا نقول من رضع غير امه فقد تخلق باخلاقها . ان المرأة بعد ان تحجم للمولود اي بعد ان ترضعه أول رضعة ترضعه في كل ساعة حترتين (والحترة الرضعة الواحدة) حتى اذا بلغ الشهر السادس من عمره أرضعته في كل ثلاث ساعات مرة فاذا زادت منعت وعدت جاهلة بين نسائنا وهذا يحدث قليلاً أو لا يحدث . لا تعجوه (٤) ولا تجدعه (٥) ان المرضع عندنا لا تأفل (٦) والرضيع لا يحصأ (٧)

لا تضع الام ولدها في سرير بهز فقد عرفنا انه تنجم عن اخطار عظيمة وربما كانت سبب هلاك الطفل. منها ان الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه

---

(١) الخصوف من النساء التي تلد ولا تدخل في العاشر (٢) جرت المرأة ولدها وجرت به وهو أن يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها بأربعة أيام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم (٣) ظاءرت مظاءرة اذا اتخذت ظئراً . الظئر المرضعة غير ولدها (٤) الام تعجو ولدها أي تؤخر رضاعه عن مواقيته ويورث ذلك ولدها وهناً (٥) جدع الغلام يجدع جدعاً ساء غذاؤه وأجدعه وجدعه أساء غذاءه والحثل أيضا سوء الرضاع وقد احثلته أمه أي أساءت غذاءه . (٦) أفلت المرضع ذهب لبنها (٧) حصأ الصبي من اللبن وحصئ يحصأ رضع حتى امتلأ بطنه

ويحدث له القيء وغير ذلك من الامراض. هذا اذا كان معافى فاذا كان عليلاً متألماً من حالة عصبية دماغية او معدية او غيرها ازداد تألماً بالهز وتمكنت منه العلل

وقد علم ان كثيرين اصيبوا منه بالشوص والحول هذا اذا لم يسقط الطفل من سريره لان في سقوطه الوبال عليه

ومن المعلوم ان الطفل اذا هزز سريره لا ينام في اول الامر الا بعد ان يأخذه دوار وربما كان التهزيز يمدد منه الرقبة ويلوي الرأس وفي كلا الامرين خطر عظيم عليه

تلفه والدته بلفائف من المرن (١) لا تقمطه قمطاً شديداً لئلا يلوي الساقين والقدمين والساعدين واليدين ولئلا يضغط. تضعه في سرير ثابت وتضع عليه لحافاً من المرن يمنعه من التحرك القوي

لا تتركه وحده ولا تقدم اليه مايمتصه ليلتهي به عن الرضاع. يخرج من غرفته في كل يوم ثلاث مرات الى محل طيب الهواء نقيه وبعد خروجه تفتح النوافذ ليبدل هواؤها غير انه يحترز عليه من البرد والحر

لا تسلمه امه الى أحد ولا تتخذ له مربية فان الوالدة أحن على الولد من غيرها وأشد انتباهاً اليه وأحرص عليه

لا تقبله ولا يقبله احد لئلا تنتقل اليه حيوانات فم المقبل الضارة.

لا يضحك تضحيكاً شديداً لئلا تغثي نفسه (٢) او يغمى عليه بل يترك ليضحك

(١) راجع المرن بقراءة الفصل الرابع من الباب الاول في الدور

(٢) غثت نفسه تغثى غثيا وغثيانا وغثيت غثي جاشت وخبثت قال بعضهم هو تحلب الفم فربما كان من القيء وهو الغثيان

حينما يشتهي ويريد ضحكاً طبيعياً

لا تلاعبه امه بخفضه ورفعه ولا تقبض يده بيدها وترفعه أو تجره ٠ لاتضغطه بضمه الى صدرها ولا تجعل ملاعبته الا بقدر جسمه لا بقدر جسمها ٠ اذا لاعبته وانزعج أو كاد تركته حالاً ليستريح ويرتاح (١)

لا تطعمه الا بعد ان يسن(٢) وتقوى أضراسه وأنيابه معاً فان الأسنان وحدها لا تستطيع طحن الطعام وتعيمه فان اطعمته أصيب بعلة الاسنان المعروفة عندكم تقريباً . وبعد الاسنان ونبات الاضراس وخروج الانياب تؤكله والدته أكلاً خفيفاً لطيفاً لا يقاسي في مضغه تعباً لئلا يبلامه. لا تطعمه الا قليلاً قليلاً حينما ترى منه اشتهاء واقبالاً على المطعم فاذا آنست منه قلة في الاشتهاء رفعت الطعام وخففته

اذا ابصر شيئاً ضاراً ولو قليلاً ورغب فيه منعته واجتهدت في تحويل فكره عنه ونقله الى غيره فينتقل . لا يسمع أصواتاً عالية مرتفعة على غرة مزعجة كانت أو غير مزعجة ولا تعرض عليه المتحركات السريعة الانتقال والتغير لئلا تزيد في تحريك عينيه . ولا يحد أحد نظره اليه ٠ ولا ينظره وهو قطوب عبوس ليسكته ويسكنه بالارهاب بل يسكن بالكلام الرقيق ويلهى بالمناغاة (٣) اذا كان الصوت رخيماً لا نبرة فيه فانه يأنس بهما ويطيب خاطره ٠ فاذا ربي هذه التربية فلا خوف عليه ان يقصع (٤) بل ينمو قوياً

---

(١) ارتاح سر ونشط (٢) أي تنبت أسنانه (٣) المناغاة تكليمك الصبي بما يهوى ٠ وناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة ٠ (٤) قصع الغلام أبطأ شبابه وغلام قصع أي بطيء الشباب (يعنى حان وقت شبابه ولم يشب) وقصيع ومقصوع مثل قصع وقصع الغلام ضرب به ببسط كفه على رأسه وقصع هامته كذلك٠

المحرمات ولا ينهاك عن المطامع الدنيئة. قل لي هل انتفعت بها حتى لا تنفك تسعى وراءها. الا يكفيك ما اقترفت وما جمعت . يا ليتك اكتفيت واسترحت وارحت . انك شرير لا تريد الا الآثام والشرور حتى صرت تمدح الشر واهله . ارحم نفسك يا ايها الانسان ولا تهلكها . لك القتل يا عبد طمعك واسير جشمك واستيقظ من ضلالك وجهلك واعلم اننا نحن سكان الزهرة اذا اردنا ان نضع نفوسنا ونروضها ونتقشف نظرنا بأمر الله اليك عن بعد ونحن نرتعد من لؤمك وقساوتك ومن شدة حرصك فنحمد الله تعالى ونعتبر بك خاشعين

نكره النظر اليك ونتعوذ بالله من شرورك أفهمت ما اقول يا ايها الانسان اقول اننا نتعوذ بالله تعالى من الانسان الاثيم كما تعوذ انت من الشيطان الرجيم فلك الخزي والعار ياويلك يا أيها الانسان الغضوب الشرس بل الويل كل الويل لك يا ايها المتغطرس المفترس

ياايها البشر ابناء آدم ألستم كلكم اقرباء وأنسباء ألستم من سلالة واحدة ألستم اولاد اعمام ألستم من اب واحد وام واحدة . اعقل ياهذا وأدرك وافهم وتيقن انه لو كان آدم في الارض حياً ومات اليوم لاصابك منه سهم بحكم الوراثة لانك ولد من اولاده . أفهمتم ياأيها الارضيون انكم من اصل واحد فكيف تتسابقون الى المقاتل والمذابح وانتم تمدحون في جرائدكم ومجلاتكم وتآليفكم وفي منابركم وانديتكم وتقولون هكذا يكون الوطني الغيور على وطنه فانه يفديه بدمه . ألله ألله ماهذه الغيرة الوحشية . ما هذه النخوة الضائرة ماالذي يبعثك ياايها الانسان على هذا الفداء وانت تعيش برفاهية ان

كنت لاتطمع في وطن غيرك . لا يبعثك عليه غير التكبر والتعظم واستحلال ما هو محرم

ألا يقع نظرك ياايها الوطني الغيور على اخيك حين تقتله الا تأخذك به رأفة فتكف عنه . اني لاعجب كيف لا ترتجف اعضاؤك ساعة قتله وكيف لايسقط السيف من يدك . اهكذا يفعل حب الذات في الانسان . ليرحمك الله ياايها الانسان لانك لست تشعر بفظائعك ولاتدري ماتفعل . انك تهدأ فتندم ثم تعود الى اقبح مما كنت عليه

وقال لقد علمت ان بعض الرحماء الافاضل عندكم يسعون الآن في منع الحروب (كما سعى غيرهم في تخفيف بعض ويلاتها فرحمهم الله عز ثناؤه واحسن اليهم) ولكن هذه غاية لاترام الآن وقد طلبت قبل اوانها ولذلك لم تتم . ولااقول انهم طلبوها قبل وقتها فقط بل لم يمهدوا لها الطرق ولم يعدوا المعدات الفعالة . ان هذه المسئلة العظمى تقتضي جهداً عظيماً في اعوام تتوالى على الآباء والأبناء

اذا ارادوا ان ينجحوا ويفلحوا ويربحوا رضى الله تعالى التام ويصونوا كل عزيز لديهم فعليهم في اول الامر ان يجدوا في اختيار لغة قريبة المأخذ سهلة الحفظ قليلة الشوارد وجيزة رقيقة يجعلونها اللغة العامة لكي يتقارب البشر عندكم فيتشاركون في المصالح ويتشاكلون ويتوافقون ويتماثلون في العادات والمآكل والمشارب ويتودد كل واحد الى الآخر حتى يصاهر بعضهم بعضاً وتراهم يتشابهون في كل امر . وعليهم في ضمن هذا ان لا يكفوا عن حسن السعي في جعل الناس يقلعون عن التعصب والتحزب معاً وذلك بنشر الرسائل العلمية والمقالات التهذيبية . واذاعة النصوص والنقول والاحاديث الدينية التي هي

أقرب من غيرها الى تأليف القلوب والمساواة بين الامم . وابداء النصائح والروايات المؤثرة تمهيداً لتعميم المحبة والفضيلة ذلك في كل المدارس والاندية التي يجب ان تكون جماعاتها من جميع الاديان والملل المختلفة المذاهب والعادات والاهواء . ويجب أن يجتهد في تعليم التلامذة بعض الفوائد والحكم التي تجتمع الكلمة بحفظها وترغبهم في تبادل المنافع حتى اذا خرجوا من المدارس أعدت لهم الشركات الخصوصية لتتحد القلوب بتوحيد المنافع

أما المعلمون فيلزم ان يكونوا من أكابر العلماء المشهورين بالآداب والفضائل وخصوصاً بعلم الأخلاق والا فالفائدة معدومة . ويجب على الشعراء والفوقة (١) البلغاء ومشاهير الكتاب أن يدعوا كل شيء ويدأبوا في الحث والتحريض والترغيب والتشويق والتحبيب بما امتازوا به من البراعة والمهارة في الخطابة والكتابة والانشاء

ولا شك في أن الملوك ورؤساء الاديان والامراء والفضلاء ينهضون عند ذلك نهضة واحدة ويأمرون أمراً نافذاً قاطعاً بامضاء هذا الخير العام وتنفيذه ويعينون جوائز ومناصب للذين يمتازون عن سواهم بالافادة والتأثير في نجاحه وتعميمه كل ذلك بعد أن يكون أولو الامر قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا على صيانة ممالكهم وحفظها من الاطماع

أما الاراضي الخارجة عن العمران البشري التي يعدونها غير داخلة في حقوق الدول والتي لم تدخل في سلطة الامراء العادلين والتي يحسبونها غير مملوكة فيتفقون عليها . وبعد هذا كله فترك الحرب مستطاع والاجماع على السلام سهل

(١) الفوقة الادباء والخطباء

فاذا أجمعوا ثم وقع بينهم خلاف كان جزئياً وكان حله ممكناً (ما دامت ممالكهم والاراضي المباحة مصونة بالمعاهدات كما ذكر) وذلك باختيار محكمين دائمين ينتخبون من ربوات من الشعوب ويعينون لفصل كل خلاف دولي . فاذا حكم على أحد ولم يقبل الحكم كان على الدول المتعاهدة إلزامه وعندي أنه لا يسعه الا الرضى لان البشر حينئذ يصبحون غير الموجودين اليوم . وفي هذا ضمان السلام ان شاء الله تعالى فيالسروكم وحبوركم اذا نجوتم من تلك المصائب الفظيعة الناجمة عن الاطماع

فاذا اتى على ترك الحروب خمسون عاماً لا اكثر انقلب الانسان من حالة الى ضدها فيصبح وديعاً رحيماً ومحباً رفيقاً فتقل المحارم التي منها الطمع وتخف ويلات الارض لان المرء رهين العادة واسيرها فاذا عودته التوحش تعوده حتى يفوق الوحوش وبالعكس

وقال لا تعترض علي بان تقول اذا تم هذا الاصلاح العام وخفت ويلات الارض فلا تصلح لعقاب المجرمين من سكان الزهرة . فاذا اعترضت قلت لك اذا صح هذا الانقلاب (وسوف يصح اذا شاء الله) وقدرنا ان الارض ارتقت به مائة درجة فالزهرة ترتقي خمسمائة وعليه فكلما تقدمت الزهرة خفف الله عقاب البشر في الارض بتقدمها العمومي

حرب الانكليز والبويرس

قلت لوالدي ما ترى في حرب الانكليز والبويرس القائمة الآن في أفريقيا الجنوبية أعادلة هي ام جائرة فأجاب « كل حرب جائرة » فقلت له ان كثيرين يقولون بجور الانكليز . فقال ان الانكليز ولو جاروا وهم اعداء

فانهم أعدل من اولئك الاصدقاء الذين يضحون البوير على مذابح مآربهم يريدون ان يغرقوا الانكليز بدماء محاربيهم فيبيدون عن آخرهم والانكليز لا يغرقون . لقد حمسوا البوير حتى احتدموا واحترقوا او كادوا والانكليز متنعمون بجزيرتهم الباردة . يمدحون بسالة البويرس وثباتهم وهم كلما مدحوا استقتلوا

ان البويرس يدافعون عن استقلالهم ولكن هل ينفعهم الاستقتال . هل يكرهون الانكليز على تركهم . هل يستطيع الانكليز ان يرتدوا عنهم . ان الانكليز مكرهون على الثبات اكثر من اعدائهم . ان الانكليز مهما خسروا فهم الرابحون بعد نجاتهم من هذه الحرب . ان الانكليز يعوضون واما البوير فلا امل لهم بالتعويض ولو كابروا

ما مثل البوير من الانكليز الا مثل البراغيث من الانسان فانها تقلقه وتحرمه لذيذ المنام وتمتص من دمه غير انها لا تمرضه فاذا طلبها فرت وتوارت ثم كرت عليه فيهب من فراشه ويتأثرها فيدرك بعضها ويختفي بعضها وهكذا الى ان يقل عددها وهو مع ضخامته وعظمه لا يستطيع ان يدركها كلها في وقت واحد لان مداخلها ضيقة وهي خفيفة كثيرة التنقل لا تستقر في مكان فيتتبعها بصبر وحكمة الى ان تحصر فتقبض

لقد اخطأ البوير في استثناء الانكليز من بعض المعاهدات فلو عاهدوهم كما عاهدوا غيرهم من الدول لاصابوا ولكنهم اغتروا بمواعيد بعض كبار السياسيين وغيرهم من المحرضين الذين لا يهمهم الا شغل الانكليز ليتمكنوا منهم بشيء بل ليجعلوهم يتغافلون عنهم

لقد اخطأ ساسة البويرس وقوادهم في غزو بعض المدن من مستعمرة الرأس الانكليزية . لقد خدعتهم امانيهم وزعموا انهم يملكون تلك الامصار . هجموا على قلاع الانكليز وحصونهم فارتدوا عنها مدحورين فعلم انهم رجال غارة لا رجال حرب فلو وقفوا في حدودهم لأمنوا شرّ الرجعى وذلها التي كانت عليهم انكى من الحرب كلها ولم يكرهوا الانكليز على بذل النفس والنفيس ولم يضطروهم الى تعويض شرفهم بتتبع الحرب. ومما زاد الانكليز رغبة في مواصلة القتال هو استخفاف بعض الدول بهم تنصراً للبوير فكانوا بذلك عليهم لا لهم وهم لا يتأملون .

الفصل الخامس منه

﴿ في السجون والمنافي ﴾

قال والدي اذا اردت ان تعلم اين السلام والسكينة فاذهب لو امكنك الى غرفة من غرف المنفى العظيم والحبس الكبير في مدينة التكفير القائم على هضبة (١) عالية في روضة اريضة تفوح ازاهيرها وتضوع (٢) فتحمل روائحها الرياح الى الروابي والبطاح فترتاح اليها الارواح. وتأمل ترَ المياه النقية العذبة تحدر من تلك الهضبة متكسرة كأنها تصيح وتصرخ حزناً على فراقها

(١) الهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل خلق من صخرة واحدة أو الجبل أو الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون الا في خمر الجبال أو دون المرتفع من الجبال أو ما ارتفع من الارض والخمر ماواراك من شجر وغيره

(٢) ضاع المسك تحرك فانتشرت رائحته.

اعاليها . تجد المحبوسين في امن وسلام يحمدون الله تعالى غالباً ويشكرونه تجدهم معتكفين على التعبد والتزهد كأنهم في معبد عظيم . كلما حمد المحبوس وشكر تفتحت امامه ابواب الفرج فيزداد تعبداً وتورعاً وتزداد اخلاقه تحسناً فان الغاية من المحابس التهذيب والتأديب برقة وتلطف فيخرج منها كأنه خرج من مدرسة عالية مشهورة بعلم السلوك والاخلاق وقد اتسعت دائرة عقله فأدرك ما لم يكن يدركه قبلاً وتعلم ما لم يعلم لانه تفرغ للتعلم فلم يشغله عنه شاغل ولانه اتعظ بتلك المواعظ وانتصح بالنصائح التي القاها عليه قضاة من مشاهير الرجال الاتقياء والعلماء ذوي الفضل والفضيلة . واولئك القضاة يقفون نفوسهم بالطوع والرضى على خدمة المحبوسين وتعليمهم وتهذيبهم . هذا وان سجن زحل الاعظم الذي يقاسي فيه الاشرار العذاب الوانا نحسبه مدرسة فلايخرج السجين منه الا بعد ان ينقى من كل عيب ويتجمل باحاسن السجايا ومحاسن المزايا ليكون صالحاً للاقامة بالمريخ

قال واذا اردت ان تبصر شر الانسان وتوحشه وشراسته وتوسمه في فنون القبائح وتقدمه في اختراع الرذائل . واذا طلبت ان تعلم كيف يكون غدر الانسان المتوحش واذا رمت ان تعرف اين تقر الفجور والآثام والكبائر والجرائم واين الدناءة السدومية. واذا رغبت ان تتحقق أين توجد الدنايا اين الفواحش البربرية .واذا شئت ان تنظر اي عالم تنشأ فيه ويلات الانسان ومصائبه ونوائبه ومصاعبه ومتاعبه وشدائده ومكارهه وأكداره وغمومه وهمومه وفواجعه وبلاياه ورزاياه وتنتشر بين البشر عندكم .واذا اوددت لو تتيقن كيف تنبعث الاوخام والاوساخ والادران والاقذار فتتفشى العلل والامراض بكم فقو قلبك وتشجع وادخل ذلك العالم الصغير الا وهو

السجن والمنفى العمومي في قلعة من قلاعكم التي لا تجهلها . ولا إخالك تدخله فاذا دخلته ارتعت من هول وشناعة تلك المرائي والمناظر الكريهة القبيحة لا تدخله لئلا تشمئز ويقفّ (١) شعرك ويتمعر (٢) وجهك ويتقبض جلدك ويقشعر بدنك وترتجف اعضاؤك وينبض عروقك ويحبض قلبك (٣)

هناك الشتم والتعيير . التهديد والحقد والنميمة . هناك الكذب والتزوير والمراوغة . الاغتياب والسرقة والجور . هناك الغدر والمكر والخديعة والغضب هناك اللطم واللكم والضرب والجرح والقتل . تجد هذه النقائص والجرائم وتلك الرذائل والفظائع والفواحش التي اشرت اليها وتجد اشياء كثيرة غيرها لم اذكرها

ترى كثيرين من المتأدبين اولي الاخلاق الرضية الحسنة يفقدون آدابهم ويضيعون مزاياهم (بعد ما يضمون الى السفلة الادنياء)

يستغيثون ويستجيرون و يتوجعون ويتفجعون و يشكون ويتظلمون ويتململون . ويئنون ويموتون كالكلاب على المزابل والاقذار . تزهق نفوسهم بين القبائح والشنائع والهيعات (٤) ويخلصون وهم سعداء بخلاصهم فيحسدهم اخوانهم الذين يموتون ويحيون كل يوم مراراً مما يعانون ويكابدون

يطلبون ان تخرج ارواحهم فلا يجابون فينتحرون . ان كثيرين منهم يغلب عليهم اليأس فيمسون ويصبحون كالكلاب الكلبى (٥) او الوحوش

---

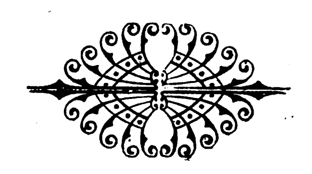
(١) قف الشعر قام فزعا (٢) معر الرجل وجهه غيره غيظا وتمعر وجهه مطاوع معر يقال معر وجهه فتمعر (٣) حبض القلب ضرب ضربا شديدا

(٤) الهيعة صوت الصارخ للفزع وقيل الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو . (٥) الكلب المصاب بداء الكلب ومن يعقره الكلب الكلب جمعه كلبى

الضارية . فاين الرحيمون المشفقون الحنونون الرؤوفون اين مخففو الويلات عن اخوانهم . اين جمعية الصليب الاحمر . اين لجنة الرفق بالحيوان لترفق بالانسان . اين المتبتلون . اين الزهاد . اين النساك المقيمون برؤوس الجبال المعتزلون المنفردون عن البشر في صوامعهم . اين الرهبان المتممون في اديارهم اين الذين ينذرون على نفوسهم تمريض المرضى . اين المتصدقون على المسجونين ليسارعوا الى هذه السجون . ليعلموا جميعاً انه ليس التزهد والتنسك والترهب في تجنب الناس والانزواء والانفراد حب الراحة راحة الابدان اجابة لداعي الكسل وحب الذات المتمكن من قلوبهم وليس التعبد بالفرار من عذاب الدنيا ومشقاتها

يزعمون ويعللون نفوسهم بان لهم في ذلك فضلاً واجراً وثواباً لا فضل لهم ولا اجر ولا ثواب الا بمساعدتهم اخوانهم هؤلاء المسجونين في امثال تلك السجون البعيدة عن الانظار

لينذروا شيئاً من مالهم لينذروا لينذروا لله تعالى خدمة اخوانهم مدة يمينونها بقدر تجلدهم التقوي فيكافئهم الله بنقلهم الى الزهرة فالجنة حيث يجلسون مع الابرار فاذا اقدموا وفعلوا انقلب ذلك السجن من حالة الى ضدها والله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن المحسنين



الفصل الاول من الباب الرابع

﴿ في الطلق والولادة وتربية الطفولة ﴾

قال والدي كل امرأة عندنا خصوف (١) لا تجر (٢) ولدها. تلدوهي تأكل وتشرب وتضحك لا تشكو ولا تئن ولا تتوجع شكوى وانين وتوجع بني آدم بل تضع كانها تمغص مغصاً ليس بشديد. لا تحتاج الى قابلة لانها لا يهددها خطر إننا لا نظائر (٣) لاننا نقول من رضع غير امه فقد تخلق باخلاقها. ان المرأة بعد ان تحجم للمولود اي بعد ان ترضعه أول رضعة ترضعه في كل ساعة حترتين (والحترة الرضعة الواحدة) حتى اذا بلغ الشهر السادس من عمره أرضعته في كل ثلاث ساعات مرة فاذا زادت منعت وعدت جاهلة بين نسائنا وهذا يحدث قليلاً أو لا يحدث. لا تعجوه (٤) ولا تجدعه (٥) ان المرضع عندنا لا تأفل (٦) والرضيع لا يحصأ (٧)

لا تضع الام ولدها في سرير بهز فقد عرفنا انه تنجم عن اخطار عظيمة وربما كانت سبب هلاك الطفل. منها ان الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه

---

(١) الخصوف من النساء التي تلد ولا تدخل في العاشر (٢) جرت المرأة ولدها وجرت به وهو أن يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها بأربعة أيام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم (٣) ظاءرت مظاءرة اذا اتخذت ظئراً . الظئر المرضعة غير ولدها (٤) الام تعجو ولدها أي تؤخر رضاعه عن مواقيته ويورث ذلك ولدها وهناً (٥) جدع الغلام يجدع جدعاً ساء غذاؤه وأجدعه وجدعه أساء غذاءه والحثل أيضا سوء الرضاع وقد احثلته أمه أي أساءت غذاءه . (٦) أفلت المرضع ذهب لبنها (٧) حصأ الصبي من اللبن وحصئ يحصأ رضع حتى امتلأ بطنه

ويحدث له القيء وغير ذلك من الامراض. هذا اذا كان معافى فاذا كان عايلاً متألماً من حالة عصبية دماغية او معدية او غيرها ازداد تألماً بالهز وتمكنت منه العلل

وقد علم ان كثيرين اصيبوا منه بالشوص والحول هذا اذا لم يسقط الطفل من سريره لان في سقوطه الوبال عليه

ومن المعلوم ان الطفل اذا هزز سريره لا ينام في اول الامر الا بعد ان يأخذه دوار وربما كان التهزيز يمدد منه الرقبة ويلوي الرأس وفي كلا الامرين خطر عظيم عليه

تلفه والدته بلفائف من المرن (١) لا تقمطه قمطاً شديداً لئلا يلوي الساقين والقدمين والساعدين واليدين ولئلا يضغط . تضعه في سرير ثابت وتضع عليه لحافاً من المرن يمنعه من التحرك القوي

لا تتركه وحده ولا تقدم اليه مايمتصه ليلتهي به عن الرضاع . يخرج من غرفته في كل يوم ثلاث مرات الى محل طيب الهواء نقيه وبعد خروجه تفتح النوافذ ليبدل هواؤها غير انه يحترز عليه من البرد والحر

لا تسلمه امه الى أحد ولا تتخذ له مربية فان الوالدة أحن على الولد من غيرها وأشد انتباهاً اليه وأحرص عليه

لا تقبله ولا يقبله احد لئلا تنتقل اليه حيوانات فم المقبل الضارة .

لا يضحك تضحيكاً شديداً لئلا تغثي نفسه (٢) او يغمى عليه بل يترك ليضحك

---

(١) راجع المرن بقراءة الفصل الرابع من الباب الاول في الدور

(٢) غثت نفسه تغثى غثيا وغثيانا وغثيت غثي جاشت وخبثت قال بعضهم هو تحلب الفم فربما كان من القيء وهو الغثيان

حينما يشتهي ويريد ضحكاً طبيعياً

لا تلاعبه امه بخفضه ورفعه ولا تقبض يده بيدها وترفعه أو تجره .
لا تضغطه بضمه الى صدرها ولا تجعل ملاعبته الا بقدر جسمه لا بقدر جسمها . اذا لاعبته وانزعج أو كاد تركته حالاً ليستريح ويرتاح (١)

لا تطعمه الا بعد ان يسن (٢) وتقوى أضراسه وأنيابه معاً فان الأسنان وحدها لا تستطيع طحن الطعام وتنعيمه فان اطعمته أصيب بعلة الاسنان المعروفة عندكم تقريباً . وبعد الاسنان ونبات الاضراس وخروج الانياب تؤكله والدته أكلاً خفيفاً لطيفاً لا يقاسي في مضغه تعباً لئلا يبلعه . لا تطعمه الا قليلاً قليلاً حينما ترى منه اشتهاء واقبالاً على المطعم فاذا آنست منه قلة في الاشتهاء رفعت الطعام وخففته

اذا ابصر شيئاً ضاراً ولو قليلاً ورغب فيه منعته واجتهدت في تحويل فكره عنه ونقله الى غيره فينتقل . لا يسمع أصواتاً عالية مرتفعة على غرة مزعجة كانت أو غير مزعجة ولا تعرض عليه المتحركات السريعة الانتقال والتغير لئلا تزيد في تحريك عينيه . ولا يحد أحد نظره اليه . ولا ينظره وهو قطوب عبوس ليسكته ويسكنه بالارهاب بل يسكن بالكلام الرقيق ويلهى بالمناغاة (٣) اذا كان الصوت رخيماً لا نبرة فيه فانه يأنس بهما ويطيب خاطره . فاذا ربي هذه التربية فلا خوف عليه ان يقصع (٤) بل ينمو قوياً

---

(١) ارتاح سر ونشط (٢) أي تنبت أسنانه (٣) المناغاة تكليمك الصبي بما يهوى . وناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة . (٤) قصع الغلام أبطأ شبابه وغلام قصع أي بطيء الشباب (يعنى حان وقت شبابه ولم يشب) وقصيع ومقصوع مثل قصع وقصع الغلام ضرب به ببسط كفه على رأسه وقصع هامته كذلك .

صحيح الجسم والعقل • اذا أخذ في الكلام قومت امه لسانه . اننا لا نعرف الرتة (١) واللثغة (٢) واللكنة (٣) والفأفاة (٤) والتمتمة (٥) والرأرأة (٦) واللجلجة (٧) والخنخنة (٨) والمقمقة (٩) والهتهتة والهثهثة (١٠) والتعتعة والثعثعة (١١) واللفف (١٢) والليغ (١٣) ولا تعرف التبع (١٤)

ان الوالدة مؤاخذة بعي ولدها وحصره وفهاهته فتنبهه على كل كلمة غير فصيحة • كلامنا فصيح بليغ فكانا لسن (١٥) في بيان وتبيان (١٦)

قالوا والذى يفعل به ذلك لا يشب ولا يزداد وغلام مقصوع وقصيع كادي الشباب اذا كان قميئا لا يشب ولا يزداد وقد قصع قصاعة

(١) الرتة حبسة في اللسان • والرتة حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه (٢) اللثغة عقدة وعجز فى الكلام • واللثغة أن يصير الراء لاماً في كلامه •

(٣) واللكنة والحكلة عقدة في اللسان وعجز في الكلام والحكلة أيضا العجمة في الكلام (٤) الفأفأة أن يتردد في الفاء (٥) التمتمة أن يتردد في التاء (٦) الرأرأة أن يتردد في الراء تكلم أو قرأ

(٧) اللجلجة أن يكون فيه عي وادخال بعض الكلام في بعض (٨) الخنخنة أن يتكلم من لدن أنفه . و يقال هي أن لا يبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه (٩) المقمقة أن يتكلم من أقصى حلقه (١٠) الهتهتة والهثهثة حكاية التواء اللسان عند الكلام (١١) التعتعة والثعثعة أيضاً حكاية صوت العي والالكن (١٢) اللفف أن يكون في اللسان ثقل وانعقاد (١٣) الليغ أن لا يبين الكلام • أو يرجع الكلام الي الياء تأتأ تردد في التاء اذا تكلم والاسم التأتأة • العقلة اعتقال اللسان عن الكلام

(١٤) التبع من يتبع بعض كلامه بعضاً والسريع الكلام رجل طمطم في لسانه عجمة لا يفصح (١٥) اللسن جمع لسن و رجل لسن أى فصيح بليغ

(١٦) قيل الفرق بين البيان والتبيان هو ان البيان عمل اللسان والتبيان عمل الجنان وقيل ان التبيان أبلغ من البيان لان الزيادة في الحروف أعطته زيادة في المعنى

الفصل الثاني منه

في التربية وواجبات الوالدين بالارض

قال والدي يجب على الوالدين اذا كانا من الشرسين الذين فسدت سجيتهم وردؤت شنشنتهم . واذا لم يكونا محمودي الخصال ممدوحي الخلال لامزية لهما ولا مدحة ولا فضيلة ولا مأثرة ولا مفخرة ولا محمدة ولا منقبة واذا لم يكونا على شيء من حسن التربية والآداب ان لا يقذفا (١) محصنة سمع اذن ولدهما ولا يمزقا عرض اخ ولا يهرداه ولا يمرداه ولا يفترشا لسانيهما وينحتاه بهما ولا يهرتا عرض بعيد ولا يهرطا عرض عظيم ولا يهتا عرض حقيراي لا يهترا عرض احد من البشر ولا ينالا منه . ولا يغتابا صديقاً ولا عدواً ولا احداً من خلق الله تعالى . ولا ينما على جارة ويسعيا بجار ويشيا بخادم ويقعا في خادمة ويقذعاها ولا يغريا بينهم العداوة . ويجب عليهما ايضاً ان يتحاميا الهجو والذم والثلب والهتر والهجر والتنديد والانتقاص والطعن والقدح وان لا ياسنا احداً ولا يلحواه ويهذأاه بلسانيهما

(١) قذف المحصنة سبها (وقيل رماها بريبة) ومزق عرض أخيه طعن فيه . هرد عرضه ومرده قطعه ومزقه . افترش فلان لسانه تكلم كيف شاء أي بسطه . نحته بلسانه أى لامه وشتمه . هرت عرضه طعن فيه ومزقه

هرطه وهتره أى طعن فيه ومزقه وكذا هرمطه . وهت الثوب والعرض مزقه . ونال فلان من عرض فلان اذا سبه . القذع من الكلام الذى يقبح ذكره . والهتر السقط من الكلام والخطأ فيه . والهجر القبيح من الكلام والافحاش في المنطق والخنا . والخنا القبيح من الكلام أيضا تقول خنا في منطقه يخنو خنا أفحش والخنا من الكلام أفحشه . وانتقص فلانا وقع فيه وثلبه . وهذأه بلسانه أسمعه ما يكرهه

ويخفساه . ولا يسلقاه بالكلام ولا يذرعاه فيه ولا ينطقا خافاً ولا يهرئا في المنطق ولا يفحشا .وان يضربا عن الهذاء والبذاء واللغا واللخى وان يعرضا عن الهذر والهذيان والخطل ومن الواجب ان يجتنبا المقاذحة والمسافهة والسباب امام ولدهما الذي لا شك يقتدي بهما ويحفظ مشاتمتهما ومهاترتهما ويفوه بهما في حالة غضبه وان يكن يجهل معناهما

ليتهذبا ماامكن قبل ان يأخذا في تهذيب ابنهما . ليكونا امامه لطيفين رقيقين وديعين بشوشين . ليكونا حليمين انيسين ساكنين هادئين . ليجتهدا في تجنب السخط والتغضب والتكره فاذا لم يستطيعا كبح شراستهما واخفاءها بالتعقل فالاوفق لمثلهما ان لا يتزوجا بل انصحهما واشير عليهما بان لا يقترنا لئلا يأتيا باولاد شرسين غضوبين مثلهما فان اصرا فقد جنيا على نفسهما وعليهم وعلى المجتمع الانساني

ليجتنبا ايضاً التحقير والتعييب والتهديد لئلا يتكاشفا (١) فان الولد كالبيغا (٢) يحكى عن غيره الحديث ويحاكي سواه وهو لا يدرك كنه الكلام كما سبق القول. اذا نطق بكلمة قبيحة فليستكرهاها ولو استعذباها ولا يضحكا

خفس الرجل وأخفس قال لصاحبه أقبح ما يكون من القول وأقبح ما قدر عليه . ولا يذرعا فى الكلام أى ولا يفرطا فيه وهرأ في منطقه أكثر وقيل أكثر في خطأ . واللغا ما كان الكلام غير معقود عليه وما لا يعتد به من كلام وغيره ومثله اللغو واللخى كثرة الكلام في الباطل

(١) تكاشف القوم ظهر عيب بعضهم لبعض . (٢) البيغا طائر هندي أخضر يعرف عند العامة بالدرة حسن اللون والصورة له منقار أحمر ولسان عريض يشبه لسان الانسان ومن أشهر أوصافه أنه يسمع كلام الناس و يعيده و يشبه به من حفظ كلاما ولم يدرك معناه .

في وجهه . لا يسمع الخرافات والترهات . لا يهدد ويخوف بالمزعجات ولا يشغل بحكايات عجائز الحي بل ليهذب على قوة الجنان وثبات العزم وعلو الهمة واحتقار المصاعب واستصغار المصائب وعلى شرف النفس ورقة القلب وخفة النهضة اذا استنهض • لا يتهيبه شيء غير النقائص التي منها الكسل والطمع وحب الذات والاعجاب والمخادعة والمخاتلة والماكرة والمراوغة والموالسة والمدالسة والتدليس (١) والخبث والمداهنة والماسحة والمجاملة (٢) والمصاقلة والاحتيال والمصانعة والمراشاة والمواربة والمكابرة • ليجانب هذه النقائص وغيرها ايضاً • ليكن محاملاً (٣) لا مجاملاً (٤) ولتكمل نفسه. ليؤدب على الدين ليكون له حاجزاً يرده عن المحرمات • لا يؤذن لوالديه ان يعلماه بغض الذين ليسوا على دينهما ولكن كيف يتم هذا وهما يحسبان هذا البغض تورعاً وفضيلة

لا يرغباه في حب المال اذا كان من الراغبين فيه لئلا يفرط فيطمع ويعيش حقيراً ذليلاً يكرهه الاقارب والاباعد . اذا افرط في حب المال ووجه كل محبته اليه احتاج الى محبة اخرى ليعيش بها وهي صعبة المنال بل غير مستطاعة فيعيش ناقصاً ولو استطاعها لاضافها الى تلك المحبة التي صارت فيه رذيلة . ان الولد يحتاج الى المحبة ليحب بها خالقه ووالديه واستاذه وكل البشر

---

(١) دلس في البيع وفي كل شيء اذا لم يبين عيبه وهو من الظلمة • والتدليس في البيع كتمان عيب السلعة عن المشتري واخفاء العيب

(٢) جامل الرجل مجاملة لم يصفه الاخاء وما سحه بالجميل (٣) المحامل الذي يقدر على جوابك فيدعه ابقاء على مودتك •

(٤) والمجامل الذى لا يقدر على جوابك فيدعه و يحقد عليك الى وقت ما •

اما الذين يعتقد انهم غير متدينين فلا يحتقرهم بل عليه ان يتعلم كيف يستطيع اقناعهم بخطاب رقيق فيه دعة ونقاوة لكي ينتفعوا والا فليدعهم الى خالقهم

لا يكذب الوالدان ولا يعدا اولادهما و يخلفا وعدهما ليحذرا المحاولة والمطاولة والمماطلة والتسويف والتعليل بالاماني الكواذب والاتكال على التقادير والاعتماد على الزمان

ليمنع الولد منعاً شديداً من معاشرة الصبيان غير المهذبين وعن ملاعبتهم وسماع أحاديثهم وأرى الأفضل أن لا يسمح له بمصاحبة غير والديه وأقاربهما المتأدبين الذين يريدون بهما خيراً . فان كانوا كلهم من الرعاع فليرسل الى مدرسة في بلد غير بلد أبويه

لينتبه الوالدان الى خلوات أبنائهما كل الانتباه . لا تكن سطوتهما على ولدهما قوية فانها تولد فيه البله والجبانة

لا يمنع الآباء أبناءهم مما يضطرون اليه وخصوصاً اذا كانوا نشيطين أذكياء لئلا يحتالوا ويكذبوا ويسرقوا أو يستعطوا ولئلا يجدوا حاجاتهم على اضطرار منهم عند اشرار الناس . ليجتهدوا في كفاية أولادهم مؤونة الشره فانه يتولد غالباً من المنع والحرمان ذلك لان بعضهم لا يشبعونهم من طيباتهم ويمسكون عنهم خيراتهم فيمتنعون وهم ينظرون اليها بعيونهم وقلوبهم بل بكل حواسهم

ليعلم البخلاء انهم لا يحفظون أموالهم ببخلهم وشحهم بل يعرضونها للتلف والضياع اذ يعلمون أولادهم التبذير لان الولد لا ينشأ على ما يكرهه وقد رأيت كثيرين من بني الاشحاء في الارض أضاعوا ثروات آبائهم بتبذيرهم

ليعقل الولد ان له حدوداً لا يتعداها وليعقل ان ارادته من ارادة والديه لانهما يريان له ما لا يراه حسناً ويحبان له ماهو جدير بالمحبة وهو لا يدرك غير انه يجب عليهما ان يكونا في ذلك حكيمين أو ان يتشبها بمن تجملوا بالحكمة

لا يضرب الولد فان الضرب يخمد فيه جذوة الذكاء فتنطفئ شعلة النشاط فاذا تتابع ضربه خبت ناره حتى تهمد . لا يؤدب الآباء أبناءهم وهم غضاب منهم أو من غيرهم لئلا يتعدوا حد التأديب فانه من الجهل القبيح والخطاء الفاضح ان يؤدب الولد بأكثر مما يستحق فيصير التأديب ظلماً وبغياً وانتقاما من غير أهله مع ان الانتقام من أهله مكروه . وقد علم ان التشديد يعلم الاستعصاء اذا كان الولد جسوراً والا فيضعف بدنه وربما كان التضييق والضغط سبباً في احداث العاهات . فاذا ضربت ولدك وأبكيته فلا تكرهه على السكوت بل دعه وتوار عنه الى ان يسكت ويسكن فيوبخ

الحكمة كل الحكمة ان تحسن تربية الغلام وتحكمها حينما يخاف (١) ويحمم (٢) ولا سيما اذا كان في الشباب الغيدق (٣) وهو بزيع (٤) وعلى الاجمال فان التربية علم عال يجب درسه بتأن وتفهم والا فالزواج جناية . وفي الاخير أشير على الحكماء والعلماء عندكم بان يجعلوا فن التربية علماً قائماً بنفسه يدرس في جميع المدارس والمكاتب لان فيه حياة الانسان فاما ان

---

(١) اخاف الغلام اذا راهق الحلم (٢) حمم الغلام بدت لحيته (٣) شباب غيدق ناعم والغيدق من الغلمان الذي لم يبلغ (٤) بزع الغلام بزاعة فهو بزيع و بزاع ظرف وملح وغلام بزيع وجارية بزيعة اذا وصفا بالظرف والملاحة وذكاء القلب وغلام بزيع أيـ يتكلم ولا يستحيي

يعيش بحسن التربية قريباً من السعادة يسعد نفسه وأهله والمجتمع الانساني السعادة الارضية واما ان يعيش شقياً يشقي نفسه ومن يلوذ به

الفصل الثالث منه

« في مدارس وعلوم سكان الزهرة »

قال والدي ان التعلم في الزهرة واجب للذكور وللاناث جميعاً فالجاهل الغبي عندنا لا يخلو مهما بحثنا من عقل وعلم وذلك لسببين أولهما لان عقولنا ارقى من عقولكم ومداركنا اسمى واعلى من مداركم كما اوضحت لك ولان التعلم عندنا عمومي فسكان الزهرة كلهم علماء تقريباً فيقتبس الولد من علم والديه وينشأ عليه كما يقتبس من كلامهما بغير صعوبة . والسبب الثاني هو لان لغتنا وعلومنا أسهل واقل من لغتكم وعلومكم فلا يضطر والحالة هذه ولدنا الى اضاعة الجانب الاعظم من عمره في الدرس والمطالعة حتى يكاد يفقد نور عينيه وان شئت فقل كل صحته

ان مدارسنا كثيرة ففي كل محلة مدرسة . أما المعلمون فهم القضاة المشهورون بالفضائل والبارعون . وأما الدروس فهي خمسة في سبعة علوم أرقى من علومكم وأعلى

أولاً اللغة (١) قراءة وكتابة وانشاء

ثانياً علم التربية (٢) وعلم السلوك والواجبات (٣)

ثالثاً علم التاريخ (٤) وعلم الجغرافيا (٥) .

رابعاً علم طبائع الحيوان (٦)

خامساً علم طبقات الارض (٧)

أما علم الحقوق والقوانين الحقوقية والعقابية باحكامها فيأخذها الولد عن والديه كما يأخذ الصلاة والوصايا والتسبيحات والفضائل . والتلميذ يقيم بالمدرسة ثلاث سنين فقط . ومن أراد التوسع في المعارف والفنون والعلوم العالية ليفوق العلماء العاديين ويتعلم علوم القضاة ويكون منهم اضاف مدة سنتين الى الثلاثة

الفصل الرابع منه

في ان آفة التلميذ بالارض مدرسته ودروسه وفي التربية أيضاً

قال والدي يجتهد الوالدان المتأدبان في تأديب ولدهما وتعليمه ليزاول أمور الدنيا عندكم ويجاهد فيها الجهاد الحسن طلباً للرزق فيرسلونه الى المدرسة وهو طيب القلب نقي الضمير حسن السلوك . فاذالم يفسده استاذه بنفسه القاه بين صبية لم يصيبوا من مدرسته غالباً غير فساد الاخلاق فيحذو حذوهم ويتخلق بأخلاقهم . فاذا كان التلميذ نبيهاً ذكياً حفظ شيئاً من العلوم . واذا كان بليداً جامد القريحة تمكن منه ذاك الفساد وتأصل فيه ولم يتعلم شيئاً فتكون مدرسته آفته فيخرج الى الدنيا وهو فاسد جاهل ابله فيقع عليه ذلك التلميذ الذكي الفاسد بمدرسته الذي سبق ذكره ويقوده كيف شاء ويستخدمه فيما بعد باشغاله وان شئت فقل ويستعبده لانه يجهده كما يجهد دابته ولا يعطيه الا ما يسد به الرمق . فلو هذبتهما مدرستهما او تركتهما على فطرتهما الاصلية وعلمتهما ومكنت المحبة من قلبهما ومدحت لهما المروءة ايضاً

ورغبتهما فيها ذلك ان تثبت لهما انهما تعليان قدر المرء لاخذ كل منهما حقه من اخيه من غير ان يستعبد القوي منهما الضعيف بطمعه لان المحبة المزينة بالمروءة تبعث صاحبها على حب الفضيلة التي تحيي القناعة فيه فانها مصدر الانصاف فلا يظلم ظالم ولا يظلم مظلوم

ثم قال والدي ان صعوبة لغتكم وكثرة الدروس واختلاف موضوعاتها التي تلقى كل يوم على التلميذ مع جهل الاستاذ فن الالقاء تولد فيه الفتور والكسل والزهد فيها فيلهو عنها بالمفاسد واستنباط الحيل ليكف بها أستاذه الذي يتغافل عنه لعجزه وجهله فاذا كان نشيطاً بارعاً عالماً بفن الالقاء فصيحاً بليغاً رغب التلامذة في دروسهم وأفادهم غير أنه لا يستطيع مع ما يبذله من الجهد ان يجعلهم يفضلون لغتهم العربية على لغة أوربية لانهم يعلمون ان الزمان الذي يذهبونه في تعلم عربيتهم يمكنهم من تعلم ثلاث لغات فالانكليزية والفرنساوية والالمانية اليوم خير لهم من التبحر في علم العربية التي امست على صعوبتها لا تنفع طالبها كغيرها من اللغات

ومما يزيدهم رغبة عنها هو أن قواعدها كتبت بلغة لا يفهمونها اي بغير اللغة العامية فيجب عليهم أن يتعلموا قواعد لغتهم باللغة الفصيحة التي لا يفهمونها بخلاف اللغات الاوربية فان قواعدها كتبت باللغة المألوفة

أقول وأنا آسف على العربي في هذا الزمان وعلى عربيته ان الاوربي يتكلم ويقرأ ويكتب ويتعلم العلوم والفنون العصرية بلغة واحدة في مدة غير طويلة أما العربي فانه اذ دخل الى مدرسة تلقى فيها اللغة العربية مع الثلاث اللغات التي ذكرتها لك وغلب حب عربيته على غيرها خرج في العشرين من عمره لا يعرف منها غير القراءة وشيئاً من الاعراب وقد أضاع اللغات

الثلاث فاذا أراد انشاء رسالة فلا يستطيع واذا رأى أن يتعلم الانشاء والثلاث اللغات التي أمست اليوم ضرورية مع شيء من العلوم العصرية أضاع مطايب عمره في مدرسته .

فبناء على ما ذكر ستمسي اللغة العربية عما قليل لغة متروكة . ولو لم تكن من اللغات الدينيــة لصارت تشبه اللغة القبطية التي أمست الآن لغة قديمة مهجورة .

والذي زاد في تأخر اللغة العربية وانحطاطها عن عظمتها هو عدم تأليف جمعية علمية لها رجالها من جميع البلاد العربية الشهيرة يرجع اليها في كشف المخبئات وفي الترجمة والتعريب . فاذا أراد عربي عالم بالفرنساوية مثلاً ان يترجم كتاباً الى لغة في علم من العلوم العصرية الضرورية لم يجد بين لغته الكلمات الدالة على المعاني المطلوبة ترجمتها فاذا عرب او وضع كلمات قريبة من المقصود بحسب معرفته واجتهاده أنكرها عليه مبار وعابه حاسد . فلو كانت الجمعية التي أشرت اليها قائمة بموجب جرايات تتناولها في أوقاتها لرجع اليها المتباريان فلقيا عندها الفصل

فاذا لم ينتبه علماء العرب الى قولي هذا ولم يجمعوا على هذه الجمعية امست العربية كاليونانية والارمنية اي ان العربي يضطر بعد حين من الدهر الى تعزيز العربية الدارجة وضبط قواعد لها بطرائق مختصرة واساليب سهلة قريبة التأول فتصبح تلك المطولات الطويلة العريضة الضخمة نسياً منسياً كما امست واصبحت مطولات اليونان والارمن وامثالهم .

لنرجع الى التربية فنقول يجب على الوالدين ان يربيا اولادهما بالآداب والفضائل من صغرهم فاذا بلغ الولد السنة السابعة من عمره اخذا في تعليمه

ساعة قبل الظهر ومثلها بعده. فاذا بلغ الثامنة جعلا الساعة ساعتين قبل الظهر وبعده ايضاً فاذا بلغ التاسعة علماه مراجعة درسه مدة ساعة بعد ان يهب من فراشه ويصلي في كل يوم . فاذا بلغ العاشرة لزمه مراجعة درسه صباحاً ومساء ساعة فساعة . فاذا بلغ السنة الحادية عشرة وقد رسخت فيه الآداب ونشأ على حب الفضيلة ارسلاه الى المدرسة فاذا عفا(١) عليهما في العلم قبل ذلك فلا يتأخرا عن ارساله اليها . هذ اذا كان الوالدان مهذبين خريجي مدرسة اشتهرت عندكم بحسن التهذيب والتثقيف والا فعليهما ان يرسلاه من السنة السادسة الى تلك المدرسة قبل ان ينحو نحوهما ويجري على سننهما في كل شيء فيصعب تأديبه وارهافه

لتكن المدرسة معروفة من تلامذتها بالآداب لا بالعلوم فقط وبتقوى اساتذتها وعفافهم مشهورة بفضائلهم وحسن سلوكهم وطيب عنصرهم ودماثة اخلاقهم وبرصانتهم ومروءتهم فان المدرسة التي تجمل تلاميذها وطلبتها بهذه المزايا هي المدرسة العالية وحدها ذلك لان المزايا ترغب التلميذ في التعلم وتهون عليه مصاعب العلم فيقتبس منه في مدة قصيرة

يا أيها الناس يا ليتكم تعلمون وتسمعون أنه يجب على الوالدين والاقارب والاصدقاء معاً ان يكونوا يداً واحدة وينتخبوا بتعقل وتأن مدرسة لولدهما واقربيهم ولابن صديقهم فان المدرسة اما ان تفسد التلميذ واما انها تصلحه فعليها يتوقف مستقبله

يا أيها الآباء انني كنت تلميذاً ثم صرت معلماً فرأيت وعلمت ما لا تعلمون فاحفظوا وصيتي هذه وانني لاكررها لكم وهي ان تنتقوا

---

(١) عفا عليه في العلم أي زاد عليه

لاولادكم مدرسة تكون خيراً لهم لا شراً عليهم هذه وصيتي وهي لا كالوصايا التي اوصيت لكم فاعقلوها وافهموها وتدبروها . وهذه نصيحة لا كالنصائح التي نصحت فأدركوها وافطنوا اليها واتقنوها لعلكم تفلحون .

يا أيها المعلمون اليكم نصائح تلقونها على التلامذة في خلال التعليم وهي يجب على كل تلميذ ان يحفظ وصايا الله تعالى ويعمل حسب أوامره حفظاً جيداً حتى ترسخ معانيها في عقله وقلبه . منها يجب عليه ان يحب الله تعالى اكثر من نفسه وغيره واكثر من كل شيء محبة صادقة ثابتة باشتياق منه وتوقير وتعظيم لانه جل جلاله أحبه كثيراً . ويجب عليه ان لا يفتر عن الصلاة في أوقاتها وان يعتقد وهو يصلي انه فقير اليه تبارك وعلا وانه ضعيف عاجز لاغنى له عنه وليس له ملجأ يلجأ اليه سواه . فيلتمس منه وقد اطبق جفنيه وتاب واستغفر أن يهبه الصبر الجميل على تحمل مصائب الدنيا ومكارهها وان يمنحه ما يحتاج اليه بقناعة . وليكن هذا الالتماس بتأن منه ووقار وحسن تفهم من غير ان يجعل الصلاة عادة فيتلو كلماتها بسرعة فلا يفهم ما يقول ولا يدري كأنه مأمور بسرد تلك الكلمات فهمها أولم يفهمها فيسردها تباعاً من دون ان يتدبر معانيها كما يصلي ابن ثلاث سنين لا يعقل ما يقول ويجب ان يعلم المصلي انه يخاطب الله تعالى الذي هو ملك الملوك ورب الارباب بل أعظم فليخاطبه كما يخاطب الملك العظيم على الاقل .

ويجب عليه ان لا يهتّ أحداً (١) وان يحب غيره نظير نفسه ليكون له اعوان أي ان يحب كل انسان على الاطلاق من دون استثناء لانا كلنا اخوان

(١) هت فلانا حط مرتبة في الاكرام

وعليه فكل منا يخاطب أخاه في الزهرة هكذا « ياأخي » . ويجب عليه ان يتمنى الخير لاخيه كما يتمناه لنفسه فاذا تحابيتم كما اشرت كانت النتيجة ان كل واحد منكم أحب نفسه فما أحسن هذه المحبة

ليعلم التلميذ ان من أحب نفسه فقط كرهه اخوانه البشر وليعلم انه لانجاح ولا فلاح الا بالمحبة فكلما ازدادت محبته ازداد نجاحه فليسع وراءه بما استطاع من المحبة . ان المحبة في الانسان كثيرة لانهاية لها فليسر بها نفسه السرور الذي يتمناه

ويجب على التلميذ ان يهتم بالخير دائماً وان يعمله ولو مع الذي يظنه غير اهل له لان الانسان قد يخطئ في معرفة المحتاجين الى الخير

لا يعد بالخير ويخلف وعده . اذا قدر على خير يومه فلا يؤجله الى غده فانه في تأخير ساعة لا يصيب الخير أهله ومحله وتفوت الفرصة وتزهق النفس المضطرة . لا يغتر المحسن بالظواهر فرب ذي بزة(١) حسنة يلتهب حشاه جوعاً وهذا هو الفقير الصابر اذا أردت ان تعرفه . ان من يصطنع اي يتخذ صنيعاً يعني طعاماً ينفقه في سبيل الله تعالى ويرحم الفقراء الصابرين فقد رحمه الله ورأى من نفسه ارتياحاً الى الرحمة

ليس الخير بالتصدق على الفقراء فقط بل الخير كل الخير ان تسعى فيه لتكفي اخاك شدة الاحتياج . ان خير الناس من سعى في اغاثة فقير واغنائه عن ذل السؤال . ليست الانسانية بالانس والكلام الطيب بل بالرأفة والسعي الحسن .

اذا انعم منعم فلا يتحدث بانعامه تمدحاً وطلباً للشكر لان الاحسان

(١) البزة الثياب

لا يكون احساناً الا اذا كان بغير عوض فالشكر تعويض المحسن اليه . والشكر في الانسان غالباً قريحة فرب محسن اليه كان جامد القريحة فقلبه افصح من لسانه

الكريم من لا يرد قاصداً عفاه (١) ان من لا يقضي حاجة مضطر وهو قادر على قضائها فليكن ملوماً لا يكلمه احد

وليعلم التاميذ ان الذين يجهدون نفوسهم في جمع الاموال الطائلة يستعبدون لها ويلهون بها عن الله تعالى وعما وجب عليهم لاخوانهم وهم الذين يحتالون في طلبها وقد يمشهم عليها حب نفوسهم المتفانية في حب العظمة

ان الذي لا يستطيع ان يتعظم بالعلم المتجمل بالفضيلة يزعم انه يتعظم بماله وشتان بينهما فيخطيء من جهتين فان التعظم يصدر عن الكبرياء وهو خطاء فاضح يجب ان يقلع عنه . والاحتيال في جمع الاموال خطاء فاحش يلزمه ان يتبرأ منه وان يتنصل الى الله منهما

من كانت الفضيلة دأبه وهو زاهد في العظمة فقد عظمه الناس وهذا هو العظيم الذي يجب تعظيمه

ويا ايها المعلمون اعيدوا النصائح وكرروا معي معانيها لتتم الفائدة وخاطبوا كل تلميذ هكذا ان خير المال ما تجمعه بالرأفة والحنان لتنفقه في مصالحك وتنفق منه ما انت غني عنه في مصالح من هم اكثر احتياجاً منك اليه .

لا تتفكن (٢) بل جد واسع وراء بغيتك . ان المخالفة مكروهة والانقياد

---

(١) عفوت الرجل طلبت فضله وعفاه أتاه يطلب معروفه (٢) تفكن تأسف وتلهف وقيل هو التلهف على الشيء يفوتك بعد ما ظننت انك ظفرت به

محمود . التلميذ الصالح من اذا نصحته وردعته قرع(١) . الشجاعة مزية من مزايا الرجال . لا ينتقم لنفسه كريم . الحليم مغبوط اينما كان . خير التلامذة من عاش عماراً(٢) وشرهم من كان حابضاً (٣)

اما العلوم التي يجب ان تلقى على التلامذة عندكم فهي التي تلقى في مدارس الزهرة غير انه يضاف اليها علم الحساب . فاذا ألقيت عليهم ببيان واختصار مدة أربع سنين دخل في السنة الخامسة عشرة من عمره فينتقل اذا أراد الى مدرسة الصنائع فيتعلم اصعب حرفة في مدة ثلاث سنين فيخرج من المدرسة في الثامنة عشرة من عمره

الفصل الخامس منه

﴿ في اللغة ﴾

قال والدي ان لغتنا واحدة لا ثانية لها . اذا تكلمنا طربنا فهي اشهى من تغريد البلابل لدينا في قرار وانخفاض تسيل الرقة من شفاهنا . ومن العجب انه مع ضخامة اجسامنا كما تراني لاتخرج الكلمة من افواهنا الا لينة عذبة فيها صفاء وطلاوة . .

اننا نقرأ ونكتب ونتكلم بكلام واحد وتراكيب واحدة اما حروفنا فهي خمسة عشر حرفاً كأنها تشبه الالف والباء والتاء والجيم والدال والراء والزاي

(١) قرع اذا كان يقبل المشورة والنصيحة ويرتدع اذا ردع . (٢) رجل عمار هو الرجل القوي الايمان الثابت في أمره . وقيل الكثير الصلاة والصيام والقوي الايمان الثابت في أمره والطيب الثناء

(٣) حبض الغلام ظن به خير فأخلف الظن

والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والواو والياء وهي باسماء خمسة عشر قاضياً وقاضية من الشهيرين والشهيرات عندنا

لا تجد بين حروفنا حرفاً حلقياً يصعب تلفظه بل تلفظ كلها بسهولة وليونة وهي مع قلتها قائمة بلغة خلق عظيم اعظم واكثر منكم بكثير . وبما اننا نعيش عيش اهل الوبر تقريباً ونحن متقاربون فكلامنا قليل بقدر احتياجنا لسنا كالعرب الذين جعلوا للناقة والسيف والرمح مثلاً اسماء مترادفة وأطلقوا كلمة العجوز على اكثر من خمسة وسبعين معنى باسمائها وقد أطلقوا ايضاً كلمات الخال والعين والدين على جملة معان ومن ذلك هلاليتك المهملة . ولا بأس من ذكر ابيات منها

لاهم حد الهلال (١)	ولحده سم الهلال (٢)
حسدوا كمال مكرم	لما سما وعلا الهلال (٣)
ملء سرهم وصل الردا	ح وسرهم وصل الهلال (٤)
الله أهلكهم ودمـ	رهم أما أمسوا هلال (٥)

وقال نحن لا نعرف الوحشي من الكلام ولا القلب والابدال ولا اللغات المجورة والمختلفة . وقد علمت انك نظمت بعضها في قصيدة رائية فانشدني اياها فانشدت أقول

أهن (٦) الى ذات (٧) الاشاح مدى الدهر
وان أرعجتني (٨) بالتباعد والهجر

---

(١) الهلال السنان الذى له شعبتان يصطاد به الوحش (٢) الحية وقيل الذكر من الحيات (٣) غرة الشهر (٤) الغلام الحسن الوجه (٥) الغبار وقيل القطعة من الغبار (٦) هن اليه حن (٧) الاشاح الوشاح (٨) أرعجه أقلقه وقيل تصحيف

فتاة يفوج (١) المسك من ثغرها الذي
به أبجاً (٢) قد لذ في رشفه سكري

مهاة هراقت (٣) بالعيون دمي ولم
احل حن (٤) عهود الحب في السر والجهر

تأريت (٥) حفظ الود ما الغدر شيمتي
وهسب (٦) الفتى عن (٧) لا يميل الى الغدر

هنا (٨) الهائم المهجور عمداً وانني
انمي كل أقت (٩) ثابت في الهوى العذري

أنوح وأبكي نوح نواهة (١٠) ألا
ألم (١١) عذولي وأرحم القلب بالعذر

هما (١٢) والهوى اني لمفهوت (١٣) حبها
وقد شهدت لي النات (١٤) بالزدق (١٥) والبر

بليت ضنى ميدى (٦١) هواها غزالة
دهى لحظها الصنتيت (١٧) بالصد والهجر

أزعجه (١) فاج كفاح (٢) أبجا أبدا (٣) هراقت أراقت (٤) حن لغة أسدية في عن (٥) تأرى تحرى وهكذا تأوخه بمعنى توخاه (٦) الهسب الكفاية كالحسب والهاء بدل من الحاء (٧) عن بمعنى ان (٨) لغة في انا (٩) الاقت الوقت المعين وأقته بدل من وقته (١٠) أي نواحة (١١) لغة في هلم (١٢) هما والله أي أما والله أبدلت الالف همزة (١٣) المفهوت المبهوت (١٤) النات الناس على الابدال (١٥) لغة في الصدق (١٦) ميدى من أجل (١٧) الصنتيت أي الصنديد

مهفهفة ما مثل أيتها (١) لذا
تغار أجوه (٢) الغيد من وجهها البدري
شصيبي (٣) من الحسناء يافل (٤) جفوة
وصد وهجر فالموشة (٥) في عسر
بربس (٦) يا اسماء رفقاً فانني
لفي جنن (٧) مما أكابد من دهري
أتتني من كل الجواني (٨) عواذلي
ولك (٩) ارعوت لما استبان لها صبري
يعاندني دهري أجني (١٠) أحبها
وأيهات (١١) أنجو من عذاب ومن نكر
او كد (١٢) للقلب التواصل روفة (١٣)
ليرصخ (١٤) في صدري فقد راغ (١٥) من صدري
ايا لائمي بالله دأني (١٦) ولا تلم
اخا شعف (١٧) قد جن في ثغرها الدري

---

(١) الايئة أى الميئة (٢) الاجوه لغة في الوجوه جمع وجه (٣) شصيبي نصيبي (٤) أى يافلان (٥) لغة في المعيشة أزدية (٦) بر بس أى بر بك وهى كسكسة بكر (٧) الجنن الجنون حذفت منه الواو تخفيفا (٨) الجواني الجوانب (٩) لك لكن (١٠) أجنى من أجل أني . وأجنك من أجل انك (١١) ايهات بمعنى هيهات وأيهك ويهك . وأنى بمعنى حتى وميد لغة في بيد . (١٢) وكد مثل أكد (١٣) أى رأفة (١٤) أى ليرسخ (١٥) راع زاغ بمعنى الميل مجردا (١٦) أى دعني وزنا ومعنى (١٧) الشعف الشغف

ولا تنسبن القلب افتاً (١) لسلوة
لعمرك ان الافك آر (٢) فهل تدري
لعنك (٣) ياهذا جهات صبابتي
رغنك لم تعلم مقامي ولا قدري
تمده (٤) ذو اللؤم الغليذ (٥) فلم يجد
له مادهاً (٦) بل راح كل به يزري
فما كل ايسان (٧) يؤبخ (٨) من صبا
الى اجنة (٩) من حسنها رونق الخمر
تأرض (١٠) نمال (١١) الغرام بذمه
اليَّ فلا أخشى من الذام (١٢) والهجر
تأبب (١٣) لما ان رآني وقال لي
أ آقنت (١٤) عن (١٥) العشق يأتيك بالضر
ألا قطع المولى اديه (١٦) ورأسه
ليفطزم (١٧) البلوى ويهلك (١٨) م الشر

(١) الافت الافك أي الكذب (٢) الآر العار (٣) العرب تقول لانك و بنو تميم يقولون لعنك و بنو تيم الله بن ثعلبة يقولون رعنك وكلها بمعنى لعلك ومن العرب من يقول رغنك ولغنك بالغين المعجمة (٤) تمده أي تمدح
(٥) الغليذ الغليظ على الابدال (٦) المادة المادح (٧) الايسان الانسان
(٨) أي يوبخ (٩) الاجنة الوجنة (١٠) تأرض اليه تعرض وتصدى له
(١١) النمال النمام (١٢) الذام الذم (١٣) تأبب أي تعجب (١٤) آقن لغة في أيقن
(١٥) عن أي أن وهي لغة تميم وقيس واسد ومن جاورهم
(١٦) قطع الله اديه أي يديه (١٧) فطز مات أو لغة في فطس (١٨) م من

الدت (١) وفاجاني (٢) الهوى صاح ما الهوى
سوى آفة في مهجة الصب (٣) سو تسري

تذلله بالرغم فم (٤) تميته
وقزدي (٥) موتي في هوى ربة الخدر

اتت عسقاً (٦) بعد التباعد وانثنت
باسرع من ركض اللصوز (٧) مع الفجر

سبت مهجتي مزهاً (٨) وداعي صبابتي
يقول الا دحا لها (٩) وامتثل أمري

وقامت ومحا (١٠) ماسبت ومدامعي
تسيل نحم (١١) سالت على الخد كالغمر

وما سمحت ويحي (١٢) بغير زيارة
علي فكانت بيضة الديش (١٣) في العمر

وهذا كثير في كلامهم . فلما فرغت من الانشاد قال لي لا تنس لخلخانية اعراب الشحر وعمان وطمطمانية حمير ولا لغات الاصبع العشر ولا هيهات وحيث ولغاتهما ولا لغات اف المملة ولا غيرها مما هو معلوم ومشهور .

---

(١) ألدت ولدت (٢) أى فاجأني بالهمز (٣) سو أي سوف (٤) فم لغة في ثم العاطفة بابدال الثاء فاء وهي من نوادر اللغة (٥) القزد القصد على الابدال (٦) عسقا أي غسقا بالغين المعجمة (٧) اللصوز اللصوص على الابدال (٨) مزه أي مزح ومازهه مازحه (٩) دحا أي دعها (١٠) محا أى معها (١١) نحم لغة سعدية في نعم كحن في عن (١٢) ويحى بمعني ويحي بالحاء المهملة (١٣) الديش الديك على الابدال وهذه اللغة معروفة بكشكشة تميم

وما لك والحين فانه لا يعلم اهو الدهر او اربعون سنة او سبع سنين او سنتان او ستة اشهر او شهران او كل غدوة وعشية او الوقت والمدة او الوقت من الزمان او الوقت من الدهر يصلح لجميع الاوقات طالت او قصرت او يوم القيامة

ومن العجب اختلاف أوزان الفعل اختلافاً مضللاً والأعجب أنهم جعلوا لبعض الافعال جملة أوزان كقولهم « بهت الرجل يبهت بفتح هاء بهت وضم هاء يبهت . وبهت يبهت بكسر ففتح وبهت يبهت بالضم فيهما . وبهت يبهت على المجهول بهتاً انقطع ودهش وتحير فهو مبهوت لاباهت ولا بهيت . وفي مقدمة الزمخشري يقال رجل باهت وقيل صيغة المجهول أفصح » انظر ما أكثر أوزان هذا الفعل وما أقل مصادره . وانظر هذا الاختلاف قالوا « أشغله بمعنى شغله أو هي لغة جيدة أو قليلة أو رديئة . راجع غفا في آخر وجه ٢٥

أما المصادر والجموع فقد حيرت العلماء ومنها مصدر قضى « قضياً وقضاة وقضية » ومصدر قطر « قطراً وقطوراً وقطراناً » . ومصدر قطع « قطعاً ومقطعاً وتقطاعاً » ومصدر خص « خصاً وخصوصاً وخصوصية وخصوصية بتشديد الياء وتخفيفها وفتح الصاد أفصح وخصيصى وخصيصاء وخصية وتخصة » ومنها جمع صبي أصبية وأصب وصبوة وصبة وصبية وصبية بفتح الصاد وكسرها وضمها وصبوان وصبوان بكسر الصاد وضمها . وصبيان وصبيان بكسر الصاد وضمها أيضاً وأمثال ذلك كثيرة في كلامهم . وقس على ذلك اسم الفاعل كقولك كذب يكذب كذباً بفتح الكاف وكسر الذال . وكذباً بكسر الكاف وسكون الذال . وكذبة بكسر الكاف وسكون الذال ايضاً . وكذبة بفتح الكاف وكسر الذال . وكذاباً بكسر الكاف وتخفيف الذال . وكذاباً بتشديد الذال ضد صدق

فهو كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة . وكذبان . وكيذبان بفتح الذال . وكيذبان بضم الذال . ومكذبان ومكذبانة . وكذبذبان . وكذبذب . وكذبذب بتشديد الذال .

ثم قال ومن البلية أن القاريء لا يشتهي أن يراجع كتاب لغة لكثرة ما فيه من الشروح والنقول والآراء والاقوال والروايات والحكايات المملة والمختلفة والمتناقضة . هذا كله عدا قلة الترتيب التي تضيق بها الصدور وعندي أن الوقت الذي تضيعه في مراجعة كلمة تستطيع أن تنشيء فيه رسالة أدبية . والمصيبة أنك اذا راجعت مادة اضطررت كثيراً الى مراجعة غيرها وغيرها ومنها ما يصعب عليك فهمه كقوله « البيرم العتلة او عتلة النجار خاصة» فاذا راجعت مادة عتل قرأت هكذا . « العتلة بيرم النجار والمجتاف » الى غير ذلك

هذا وكلامنا لا يحتمل التأويل بحيث ان الكلمة الواحدة تطلق على معنيين متضادين كطرب للفرح والحزن معاً

لا ننافس في الالفاظ والمباني بل ننافس في المعاني فاذا عرب كلامنا لذ لك وراق وأعجبت به فيسكرك وما بك من سكر . اما العربي المتأنق في الالفاظ فلا تروقك معانيه اذا نقلت الى غير لغة كما راقتك قبل نقلها . ان كثيرين من كتبتكم اهملوا المعاني واكتفوا بالالفاظ والتراكيب

من الامور العجيبة ان الكاتب عندنا اذا شاء انشاء رسالتين مختلفتي الموضوع في وقت واحد كتب بيده اليمنى مثلاً رسالة في الزراعة وباليسرى مقالة في التاريخ

انا لا نحدث لغة ثانية لعلمنا ان تعدد اللغات يحدث البلبلة والتباين في

العادات والغايات والاهواء والمآرب فيبدو الاختلاف بين الخليقة فينشأ الخصام فتنمو البغضاء وهناك البلاء بل هناك الطامة (١) الكبرى والصاخة(٢) العظمى

ياحبذا لو اتفق سكان الارض واجمعوا على اختيار لغة واحدة قريبة الحفظ سهلة التلفظ وذلك من غير ان يتعصب كل قوم للغتهم . فاذا تعصبوا ولم يتفقوا فيمكن وضع لغة جديدة مختصرة لا يزريها تأويل ولا يعيبها شذوذ بحيث يهون تعلمها . فاذا تم هذا لكم خفت ويلاتكم عليكم ان شاء الله تعالى وتقاربتم بالتآلف فيسهل بعد ذلك تقريب الاديان بعضهما من بعض بالمحبة الى ان يمن عليكم فتجتمعون على دين واحد فيه خيرلكم ولمن بعدكم . انكم تحسبون نفوسكم عقلاء ولكنكم لا تعقلون

كان والدي يخاطبني وهو يتأمل ويصغي وبعد نهاية كلامه سكت ثم قال لقد جرت من نحو ساعة صدفة غريبة في مدينة القاهرة بين عالمين كل منهما ينكر على الآخر علمه وفضله فاجتمعا في مجلس حضره اكثر من ستين رجلاً وكان الواحد منهما يدعي باكثر مما فيه. وأغلب الحاضرين يعجبون بمن تشدق وتمطق لا بمن اعرب فاغرب فخاف الثاني على نفسه من قوة لسان مناظره لانه فتيق اللسان فقال له ان رمت ان تجيد فسل عما تريد

قال ماتقول في رجل اذا ابصر الخيط الابيض قام الى صلاته. قال لقد غفر الله له سيئاته

« الخيط الابيض بياض الفجر »

---

(١) الطامة الداهية تغلب ما سواها وذلك لانها تطم كل شئ تعلوه وتغطيه

(٢) الصاخة صيحة تصم لشدتها والداهية

قال اتصلي الجماعة وراء الامام . قال لا ورب الانام

« الامام الوتر »

قال ما تقول فيمن لمس بوله وهو يصلي مع القوم . قال ليس عليه من لوم

« البول الولد »

قال ايجوز للمصلي ان ينحر في الصلاة . قال نعم كما يجوز له نحر شاته في الفلاة

« نحر المصلي في الصلاة انتصب ونهد صدره او وضع يمينه على شماله اوانتصب بنحره ازاء القبلة »

قال أيجوز ركوب المصلي . قال نعم ولو كان يصلي

« صلى الفرس تلاالسابق . والمصلي التالي من خيل السباق »

قال أيطلب من الصائمة ان تصلي . قال تخل عنها فانها اولى بالتخلي

« الصائمة من الخيل القائمة على غير اعتلاف »

قال ايحسن السجود على العين . قال نعم وهو زين

« العين نقرة الركبة »

قال ماتقول فيمن اتته بولة وقد كان ساجدا . قال هو كمالو كان في بيته راكدا

« البولة بنت الرجل »

قال ايكره البعير على السجود . قال نعم ولو كان ربه من اهل الجحود

« سجد البعير خفض راسه ليركب »

قال أرأيت المسجد قائماً في الوجه . قال نعم ورأيت المعابد في أحسن وجه

« المسجد في الجبهة حيث يصيبه ندب السجودي والمعابد المساحي وهي المجارف من حديد . والوجه الجهة »

قال ايجمل بالرجل ان يأتي امرأته في المحراب . قال نعم وهذا شائع عند الاعراب .

« المحراب صدر البيت واكرم مواضعه »

قال ايلام الرجل اذا اجتنب الدين . قال لا ويحمد اذا تجنب الدين

« الدين في الاول الذل والداء وفي الثاني المعصية »

قال ماتقول في تارك الشريعة ايعزز ام يلام . قال لا حرج عليه ولا ملام

« الشريعة موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب اي تدخل فيه »

قال أيجوز لي زجر المحالل . قال نعم وليس عليك أن تعلل

« المحلل الفرس الثالث في الرهان »

قال ماتقول في قاض أمر يرفع الخال من صدر الشارع . قال هو كما لو أمر بتسليك المشارع .

« الخال الاكمة الصغيرة . والشارع الطريق النافذ الذي يسلكه جميع الناس والمشارع موارد الشاربة »

قال ما يجب على القاضية إذا فتكت بالقاضي . قال يجب عليها ما وجب على أمس الماضي

« القاضية الموت »

قال ايؤجر الناسك . قال لا لانه لم يتبع المناسك

« الناسك اسم فاعل من نسك الثوب اذا غسله بالماء فطهره »

قال أيجب أن أتبع الهادي . قال لا فانه حية الوادي .

« الهادي الاسد . وكذلك حية الوادي »

قال ماتقول في صحبة الراهب . قال هي مكروهة في كل المذاهب

« الراهب الاسد »

قال ماتقول فى صحبة الزاهد . قال هي احدى الشدائد

« الزاهد الضيق الخلق »

قال فما تقول في صحبة الورع . قال لا خير فيه فدعه واندرع

« الورع الجبان »

قال ماتقول في عابد الحسن . قال لقد أصاب وأحسن

« الحسن الكثيب العالي »

قال لقد رأيت اجتناب الصالح أولى. قال من اجتنبه فقد فاز بالقدح المعلى

«الصالح من الزحاف عند العروضيين المتوسط بين الحسن

والقبيح كخبن مستفعلن »

قال أيؤجر القانت اذا أكل قليلا. قال لا ويؤجر اذا صبر طويلا

«القانت اسم فاعل من قنت الرجل اذا كان

قليل الطعم أي الاكل »

قال أتذهب حجة الحاج بضربة . قال نعم ولا سيما اذا كانت بسيف أو حربة

« الحجة شحمة الاذن »

قال ايخشى على الطائع اذا لزم العاصي . قال لا ويخشى عليه اذا لم

يتوق اسباب المعاصي

« العاصي النهر المعروف »

قال ماتقول في تجرد المرء من نفسه . قال هو أقرب الى أنسه

« النفس العيب »

قال ماتقول في الاطهار . قال سل الاماء وربات الاخدار

« الاطهار أيام طهر المرأة »

قال ماتقول في القاسط العادل . قال ويل لهما من العادل

« القاسط الجائر والحائد عن الحق والعادل الجائر »

قال ايجوز ضرب الناصح . قال نعم ولكن لايجوز ضرب النواصح

« ضرب الناصح اي مزج الخالص من العسل »

قال ماتقول في تهليل الرجل يوم النزال . قال مكروه في كل حال

« هلل فلان جبن وفر وعن قرنه نكص »

قال أأهرب اذا رافقني الحائر في الطريق . قال نعم فانه شر رفيق

« الحائر الاسد »

قال ماتقول في رجل أمرته بالجلوس فجد في سيره جداً . قال جلس بمعنى أنجد اي أتي نجداً

قال أيسير الكافر في الهدى . قال نعم ليأمن العدى

« الهدى النهار »

قال ماتقول في العدى . قال لا خوف من الردى

« العدى الناحية »

قال فما تقول في الكافر . قال فيه استراحة المسافر

« الكافر الليل المظلم »

قال ما تقول في الظالم . قال هو غاية المتعبد والعالم

« الظالم اسم فاعل من ظلم الليل اذا صار مظلماً »

قال ايجوز للمؤمن ان يتبع الدجال . قال نعم يتبعه في الحل والترحال

« الدجال الرفقة العظيمة »

قال ماذا يفعل بمن احب الضال فلم يبتعد عنه . قال يتركه فلا خوف عليه منه

« الضلل الماء الجاري تحت الصخرة لا تصيبه الشمس او الجاري بين الشجر »

قال اترعى الضال اذا اتاك . قال نعم واؤانسه كما تؤانس فتاك

« الضال شرعاً هو المملوك الذي ضل الطريق بغير قصد بخلاف الآبق »

قال أيضل غير الاشقياء . قال تضل انت وكل الاشقياء . والاتقياء

« ضل الرجل مات وصار تراباً وعظاماً »

قال أيخشى على المرء اذا لمس الشيطان بيديه . قال لا ولو لثمه بشفتيه

« الشيطان سمة للابل منتصبة على الفخذ الى العرقوب »

قال اينجو من اصابه شيطان الفلا . قال ينجو اذا شرب ماء الثعلب والا فلا

« شيطان الفلا العطش . والثعلب مخرج الماء من الحوض »

قال ايجوز ركوب المحرم . قال نعم فانه غير محرم

« المحرم من الابل الذلول الوسط الصعب التصرف حين تحسبه »

قال ماتقول في البوق قال هو عندي كالفسوق .

« البوق الباطل والزور . ومن لا يكتم السر »

قال ايؤمر المرء بترك السحو وقد ادمن عليه . قال لا ولا سيما اذا كان مضطراً اليه

« السحو الغذاء »

قال ايجب دحر الساحر . قال لا ويجب دحر الداحر

« الساحر العالم »

قال ايحسن اجتناب الرافضة . قال هو عندي كاجتناب الشاة الرابضة

« الرافضة الابل الراعية وحدها والراعي ينظر اليها »

قال فهل يجتنب الفاجر . قال اذا اجتنب التاجر

« الفاجر المتمول »

قال ما تقول في صاحب الماكر . قال له اجر الماضي والحاضر

« الماكر العير تحمل الزبيب »

قال ايخشى من الماكر اذا كان صنع اليدين . قال لا فانه ممدوح في كل عين

« الماكر صابغ الثوب بالمكر اي المغرة . والعين الجماعة »

قال ما تقول في الجلوس امام الزواني . قال هو خير من الجلوس مع الغواني

« الزواني ثلاث قارات باليمامة وهي جبال صغار متقطعة عن الجبال التي حولها »

قال ما تقول في السوارق . قال بها الامان من المفاجئ والطارق

« السوارق الزوائد التي تنشب في القفل »

قال رأى رجل في رأس حافظ عمامة فأخذها سلبا . قال اخطأت فقد لقطها ولم يأخذها غصبا

« الحافظ الطريق البين المستقيم »

قال ما تقول في رجل مات ليلة ثم قام

« قال مات بمعنى نام »

قال أيعاقب قاطع رأس الجبل بالقتل . قال هكذا ورد في النقل

« الجبل سيد القوم وعالمهم »

قال ايجوز ذبح الشقيق . قال نعم ويطعم الرفيق

« الشقيق العجل اذا استحكم »

قال ايحل للمؤمن ذبح الآثمة . قال نعم ولو بغير محاكمة

« الآثمة الناقة المبطئة المعيية »

قال ايجوز للمؤمن ان يفتك بالغاوي . قال نعم ولا خوف عليه من المساوي

« الغاوي الجراد »

قال فهل يجوز للرجل ان يفتك اذا غضب . قال وهل يلام اذا رغب

« فتك في الامر اذا الح فيه . وغضب فلان اصابه الغضاب وهو القذى في العين وداء والجدري »

قال ايجب هجر النمام . قال لا ويجب هجر الهمام .

« النمام نبت كالنعنع لكنه اشد بياضاً وورقة كالسذاب له نور كالريحان عطري قوي الرائحة . والهمام النمام الذي ينم عليك »

قال ماتقول في اجهاد الطالح . قال مكروه عند الرجل الصالح

« الطالح اسم فاعل من طلح البعير اذا اعيا »

قال أيجب اجتناب المكذوبة . قال لا ولكن يجب زجر الكذوب والكذوبة

« المكذوبة المرأة الضعيفة . والكذوب والكذوبة النفس »

قال ماتقول فيمن حفظ مذمته . قال لقد حفظ ذمته

« المذمة الحق والحرمة »

قال أيلام المرء على الكبر . قال لا اذا كان خالياً من الكبر

« الكبر في الاول الرفعة في الشرف وفي الثاني التجبر »

قال أيرث الرجل مولاه . قال ومن يرثه سواه

« المولى الابن وابن العم والعم وابن الاخت »

قال ايجوز للمؤمن ان يأكل لحم العجوز . قال نعم كما يأكل لحم العجوز

« العجوز في الأول البقرة وفي الثاني الثور »

قال أيصح للرجل ان يشرب اذا شرب . قال نعم

ويحق له ان يطرب اذا طرب

« شرب بمعنى عطش وطرب حزن ضد »

قال ماتقول في لحم الجحش . قال هو كلحم بقر الوحش

« الجحش الظبي »

قال ماتقول في لحم الديك . قال هو محرم من دون تشكيك

« الديك الرجل المشفق الرأوف »

قال أيصح بيع التاجر في السوق . قال نعم كما يصح بيع النوق

« التاجر الناقة النافقة في التجارة وفي السوق »

قال ايجوز بيع الخمر . قال نعم كما يجوز بيع التمر

« الخمر العنب »

قال فهل يجوز بيع الدراق . قال يجب اجتنابه على الاطلاق

« الدراق الخمر »

قال ما تقول في بيع الحر . قال هو كبيع البر

«الحر الفرس العتيق . والبر جمع البرة من القمح»

قال فما تقول في المولى اذا باع المولى. قال بيعه صحيح ولكن عتقه اولى

«المولى في الاول المالك . وفي الثاني العبد»

قال ماتقول في رجل باع القدس بقرية . قال بيعه صحيح ليس فيه مرية

«القدس جبل وجبل عظيم بنجد»

قال ايجوز بيع الجمل في البحر . قال لا فانه كبيع السمك في النهر

«الجمل سمكة طولها يبلغ ثلاثين ذراعاً ولها خرطوم وتعرف بجمل البحر»

قال ايقتدى بالشريف وهو يخرف . قال نعم ولكن لا يقتدى بالاشرف

« خرف يخرف اولع بأكل الخرفة وهي المخترف والمجتنى من الفواكه والاشرف الخفاش أو طائر آخر »

قال ايجب تعظيم السيد . قال لا ولا تكريم السيد

«السيد في الاول المسن من المعز. وفي الثاني الذئب»

قال ايجوز ان يكون العالم حاكما . قال نعم اذا كان عالما

«العالم اسم فاعل من علم شفته اذا شقها »

قال ماتقول في الشيخ الكبير . قال هو عندي دون البعير الصغير.

« الشيخ الوعل وقد يستعمل للجمل ايضاً »

قال ما تقول في شيخ يلعب بالخريدة. قال هو كما لو كان يلعب بالفريدة.

« الخريدة اللؤلؤة لم تثقب والفريدة الجوهرة »

قال فما تقول فيمن أولع بحب العين والنهد والخال. قال هو كمن ولع باعاظم الرجال .

«العين السيد وشريف القوم والنهد الذي ينهد لمعالي الامور والخال الرجل السمح»

قال أيعجبك ان تنظر العلوق مع العذراء . قال نعم ويعجبني ان امد يدي الى البيضاء والسمراء

« العلوق الاشياء النفيسة من كل شيء . والعذراء درة لم تثقب والبيضاء الفضة والسمراء الحنطة »

قال ما رأيك فيمن يلعب بالرقاصة والجارية تحدق اليه النظر

قال ليس ذلك بممنوع عند ارباب النظر

« الرقاصة لعبة للعرب والجارية الشمس »

قال ماتقول اذا برزت النيران من افواه العقلاء . قال تقوض اركان الجهلاء

« النيران الآراء »

قال ما تقول فيمن اتاه مستنبح فأحله عينه . قال هو كمن ادى دينه

« المستنبح الضيف الطارق . والعين الناحية »

قال فان احله شقه أوخرقه . قال فقد اعطاه حقه

« الشق الناحية من الجبل . والخرق الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح »

قال فان قدم اليه قحفه ومنعه الزاد . قال فقد استوجب مذمة العباد

« القحف القدح يشرب فيه »

قال فان قدم اليه يده ورجله . قال هو كمن قدم عجله

« اليد الاكل . والرجل نصف الراوية من الخمر والزيت »

قال فان ذبح له علجاً (١) وطبخه . قال فقد زين مطبخه

« العلج حمارا الوحش »

---

(١) العلج الرجل الضخم من كفار العجم (هكذا)

قال ما تقول في السراج . قال اجتنبه اجتناب الدراج

« السراج الكذاب والدراج النمام »

قال أيكون ولد الامير صباغا . قال نعم ولكن لا يكون دباغا

« الصباغ الكذاب »

قال ما قولك في الاحمر . قال هو أشد فتكاً من الاسمر

« الاحمر الموت الشديد والاسمر الرمح »

قال أين تكون النواظر قال في الرأس . وأين تكون الكأس

قال قال في الكأس

« النواظر عروق في الرأس تتصل باليمنين فيها ماء البصر

والكاس في الاول الخمرة »

قال أرأيت العين في الظهر . قال نعم ورأيت الحول في الشهر

« الظهر امرأة الرجل . والحول الحذق وجودة النظر والقوة

والقدرة على التصرف . والشهر العالم »

قال ما تقول في صديق قطع لسانه . قال هو كمن منع احسانه

« اللسان الرسالة »

قال ما تقول في القدم . قال له المنزلة الرفيعة منذ القدم

« القدم الرجل له مرتبة في الخير والشجاع »

قال ما رأيك فيمن رأى البدر في أرضه يجول . قال لقد صدق فيما يقول

« البدر السيد والغلام »

قال أرأيت من قبض الهلال . قال نعم وابصرت من ركب الهلال

« الهلال في الاول الحية او الذكر منها وفي الثاني الجمل المهزول

قال فهل ابصرت الجمل في البحر . قال نعم ورأيت البحر في النهر

« الجمل حبل السفينة . والبحر الرجل الكريم والفرس الجواد »

قال وهل رأيت الحمارة في الهودج مع المليحة العذراء

قال نعم وهذه عادة عرب البيداء

« الحمارة خشبة في الهودج »

قال وهل رأيت البلد على الولد — قال نعم ورأيت الفيل في الجلد

« البلد التراب . والجلد السماء أو الرقيع أو كرة الهواء . أو الماء المتجمد فوق السماوات والفيل الحيوان المعروف والثقيل الخسيس والضعيف غاية »

قال وهل رأيت الكلاب في السماء . قال نعم ورأيت

الكواكب في الارض والماء

« الكلاب الكلب الاكبر والكلب الاصغر وكلب الجبار وكلب الراعي والكلب المتقدم وهي نجوم في السماء . والكواكب جمع كوكب وهو سيد القوم وفارسهم . والسيف والرجل بسلاحه . والجبل . والغلام المراهق »

قال ما تقول اذا هجم عليك الاعميان . قال اهرب ببني العلات واولاد

الاخياف والاعيان

« الاعميان السيل والطريق وبنو العلات بنو امهات شتى من رجل واحد واولاد الاخياف عكسهم . واولاد الاعيان اولاد الابوين »

قال اينام الرجل وهو غير نائم . قال نعم يتواضع للحي الدائم

نام الرجل تواضع لله تعالى

وبعد هذا قال لي والدي نم قليلاً واسترح الى ان أعود اليك ثم مضى فنمت ولكن أيعلم القاريء ماذا رأيت . لا يعلم . كيف يعلم وأنا أشك في

الامر انني رأيت نفسي في مدينة القضاة وأنا أطوف في شوارعها وأعجب مما أعاين عجباً كاد يذهب بعقلي فلو استطعت واعربت عنه لما صدقني الناس فالسكوت أكرم لي . ولقد أبصرت والدي يخاطب قاضي القضاة فسمعته يقوله ألا تأمر له بشيءٍ فقال خذ شيئاً من الرمان فسكت والدي وأطرق فقال له انك تريد ان تقدم الى ولدك ثمرة اللذة لينجو من الجزاء بعد نجاته من الارض فماذا نفعل اذا أثم بعد أكلها وانت تعلم ان آكلها لا تغلق في وجهه أبواب مدينة القضاة . فقال والدي اذا كنت تعلم انه لا يأثم اثماً كبيراً فاسمح له . فتأمل هنيهة ثم قال لقد أمرني الله تعالى أن لا أرد التماسك فعلى ولدك ان لا يكفر بهذه النعمة وعساه ان يقدرها قدراً عظيماً . وبعد هذا استيقظت فأبصرت والدي مقبلاً وفي يده غصن نضير بثمرتين شهيتين كل منهما بحجم بطيخة يبلغ ثقل الواحدة نحو الفي درهم أما لونها فهو كما تريد فان أردت الزرقة وذكرتها ازرقت وان اردت الاحمر احمرت الى غير هذا من الالوان التي تروقك فان لم تعين لوناً ابصرت لوناً بهجاً حسناً لا تعرف له اسماً . فأخذ والدي ورقة من ورق الغصن فاذا هي سكين ماض وقشر به لذة من اللذتين وقطع قطعة وناولني اياها وقال لي ان كنت تريد ان لا تأثم فكل من ثمر اللذة وقد علمت ما جرى بيني وبين قاضي القضاة من اجلك فأكلت قطعة صغيرة فشعرت بلذة ليس من الممكن ان يشعر بها سكان الارض . ثم قال لي اقترح شيئاً من المآكل فقلت اشتهي العنب فقال كل فأكلت عنباً لا يأكله آكل الا انشرح صدره . ثم قال اقترح غير الفواكه فقلت اريد شواء ثم اكلت فكان غاية في اللذة ثم قال اقترح شيئاً من الحلواء فاقترحت اللوزينج

فكان كذلك فسبحت الله الخلاق العظيم وشكرت والدي على احسانه وعظمته احسن تعظيم.

الفصل السادس منه

﴿ في المطابع ﴾

قال والدي يقف احدنا امام المطبعة ويتلو كلامه فتنقله باسرع من لمح البصر وتقدمه اليه مطبوعاً طبعاً جيداً متقناً بحروف جلية ينبعث منها في خلال سطورها نور لطيف لمن كان ضعيف البصر فيقرأها غير محتاج الى منظر

واذا كان لا يريد ان يذهب الى المطبعة فيقول وهو في داره يا صاحب المطبعة الفلانية « تهيأ » فيسمع حالاً قائلاً يقول « اقرأ » فيقرأ المقالة وبعد دقائق يراها بين يديه مطبوعة . واذا أراد فيضعها في آلة عنده فتنقلها وتضعها امام المطبعة فتطبعها حالاً واذا اردت ان يتكلم الكتاب المطبوع بما فيه من الكلام تكلم كلاماً فصيحاً اما آلة التكلم فانها مخبأة في الجلد اللطيف لا تراها لدقتها واذا طبعت صووتك في كتابك قرأته عنك بصوتك ولهجتك كأنك انت تقرأه

الفصل السابع منه

﴿ في علماء الارض وحالة الانسان الاولى فيها ﴾

قال والدي آفة للعلم الجاهلات من النساء . ان المرأة الجاهلة لا تريد منك براعة وعلماً بل تريد مالاً كثيراً وقداً نضيراً ووجهاً منيراً واستعطافاً واستلطافاً

وتريد لها غراً لم يجرب الامور بل اغراراً ينشأون على ارادتها وينمون على محبتها لتفعل بهم ما تشاء وتريد فلا يتحركون الا بحركتها ولا يسكنون الا بسكنتها

اذا تعلم الرجل أصل (١) احوال النساء فلا يحسن عندهن ان يكون الرجال علماء وهن جاهلات . ان المرأة الجاهلة تزعم انها تستغني بحسنها ودهائها عن العلم الذي يلزمه الثبات والجهاد الحسن . المرأة تستعبد العالم وهي جاهلة فماذا كانت تفعل به لو كانت عالمة كانت هي الرجل وهي المرأة معاً . لو اشتغل الرجل عن المرأة بالعلم لكانت الدنيا للعلماء

يا ايتها المرأة انك لعظيمة اعظم مما تعلمين . لقد هابك الرجل الاول فأذلك اما الآن وقد علمت كيف تسودين فلماذا لا تتعلمين . تعلمي ليرى الرجال عظمتك ليرى الرجال منك عظمة مزينة بالمحبة الخالصة السالمة من شائبة التنقل والملل وهم يحتاجون الى الثبات فتقوى قلوبهم بك ويحترمونك

يا ايها الرجل كيف تطلب العلم وانت لاه عنه بحب المرأة حائر لا تعرف كيف تسترضيها ولا تدري كيف تستعطفها . كيف تسعى وراء العلم وانت لا تملك عقلك . من ترك المرأة وتفرغ للعلم فهو اكبر منها مع انها اكبر منه ولكن هيهات ان يسلم منها

انك يا ايتها المرأة جميلة ولكنك لا تعرفين قيمة جمالك فتعلمي لكي تصونيه ولا تحتمي به الادنياء الذين ينكرونك متى ملك جمالك فاذا تعلمت حفظت لك جمالاً لا يملك ودامت عظمتك

يا أيها الذين خادعوا الحب فسرقوا من أوقاته ساعات صرفوها في طلب العلم . و يا أيها الذين غضبت عليهم حبيباتهم فهجرنهم مدة معلومة

(١) أصل الشيء قتله علما فعرف أصله

رجعوا بها الى العلم فاصبحوا علماء - انتم علماء الارض ورجالها . انتم ولا تعلمون من انتم . انتم من أعاظم رجال الزهرة وأكابرها الذين بأيديهم الحل والربط فيها . انتم البارعون المتفننون انتم المخترعون والمكتشفون . انتم الافاضل الذين يأسف عليكم سكان الزهرة . انتم الذين يشهد لكم رجال الزهرة بالفضل عليها نزلتم الى الارض وقد بقيت في نفوسكم بقية من العلم فملتم بها اليه فكان نصيبكم منه العذاب والفقر

من هم البائسون ومن هم الفقراء الصابرون من هم القانعون الراضون من دنياهم بما قسم الله تعالى لهم من العيش الضيق هم علماؤكم يا اكثر سكان الارض . هم البائسون ولكنهم عظماء النفوس . هم الفقراء الصابرون ولكنهم اباة الضيم لا يقعدون على الذل ولا يرضون بالدنيئة . لقد حكم الله تعالى عليهم بان تذل نفوسهم فأنزلهم اليكم وجعلهم يلتمسون خبزهم منكم انتم الذين لا علم لكم ولا تدركون للعلم مزية . لقد انزل الله كثيرين من علماء الزهرة (الذين لم تكن خطيئاتهم عظيمة) الى غيركم من الامم التي عرفت فضل العلم فكانوا في سعة من العيش

اذا رأيت عالماً فقيراً في مدينة فاستدل بفقره على جهل اهلها .

ان علماءكم يلتمسون خبزهم منكم ولكنهم يعلمونكم ويهذبون اخلاقكم ويدافعون عنكم ويخاصمون لكم ويدرأون اعداءكم ويدلونكم على الخير ويرشدونكم الى النجاح ويتهالكون في حبكم عند الملمات . ان رأي عالم فقير يحفظ امة بمالها من بلية كادت تذهب بها وتستأصلها. يا ايها المتمولون الجهلاء لو سعى العلماء بذكائهم وفطنتهم وحسن جدهم وراء المال نصف سعيكم لما تركوا لكم ديناراً تربحونه من عمل يمارسونه

ولكنهم زهدوا في المال لان نفوسهم ارفع منه وتركوه لكم فاحمدوا الله ولا تضطروا بعضهم الى هجر العلم وطلب المال. ساعدوهم على نشر فوائدهم وفضائلهم لعلكم تنتفعون بها. اكرموهم وقربوهم منكم بالاخلاص. اركنوا اليهم وشاوروهم في أموركم فانهم مخلصون لا يعرفون دهاء المتمولين وخداعهم. ان الذي تحسبونه عظيماً لديكم فتحرصون عليه هو محتقر عندهم فلا تخافوهم اذا رجعتم اليهم فيما يعز عليكم.

نحن نرجع الى علماء الزهرة في كل أمر. نحن لا نستغني عنهم. ان الزهرة بدونهم لا تصلح للعيش فلذلك هم المقدمون على الخليقة وهم السراة والعظماء.

لما فرغ والدي من كلامه قلت له التمس منك ان تعلمني كيف كانت حالة الانسان الاولى في الارض. فقال ان الفصيلة البشرية الاولى (اكلة النبات) في الارض كانت تجري وراء الحيوان وتفتك به. وكانت تقف له في طريقه وتصيده. فاذا ظفرت به حياً مزقته بأظافيرها وانيابها واكلته غير ان الانسان توصل بأكله بقايا الحيوان الملقى في الهواء ايام الخريف الى اكتشاف صناعة التقديد فصار يصنع من اللحم قديداً يدخره لايام الشتاء حيث يقل الحيوان اذ يعتصم بملاجئه الحصينة في الجبال. وكان يأكل ايضاً الحريد (١).

وتوصل ايضاً بأكله بقايا الحيوان الملقاة على الرمضاء ايام الصيف الى معرفة انضاج اللحوم في حرارة الشمس وهذا هو العلم الاول فالصناعة الاولى اللذان انتفع بهما الانسان وعرف منهما فائدة الحرارة فأحب التوسع فيهما

(١) الحريد السمك المقدد

تفنناً منـه فصار يدفن اللحوم في الاراضي الرملية الى ان تنضج فيأكلها . ومن هنا ابتـداء تاريخ الفنون . وقد قادت الصدفة رجلاً الى قطعة من اللحم مخبأة في رملة فأكلها متلذذاً بها . (اما اكله النبات فلم يتعلمه تعلماً بل كان طبيعياً فيه)

اما علم التاريخ فكان ابتداؤه من نشأة الانسان الاولى اي منـذ كان الاب ينقل الى ابنائه حوادث ايامه المستغربة . الا ان هذا النقل لم تتم به فائدة لان الانسان لما كان مؤلعاً بالغريب من الحديث غالباً لم يكن يحفظ الحوادث العادية التي في بعضها ماهو جدير بالاعتبار . وازيد على ذلك ان تلك النقول والحكايات المكررة لم تكن تسلم من شوائب المبالغات التي كانت تلفقها عجائز الحي ولا من الخرافات والاباطيل والترهات التي كانت مدعاة للجهل فتضيق بها دائرة العقل

ولنرجع الى الـكلام عن الحرارة فأقول ان الانسان اكتشف النار بما تقذفه البراكين والشكن (١) حواليها . واكتشفها غيره بسقوط حجر من الصوان على حجر مثله فاورى واكتشف النار غيره من تصادم حجرين صدفة فلما عرف من اين وكيف تستخرج النار أخذ يقدح زناد فكرته شأن العالم المحقق المتفنن فأدرك انه اذا حك قطعة من الخشب بقطعة اخرى حكاً قوياً متوالياً بضع ساعات ظهرت النار الـكامنة فهم بعد ذلك بالتجربة مستعيناً على بلوغ مراده بالثبات الى ان تمت له امنيته فاصبحت النار طوع يديه ينضج بها اللحوم ويستدفيء بحرارتها ايام البرد فايجاد النار اذاً علم وصناعة

---

(١) الشكنة بئر النار

من أهم العلوم والصنائع ذلك لان الانسان حفظ بها نوعه بعض الحفظ في ذلك الحين

اما اكتشاف بعض المعادن فقد كان من اضرام نار شديدة في بعض الجبال ومن ظهور المواد الذائبة وتجمدها وتصلبها بعد انقطاع الحرارة عنها

ولقد رأى الانسان مرة ثكنة تقذف سوائل عن بعد فدنا منها ما امكن فاذا هي تلتهب كالنار ثم رآها بعد برودتها الحاصلة لها بفعل الهواء جامدة صلبة اكثر صلابة من الصوان الذي كان يهذبه ببعضه ويصنع منه سلاحاً فاستعاض عنه بهذا المعدن . والامة التي اتخذت اسلحتها من المعدن تغلبت بها على الامم التي حواليها واستعبدتها

ولا شك ان الصناعة تقدمت تقدماً عظيماً باكتشاف المعادن ومعرفة الانتفاع اذ نجا الانسان من هجمات الحيوان المتوالية بدفاعه عن نفسه بالاسلحة الحديثة فقد مر قبل ذلك حين من الدهر على الانسان والحيوان كانت الحرب بينهما الحرب العوان وفي ذلك امكن الانسان ان يحفظ نوعه اكثر من قبل وما كان هذا الا بفضل العلم

فيستنتج مما تقدم ان الانسان كان في اول نشأته من آكلات النبات واللحوم . فلما تعلم ان يستفيد من البحث والتدقيق في طبائع الاشياء وكان يحب اكل النبات ايام الحر بحث عن خواصه واختبرها بالحيوان الداجن ثم بنفسه فاختار بعد ذلك من النبات لطعامه وغذائه ما هو اصلح من غيره

ولا ريب ان هؤلاء الرجال المكتشفين والمتوصلين باجتهادهم الى معرفة بعض الاشياء في ذلك الزمان كانوا مكرمين ومعظمين لنفعهم فنتج من تكريمهم وتعظيمهم ان كثيرين غيرهم واصلوا الجد والتحقيق حتى

برعوا وفاقوا سواهم في علم الجماد والنبات والحيوان وادركوا ان في تناول بعض النبات شفاء في الابدان وان الله سبحانه وتعالى خلق لكل علة نباتاً شافياً فكان من ذلك علم الطب فحفظ الانسان به نوعه اكثر من قبل ايضاً ولكن هذا العلم لم يتقدم التقدم المطلوب واقول انه لا يستحق الى اليوم ان يسمى علماً . ولم تزل الصناعات تترقى بالعلم حتى وصلت الى ماهي عليه الآن وهي غير واقفة عندحد وسيعلم الانسان بها ما لم يكن يخطر بباله

أما الكلام (غير الاسماء التي علمها الله تعالى الانسان) فقدكان بعدذلك عبارة عن الفاظ لا معنى لها أشير بها عن غير قصد وضعها الى اشياء بعينها دون غيرها لتدل عليها وتتعرف بها . فلما افادت وتم بها الفهم وحصلت منها الدلالة على المعاني المقصودة بذاتها تكرر استعمالها على ان لفظ كذا مخصص بهذا الشيء ليميزه عن غيره في المعرفة

ولما كانت هذه الالفاظ قليلة العدد بالنظر الى قلة الدواعي والاحتياج الداعية الى الكلام تقررت في الاذهان ورسخت في العقول . فكانت منها المشتقات بحسب اللزوم فلما ازدادت الدواعي بازدياد ترقي الانسان وضع لها اولاً فأولاً الفاظاً تدل عليها مناسبة لواقع الحال ولطبع الشيء وماهيته مستعيناً على ذلك بالقلب والابدال

اما الاصوات وما يضاف اليها فقد كان الانسان يعبر عنها بلفظ من مثلها كما عبر عن صوت الخيل مثلاً بالصهيل وعن فصل العود اليابس بالكسر ألا ترى في لفظ الصهيل محاكاة صوت الفرس . وفي لفظ الكسر مشابهة صوت ذلك العود وهو يفصل اي انك اذا كسرت عصاً سمعت صوتاً متناولاً أحرف كلمة الكسر

اقول ولا يخفى ان الكلام جعل دليلاً على مراد المتكلم فاذا كان فصيحاً بليغاً كان سريع الاعراب عما في جنانه من المعاني اذ يتناوله طبع السامع حالاً ويشربه ذوقه بسهولة فيقع في قلبه احسن وقع فيرتاح المتكلم ويصغى اليه وكثيراً ما بلغ الفصيح غير العالم ببيانه وحلو خطابه مبلغاً لم يدرك شأوه العالم الراسخ في العلم الذي لا بيان له في منطقه . ورب كلمة فصيحة سكنت غضب امير ساخط فعفا وأحسن

وعليه فقد كانت المزية الكبرى في ذلك الحين لمن كان قوي الذاكرة شديد العارضة (١) يستظهر (٢) الكلام ويرويه الناس فينقلونه عنه . الا انه كان معرضاً للتحريف والتصحيف وللزيادة والنقصان . ومن كان ضعيف الحافظة غير مستطيع ان يحفظ في مخيلته كل ما ينظمه وينثره فلم يكن له نصيب وافر من علمه وتعبه

فلما وضعوا بعد هذا اشارات ورسوماً لمقاصد مخصوصة ومعان معينة تمكن بعض العلماء ان يثبتوا بها شيئاً من آثارهم غير بالغين مرادهم في اثبات كل مايرومون اثباته أو من اثبات جل كلامهم وذلك لان تلك الاشارات والرسوم لم تكن وافية بالمرام ولان النقش على الحجر اوعلى الخشب كان صعباً وكان يقتضي نفقة عظيمة اكثر من اقتدار ذلك الشاعر او الخطيب او العالم

فلما ظهرت الكتابة بالحروف وظهر الرق دخل العلم في الدور الثاني فترقت المعاملات واستحكمت المعاقدات والمعاهدات وتقوت العلاقة البشرية والرابطة الانسانية وذلك باثبات وتدوين قواعد الدين التي انزلها الله سبحانه

---

(١) العارضة البيان واللسن يقال فلان ذو عارضة

(٢) أي يحفظه ويقرأه ظاهرا أي حفظا بلا كتاب

وتعالى على انبيائه ورسله العظام رأفة بالناس ورحمة لهم فنجم عنها تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول وايقاف الانسان عند حد معلوم لا يتجاوزه فاجتنب كثيراً من المناهي والمحارم وكان ذلك سبباً لظهور مدنيتكم وحضارتكم فعرف الانسان تقريباً معنى كلمة الانسانية . ولما ظهرت المطابع دخل العلم في دوره الثالث وله ادوار اخرى فترقى الترقي المعروف عندكم وتأخر من جهات اخص منها اختراعه الاسلحة السريعة التفتك بالنظر الى غاياته

ولنعد الى الكلام عن الفصاحة والبيان فأقول من المعلوم ان المراد من علم المعاني والبيان وعلم البديع هو معرفة اختيار الالفاظ المأنوسة الرقيقة السالمة من التنافر ومعرفة التراكيب السهلة الخالية من التعقيد . ولهذين العلمين فائدة عظيمة وهي الرقة والمتانة لان المتكلم حينئذ يرق لفظه ويجزل منطقه في عذوبة ولطافة . ان الكلام الرقيق لا يجري على لسان الفظ الغليظ من الناس

فتبين مما ذكر ان الانسان لم يحفظ نوعه هذا الحفظ ولم يطب له بعض العيش ولم يعظم قدره الا بالعلم وان اجدادكم عانوا المشقات وزاولوا الشدائد حتى توصلوا الى معرفة بعض اسباب الراحة والرفاهة وقد وضعوا لكم قوانين وقواعد وتراتيب وعادات يتحسن بها عيشكم .

غير ان المتأخرين بعد ان اخذوا اخذهم وذهبوا مذهبهم في البحث والتدقيق اضافوا الى تلك العلوم والفوائد اشياء امست ضرورية لكم ومفيدة بالنظر الى احوال الزمان وتقلبه وتغيره . فيجب على الانسان العصري ان يتتبع تلك العلوم وما اضيف اليها بجملتها ويتعلمها بحفظ واتقان غير متعلل بشيء فان العلم أصبح هيناً قريب المنال سهل المأخذ لا يجد الطالب في الحصول

عليه مشقة بخلاف عهد أجدادكم فانهم كانوا يطوون فيه السباسب والقفار ويجوبون البلاد ويقاسون المكاره في طلب العلم بل يعرضون نفوسهم للمخاطر .

أما الآن فقد أصبحت المدارس اكثر انتظاماً من قبل وهي تبتسم في وجوه الطلبة والعلماء بين ظهرانيكم يرغبونكم في التعلم وهم ما برحوا يضعون الكتب التي هي أقرب تناولاً من غيرها تسهيلاً لكم لئلا تملوا . واما نفقة التعليم فيلاحظ بها أحوال الناس واستعدادهم أيضاً ترغيباً لهم وتشويقاً

فمالي أرى اكثر الناس مقصرين في تعليم ابنائهم ألم يهتدوا الى الآن ويدركوا ان قيمة الانسان ما يعلمه الم يشعروا ان زمن اولادهم اصبح غير زمنهم وانهم ان غادروهم جهلاء ضلوا بجهلهم واصبحوا وراء البشر . يا أيها الناس علموا ابناءكم ليعلموا قدر نفوسهم فان لم تعلموهم عاقبكم الله تعالى

الفصل الثامن منه

(في الشعر والشعراء)

قال والدي اذا برع احدنا في الزهرة وفاق اقرانه في المعارف والفنون وعلم من نفسه ان له قريحة شعرية كتمها ونظم الشعر سراً ولم يظهره لئلا يكون غير فصيح فيفسد لغة حافظيه . فحينما يرى انه بلغ مبالغ الشعراء المجيدين ينظم في كل نوع من انواع الشعر قصيدة ويقدم القصائد الى الندوة الشعرية فاذا استجادت شعره اتفقت على تعيين النوع الذي كانت اجادته فيه اكثر من غيره وخصته به وحظرت عليه ان ينظم الشعر في نوع آخر

اي ان الشاعر اذا احسن في الحكم مثلاً فلا يسمح له ان ينظم المديح فاذا اختلفت الندوة في التعيين ورأت الشاعر اجاد نظم نوعين او ثلاثة خيرته في اختيار النوع الذي يروقه . وبعد هذا يعان اسمه بالتكريم والتعظيم وترفع مرتبته اذا لم يكن من ارباب المراتب العالية فاذا كان منهم امتاز امتيازاً عظيماً

فاذا رأت الندوة ان القصائد غير جيدة منعت صاحبها من اشهارها غير انه يسمح له وهو في الزهرة ان يلقي الشعر على من يريد من شعراء الارض

اما اوزان الشعر فانها بعدد انواعه اي ان شعراءنا الاولين جعلوا لكل نوع وزناً خاصاً به يزيد الشعر تأثيراً في السامعين فللشجون مثلاً وزن ترقق نغمته القلوب القاسية وتكرهها على الرحمة. وللحماسة وزن آخر يهيج الخواطر ويشدد القوى الى غير ذلك .

واعلم ان شاعرنا اذا أَثم وطرد الى الارض ظهرت قريحته فيها غير ان طبقته تدنى وتفقد تلك المعاني والفصاحة التي كانت له في الزهرة فاذا رجع اليها اعيدت قريحته اليه

فقلت لوالدي وددت لو عربت لي قصيدة من شعركم فقال لا تستطيع ان تفهمه مع هذا فاني اتصرف في التعريب واجعل القصيدة قريبة الفهم والتناول فالمعنى الذي لا يهون عليك فهمه ابدله بغيره . قال الشاعر الذي تعريب اسمه « صبر » وهو الشيخ فتح الله النحاس الحلبي لما رأى الله تعالى ان يخلق العباد علم انهم لا يأتلفون ولا يحفظون نوعهم الا اذا تقرب بعضهم الى بعض بالمحبة فأوجدها لهم فتجلت بحسن رقتها ولطافتها للعقل

فأثرت فيه تأثيراً خاف ان يفقد به سداده وحكمته وهو عالم انه لا بد لكل مخلوق من المحبة فقال لها ان الله جعل مركزك القلب لانك اذا تسلطت تسلطاً يخشى عليه منه نبهته وحذرته فنزلت الى القلب واستقرت فيه فظهرت بهذا التجلي والاستقرار الرابطة الطبيعية بين العقل والقلب على انهما خافا ان يختلفا فجعلا الارادة بينهما حكماً مسؤولاً عنهما فتسامت المحبة بتنبه العواطف الشريفة اليها وشعورها بلذاتها وتنورت بها القلوب المظلمة تنوراً نجم عنه الائتلاف فتلطفت خشونة العيش . فبناء على ذلك أمر الله تعالى عباده بأن يحب بعضهم بعضاً وجعل المحبة قاعدة من قواعد الدين الكبرى

ورأى جل جلاله أن آفة المحبة الطمع فجعل العيش ميسراً لجميع عباده فلم يضطروا الى المضايقة فالنفار فالقتال لان أحدنا يستطيع بقليل من السعي والجد ان يعيش عيش اخيه الرغد ثم أمرهم بالقناعة

ورأى الله تعالى ايضاً ان الائتلاف والاختلاط يتسببان بالفساد فأمرهم بأن يتعففوا وجازى المخالفين جزاء مهيناً اليماً فتحابوا حتى أصبحت المحبة عامة بينهم وهم بها اعفاء فارتاحوا وسعدوا

فلما تلذذوا بالراحة والسعادة الصادرتين من المحبة وهم يعلمون انهما من فضل الله تعالى ادركوا انهم يحتاجون اليه في كل شيء وانه لا يحتاج اليهم في شيء واحد لانهم كالهباء المنثور بالقياس الى اقتداره وعظمته واغتنائه بذاته عن سواه . وعقلوا انه ليس في وسعهم ان يقدموا اليه شيئاً من عندهم يفصحون به عن سرورهم العظيم ويستعطفونه ليديم عليهم هذه النعم فاقروا له بعجزهم فارشدهم ذل العجز الى حمده وشكره اللذين هما مكافأة العاجز الذليل على فضل الفاضل واحسانه

وقد كان اقرارهم بالعجز وحمدهم اياه تعالى منبعثاً عن شدة حرصهم على طيبات الحياة فاخذوا يتقربون اليه بالتواضع والرقة وهو كلما تواضعوا ورقوا احسن اليهم بالآلائه فنمت المحبة في قلوبهم حتى فاضت فيضاً عظيماً سُر به لانه كلما رسخت له المحبة فيها ازداد حب الخلق لبعضهم بعض وهذا غاية ما يتمناه الله تعالى لهم فانه مسؤول بحكم عدله ورحمته عن راحتهم وهي لا تدوم الا بالمحبة

ان هذه المحبة لم تنشأ فينا بسعينا واعتنائنا بل هي هبة من عند الله تعالى كما علم فكان من الواجب أن تكون له وحده وما زاد منها فللعباد

هذا ومن المعلوم ان الله سبحانه وتعالى لم يقبل منا محبتنا ولم يرض علينا بها لانها شيء مذكور لديه بل لانه يريد من توجه قلوبنا اليه بالمحبة ان نكون طاهرين فنعتاد الطهارة في كل فعل يصدر منا . فالافراط في حب الخليقة اذاً خيانة منا لله تعالى واساءة من وجهين ففي الوجه الاول يرى عبده لها عن حبه من أجل لذة وقتية جزئية نسي بها اللذات العظيمة التي اعدها له . ونسي ايضاً انه لم يشعر بهذه اللذة الا بما جعله الله تعالى في خلقه من الاستعداد الطبيعي لقبولها فالفضل في ذلك هو بجعل الخالقة مستعدة لقبول االلذة لا للذة نفسها . فيلزمنا أن لا نفرط في المحابة لئلا ننسى خالقنا العظيم الذي جعلنا نتلذذ في كل وقت بمواهبه

وفي الوجه الثاني يرى أفراطنا في غير محبته فيسؤه لانه يهيجنا فيمسي لنا شغلاً شاغلاً نلهو به عن واجباتنا وندع كل شيء وراءنا فلانستطيع الوصول الى حاجاتنا . وهناك أمر آخر وهو ان الافراط في الشيء مضر بصاحبه ضرراً منهياً عنه فمن ثم يجب علينا ان نكون في المحبة حكماء

ولكن كيف انهى عن الافراط وأنا مصاب به غالبًا لا أستطيع الاقلاع عنه . انني أستغفر الله تعالى اذا قلت لك يا حبيبتي ان محبتي تكاد تكون غير معتدلة

انني أحبك ان جملة قولي « انني أحبك » كتبتها بيدي الراجفة ثلاثًا وأنا في كل مرة أمحوها استحياء منك ثم كتبتها وأثبتها لان قلبي الصادق أصر على اثباتها فلا أخاله يغشني

لقد اتفق القلب والارادة على كتابتها أما العقل فانه لم يتعرض لنا ولا شك ان عقلي لا يسومني خسفاً ولا يعرضني لما تكرهين

ان الخلقة السامية لا تكون سامية الا اذا كانت حرة في المحبة . ان المحبة الطاهرة لا يجب كتمها غير ان محبتي ليست بشيء يبيض به وجهي لديك لانني احبك لنفسي . ان كثرة محبتي مع علمي ضررها أمر عجيب لا يحسن صدورها من مثلي

ياوردتي البيضاء عسى ان تتعطفي عسى ان تنتبهي الى ما اقول (لقد خطر ببالي الآن انك تحبينني) فان صح هذا فلا يبقى محل للعجب لان المحبة تعززت بمثلها فهي كثيرة بمحبتك ان شاء الله تعالى وعليه فلا أكتمها عنك فان لم تقبليها مني وان أنكرتها علي زالت لانها لا تقوم بذاتها بل تقوم اذا اتحدت بغيرها

محبتي شريفة طاهرة لا تضع من قدرك ولا تعيبك اذا كانت محبتك مستعدة لقبولها والاتحاد بها

محبتي صافية لانها استمدت صفاءها من قلبك . اعذريني اذا كان لا يسمح لي ان اذكر قلبك الصافي مقروناً بذكر محبتي . ان الفصاحة

الشعرية لا تجيز تكرير الكلمات أما انا فأ كرر كلمة قلبك في شعري لانه يشتهي ان يتلألأ به أما هو منير بنور الطهارة

لقد نمت المحبة وعظمت فلم يسعها قلبي فنفذته وسرت اليك بقوة الجذب الصادرة من جميع جوارحك . ماذا ترين في محب اعتاد المحبة فخرجت من قلبه العليل بغتة ايلام اذا جن ونادى كل وقت يا قلبي

ان حالتي تكاد توصلني الى حيث لا ينفعني قربك فتداركيني باشارة منك تشدد قوائي وتحيي في الامل

ان حالتي أجارك الله تعالى من مثلها تضغط النفس في أعماق القلب فيكاد يتمزق ولولا تعلله بانه سيكون سعيداً بقربك لاسفت عليه الحياة ورحبت به الابدية وقالت ادخل بسلام يا شهيد الغرام . هذا اذا كنت تحبينني وكانت الايام لا تسمح بقربك . ان الله تعالى لا يريد عذاب عباده بالمحبة

لقد علمت انني مؤاخذ اذا لم أستعد كلامي وأرده الى نفسي لاني أفرطت وخبطت فالرحمة الرحمة يا خالقي العظيم العليم كل حسنة منك وكل سيئة من نفسي التي لا تريد ان تضغط بالصبر

ان قلبك لا يستطيع ان يسألني عن محبة غيرك . أية فتاة تقول انني نظرت اليها ولو بطرف خفي . لا انظر الى احد برغبة غيرك

لقد ابتدأ الحب بك وقلبي يحدثني بأنه لا ينتهي الا بك فبك بداءتي في المحبة ومنك حسن نهايتي انشاء الله انني اراك بقلبي أ كثر مما اراك بعيني فتحسدانه عليك انني ارى نفسي اهلاً لك هي النفس العزيزة التي تعز على كثيرين من أكارم سكان الزهرة فهي بالطبع عزيزة لديك ايضاً هذه النفس التي ذابت وسالت اليك تسألك الانصاف .

ان صديقتي هي نفسي فلا يعز علي شيء بعد الله تعالى غيرها فأحب واشتهي ان تكوني اليفتها لنقطع سوية ادوار هذه الحياة ونمضي بعدها الى جهة السعادة الدائمة في المريخ الا تكون سعيدين اذ اتفنا بالجنة ان الجنة لك يا إحدى فتياتها وارجو ان يعطني الله تعالى اهلاً لها

انت من الطبقة الاولى بين غادات الزهرة فالعباد يتسابقون اليك وكل منهم يعلل نفسه بأنه يظفر بك فلمن تكونين ياليت شعري . يتسابقون اليك لانك عالمة اديبة رضية الاخلاق ولانك متفردة بالمحاسن

لقد ابتهجت لما علمت بانك ستهتدين قريباً الى اكتشاف جديد في علم تدبير المنزل يعود على سكان الزهرة بالمنافع والفوائد

لقد سرني منك ان الفتيات يقتدين بفضائلك وان كثيرين من الرجال يريدون ان يكون لهم شيء من مزاياك

أكرر قولي انك تفردت بالمحاسن مع ان حسناً واحداً منها يستحق محبة اعظم رجل اقول هذا وقلبي يخفق علماً مني انني لا أضاهيك في كثير من المزايا فانا دونك غير انني اضاهيك بعظمة وفائي وشرف قلبي وصدق محبتي وصفاء نيتي

انني لا اتمدح بهذه العبارات لان ما امدحه غير مكتسب بهمتي بل هو هبة من خالقنا . اشكر الله تعالى لانه جعل في صفات تروقك اكثر من غيرها . يظهر لي ان الله لم يخلق في هذه المزايا الا لأكون أهلاً لك وذلك حباً بك اي انه احبك فخلقني لك فما تقولين ولكن مالي وهذا الكلام الذي يعرب عن عظمة في صاحبه هل اعظم به في عينيك انك تعرفين الحقائق وتعلمين من انا . اعذريني يا نور الحكمة اذا وجدت كلامي أعظم مني

انك ستجدينه كذلك اعذريني فقد زعمت اني استرضيك به

آه ما أحلى المحبة اذا عدلت وما امرها اذا جارت ان المحبة الجائرة تستخف بصاحبها وتهجم على عقله وتزيغه عن مركزه قسراً ولكن ما السبب في ذلك هو ان المحب اذا لم يعتصم بالحكمة نقمت عليه المحبة نقماً عادلاً فاذاً انا مخطيء بقولي ان المحبة تجور لا تجور لانها من الله

اعود الى ذكر محاسنك فأقول ان الله تعالى لم يخلقك عجباء يتعجب من حسنك الا ليعجب المتكبرون من اقتداره وعظمته الفائقين .

لعينيك نور يدخل القلوب فتكرمي وألقه على قلبي لتنظرا هل فيه غير اسمك الجميل مكتوبا بأحرف نارية تلتهب فيه

اني خشيت ان تسقط نفسي في الكبرياء واردت ان تتواضع رحمة لها فنظرت الى مرآة وجهك الصافي ليظهر الفرق العظيم بيني وبينك.

ان وجهك كله اجمع بهجات في محاسن اما وجهي اذا قابلته بوجهك فيشبه وجوه سكان بعض الاجرام الحقيرة مع اننا نحن سكان الزهرة اقتبسنا شيئاً مذ كوراً من جمال سكان المريخ

ما اعدل قوامك الذي علمنا الاستقامة والاعتدال

ما الطف انفك الذي تشتهي زهرة القلب ان تحاكيه (هي زهرة مشهورة بلطافتها وحسن رقتها تسمى عندنا بالقلب)

اني اسألك بالمحبة الطاهرة ان لا تكلميني كثيراً اذا سمحت لي بالقرب منك فان قلبي حينئذ يضطرب في صدري من شدة التأثر فاشتغل به عن حسن التمتع بمشاهدتك

لا اجد لا ئماً يلومني اذا قلت انني احسب كلامك مثل كلام القلبي

«سا» العظيم (هو قاض من سكان الزهرة اسمه «سا» كان اذا كلم رجلاً أسكره او اذابه فمنعه قاضي القضاة ان لا يكثر من خطاب الرجال وامره أيضا بان لا يخاطب أنثى وكان ذلك من نحو مائة وخمسين ألف عام)

لا يحق لك ان تعتبي علي لاني لم اصف حسن جيدك اني اذكر السبب ولا اخالك تجهلينه وهو ان نور عنقك غلب بصري فلم يقو على النظر اليه فاذا وعدتني انك تسترينه بشعرك على الاقل تجاسرت على لحه لحاً خفيفاً ووصفته .

أحب اذنيك الصغيرتين اللتين هما كصدفتين جميلتين من بحر ملبا (هو بحر في الزهرة له صدف صغير متلالىء كلما لحته نصع(١) لونه تزينه حمرة خفيفة كأنها من ذائب ياقوتة حمراء لطيفة الحمرة.

وأحب اذنيك لانهما تحرصان على درر الحكمة حينما تفرغ فيهما وتنبذان كل شيء غيرهما احبهما لانهما تسمعان عن بعد ضربات قلبي العليل التي هي نقرات حروف سريعة الحركة اسرع من البرق ولا عجب في ذلك لان مصدر سرعتهما نور المحبة وهذه الحروف تتركب منها جمل الغرام الاستعطافية فتنقلها اذناك اللطيفتان الى قلبك غير اني اخاف عليه حرارتها لانها منبعثة من قلبي .

اكتفي بهذا القدر من الكلام ولا آتي على ذكر بقية محاسنك علماً مني ان وصفها غير مستطاع

واقول في الختام ان المحبة راضية عني لاني وفيتها حقها فياليت شعري هل انت راضية مثلها اجيبيني بحق المحبة اه

---

(١) نصع لونه اشتد بياضه وخلص

فلما فرغ والدي من تعريب القصيدة قال اني اتصرف ايضاً في تعريب شيء من شعر زاهد الشاعر وهو الخوري نيقلاوس الصائغ الحلبي قال

ان الجسم البسيط القائم من مادة واحدة لا ينحل ولا يتجزأ فيجب علينا ان نظل في اعتقادنا ان الله تعالى احبنا فخلقنا وان نبقى ثابتين ويلزمنا ان نحبه محبة لا تنحل ولا تتجزأ . ان السعادة في الجنة والمحبة بلبهما . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان

ان الاجسام المركبة القائمة من مواد مختلفة هي قابلة الانحلال وهي لا تستطيع الا ان تتجزأ . فاذا اردنا ان لا ينحل نظام كياننا واذا احببنا ان يستمر عقد انتظامنا متسقاً لا تتفرق ولا نتشتت فمن الضرورة ان تكون محبتنا من مادة واحدة اي لغاية واحدة وهي مرضاة الله . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان .

ان المواد تختلف بعضها عن بعض في القوة والضعف فالمادة القوية هي التي فيها قوة الجذب اشد من غيرها فكما ان الحيوان يطلب قوته بجده ونشاطه كذلك المواد فان قويها يعالج ضعيفها ويجذبه اليه ليتغذى به ويتقوى . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان .

اننا كثيراً ما نرى بمكبراتنا المادة الضعيفة المجذوبة تجذب مادة اضعف منها وتضمها اليها لتغتذي بها ايضاً وتتقوى ويظل هذا الجذب والضم حتى تصبح هذه المواد كأنها جسم واحد غير انها لا تتحد بل هي في اضطراب دائم . ان الجذب مبدأ الحركة . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان

ومن المعلوم ان المواد الضعيفة المكرهة على الانضمام الى غيرها لم تفقد قوتها وحالتها الطبيعية بتغلب القوية عليها بل بقيت مع جاذبتها في اضطراب

ونزاع شديدين دائمين تريد القوية الثبات في التألف وتبتغي الضعيفة حرية الافتراق حتى صارت هذه الحالة طبيعية وصار التحرك فيها عادة منتظمة فكانت الحركة اعلمتم ما هي الحركة . شاء الله فكان كل ما في الامكان .

ان هذا المركب اذا تخللته المياه واتخذت لها فيه مركزاً ضغطته ضغطاً قوياً وهاجت فيه الحركة هيجاناً شديداً ينجم عنه اصطدام فتظهر قوة نارية فلا يقوى هذا المركب على الثبات بل يميد ويتزلزل ثم يتجزأ . وربما استقلت بعض المواد بنفسها وعاد بعضه الى اصله . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان

وبعد ذلك انتشرت في الفضاء من هذه المواد المتحركة ذرات اصابتها ريح مائية فكانت المائرات(١)وهي الحيوينات الاولى المترددات في عرض أي التي كانت شبه حركتها افقية فالماصعات (٢)وهي الحيوينات الثانية التي لها مع شبه الحركة الافقية شبه حركة عمودية . فالمتخاجات وهي الحيوينات الثالثة التي كانت فيها الحركة اظهر . فالمتحركات وهي الرابعة وقد انتظمت فيها الحركة . ثم الناقصات وهي الخامسة التي لم تكمل وظائف اعضائها بل كانت ناقصة . فشبه الحيوان وهي التي رتبتها ادنى من الحيوان . شاء الله تعالى فكان كل ما في الامكان

فلما أتم التعريب قلت له أحب ان تنشدني شيئاً من شعرك فقال اسمع وتأمل انني كنت نظمت قبل فراقي الارض قصيدة القاها على الشاعر المسمى بعلم وهو العلامة الشيخ نصيف اليازجي فلما أتممتها اشتد على دائي فتركتها حول سريري . وقد كانت الخادمة تسرق ما يصل اليها من مأكول

(١) مار الشيء تردد وتحرك في عرض (٢) مصعت الدابة بذنبها حركته وضربت به

ومشروب فسرقت قليلاً من البن وجعلته في القصيدة ودفعته الى اخ لها فذهب به الى رجل متظاهر بالتقوى وقال له خذ هذا البن واعطني به سكراً فأخذه وهو يعلم انه مسروق واعطاه السكر وحفظ القصيدة فمر عليه أحد الاتقياء المغفلين فقال له بعد ما جعل يده على صدره وامال عنقه واحنى رأسه ياسيدي انني لما عدت اليوم من صلاة الصبح رأيت في يد بعض الصبيان هذه المواليات واشار الى القصيدة وهي في يده فأخذها الورع الذي كان لا يحسن القراءة ونظر وتأمل وقال «نعم نعم لاتجوز ابداً قراءة المواليات العشقية» ثم مزق القصيدة وطرحها وهي

زعم الناس انهم علماء | ايها الناس كلنا جهلاء
ماعرفنا الا الا باطيل هذا | شأن قوم دليلهم عشواء
أعلمتم لاي أمر خلقنا | شاء ربي من خلقه ما يشاء
ليس في الكون للحقائق نور | انما الكون ظلمة وخفاء
كل شيء عندي سوى الموت وهم | كل شيء عند اللبيب هباء
ما خلقنا الا لكي يتساوى | بيننا الاقوياء والضعفاء
فاذا كانت الحقوق سواء | فاخو المال والفقير سواء
واذا كانت البرايا جميعاً | بالتساوي فكلهم سعداء
غير ان الحقوق من غير خوف | لا تؤدى ما دامت الاهواء
ان أطاعنا لننمو فينمو | معها الشر بيننا والشقاء
فاتقوا الله ان أردتم خيراً | كم حقوق يصونهن اتقاء
وأطيعوا وإن أبيتم فاعصوا | كل أمر لكم عليه جزاء
أيها الاغنياء والعيش رغد | كم تجدون انكم فقراء

ايها الطامعون هلا قنعتم — ضجت الارض منكم والسماء
تزعمون الحروب للناس خيراً — كيف يرجى من البلاء هناء
ايها الناس ما لكم قد حرصتم — ليت شعري أفي الخلود رجاء
نحن ابناء من مضوا قبل هذا — سوف نمضي كما مضى الآباء
يذهب السعي والعناء محالاً — غير سعي يدوم فيه الثناء

تمت

ثم قال لي وهذه قصيدة نظمتها في صباي ففقدت مني بعد نظمها فلما رجعت الى الزهرة علمت ان احدا صدقائي كان طلبها فلم أعطه اياها فسرقها وقد كان القاها عليَّ فهم الشاعر وهو الاستاذ بطرس كرامة قلت

لا تعجبن اذا صالت على المهج — ألا ترى كيف ثارت فتنة الدعج
رنت فهاجت علينا الدهما وظبي — بغير مقلتها الدعجاء لم تهج
قامت تميس فنادى رمح قامتها — لا تطمعوا بعد هذا اليأس بالفرج
تبدو والي يخشى شمس طلعتها — طرفي وأخشى على قلبي من الوهج
تبسمت ثم قالت اذ رأت ولهي — علمت كيف يضيع العقل بالفلج(١)
ياليت شعري متى تحنو علي وقد — تاهت وهامت بمعنى حسنها البهج
قد كان قلبي طوعي قبلها فغدا — يروح في حبها كيف اشتهت ويجي
يا حسن بيت بذوب الماس مكتتب — في صفحة الجيد بالكافور ممتزج
اني جعلت عقول الناس في عنقي — فما على عاشقي ان جن من حرج
ان كان يرضيك يا سامي الوفاء فمن — مثلي تنزه عن شين وعن عوج
قالت هو الحب بحر قلت يا أسفي — أنا الغريق فلا أخشى من اللجج

(١) الفلج تباعد ما بين الاسنان

سريت أحسب ان الصبح منبلج ... فقيل ذا مستهام غر بالبلج (١)
شكوت وجدي فقالت كم وكم كلف ... شكا الي تباريح الهوى وشج
قالت لم تجده الشكوى فقلت لها ... اني أموت شهيد الحب فابتهجي
بذكرك الموت نادى السمع ياطربي ... فعذب لفظك أحلى لي من المزج
اذا سئلت وقد حللت سفك دمي ... فهل لديك وقيت الحد من حجج
اعرضت عني ولازمت العذول وقد ... ابيت ان تعرضي عن عذله السمج
ان كنت تصغين للواشي فلي صمم ... عن كل واش باسرار الهوى لهج
ان المليحة يا سلمى من ابتعدت ... عن لائم ليم في شرع الهوى وهجي
سلي المحبين ان انكرت معرفتي ... فقد علوا بغرامي ارفع الدرج
اذا ذكرت لهم طابت نفوسهم ... وفاح من طيب ذكري طيب الأرج
اني انتهجت طريق الحب منفرداً ... به فكنت لديهم خير منتهج
قالت رأيتك من اهل الوفاء كما ... شاء الهوى فأقم بالحي لا تعج
وانظر الى القصر في الظلماء مقتبساً ... من نور وجهي فقد اغنى عن السرج
واستنشق الريح ان الريح حاملة ... مني السلام وسر سراً ولا تلج

فلما تمت القصيدة قال من الحوادث المستغربة انني كنت رأيت في نومي فتى حسن الوجه رشيق القوام يعاطيني كؤوس المدام مع اني أعرض عن الغلمان وأجتنب الخمور فنظمت فيه اربعة أبيات وانا أعجب من نفسي فلما صرت في مدينة القضاة اعلمني جميل الشاعر وهو نصر الله الطرابلسي الحلبي (٢)

---

(١) البلج الفرجة بين الحاجبين (٢) هو من شعراء القرن التاسع عشر رحل الى مدينة القاهرة وتوفي فيها ومن شعراء هذا القرن الشيخ وفاء الرفاعي الحلبي والشيخ حسين الغزي الذي توفي بحلب. ورزق الله حسون وجبرائيل الدلال الحلبيون

انه كان تجلى لي بهيئة فتى مليح ولقنني الابيات وهي

ظبي رنا فسبي العقول بأعين أخذت فنون السحر عن هاروت
وسعى يعاطيني الكؤوس فخلته ملكاً بدا في هيئة الناسوت
فجعلت اشربها والثم ثغره وأقول في لثماته يا قوتي
خمر كأن حبابها من لؤلؤ وكأنها من ذائب الياقوت

ثم قال والدي وجميل هو الذي كان القى عليك قصيدتك المعروفة بالنسيمية ومطلعها

اليوم يومك يانسيم فسر الى * ذات الخمار تعطفاً وتجملاً

وهو الذي القى عليك قصيدتك التي نظمتها بعد النسيمية ومطلعها

مذ أقبلت ريح الصبا * بالبشر هيجت الصبا

والبيت الثاني منها

عادت وقد ارسلتها * سراً الى ذات الخبا

ومنها

هذي عيونك سحرها لما رنت عقلي سبى
نقرت بهدب جفونها برقيــة حاء وبا
قدنت بلا سلك الى قلبي بفعل الكهربا

قال وكان هذا قبل ان يهتدي مخترع الآلة التي نسميها بالجذاب الى اختراعه المسمى عندكم باللاسلكي بمدة ثلاثين سنة وهو الذي القى عليك هذه الابيات

جذبت فؤادي الكهرباء الى الهوى من اعين لك هن كالاشراك

نقرت بأجفنها حروف غرامها فدنت بلا سلك لقلب فتاك

فجعلت اقرأها فكانت هكذا من يهوني يصبر على إهلاكي(١)

وهو الذي يلقي عليك أيضاً هذه الابيات

نجلاء مذ حركت أجفانها نقرت حروف برقية حارت بها فكري

فأوصلتها الي الكهرباء كذا من يهوني فليكن مني على حذر

لطيفة الذات تدميها الحلي فلذا برقة اللفظ تستغني عن الدرر (٢)

فلما انتهى والدي من انشاده أنشد

قيل بدر الدجى فقلت خطاء أنت للبدر بهجة وضياء

حسدت حسنك المحاسن لما أجمع الناس أنك العجباء

ما براك الرحمن الا لكي لا يسألوا كيف تعرف الحوراء

لو رأوا حسنك العظيم لقالوا ربنا العفو اننا ضعفاء

ربنا اننا صلحنا فهبنا مثلها حيثما يحق الجزاء

كلمتني منك العيون فكادت بقوى السحر تنطق الاعضاء

غارمني الهوى كذلك طرفي أناو الطرف والهوى اعداء

---

(١) هذه الابيات من قصيدة مطلعها

جاء الشتاء وحال دون لقاك قتل الشتاء فكم له من شاك

وقد نظمتها بعد تلك القصيدة بمدة سنة

(٢) هذه الابيات من قصيدة نظمتها في زفاف أحد أصدقائي ومطلعها

ان غازلتك مهاة البان بالحور فارفق بنفسك واحذر اسهم القدر

ولها تاريخ وهو

في شهر ايلول داعي البشر أرخه شمس السعود زهت في هالة القمر

سنة ١٨٨٠

أنا أرضي ان ترتضيني وفيّاً ليس يرجى من كل صب وفاء
حبذا منك ان تقولي رضينا احسن الحب ان يتم الرضاء
انا اهواك فاسمحي لي بقرب ليت شعري أتقرب الجوزاء
انت اطمعتني بقولك شعري خير شعر تزهى به الحسناء
رب ليل بسمت لي من بعيد فاستنارت من ثغرك الظلماء
فابتغيت الدنو منك ولكن كنت اخشى ان يرجف الرقباء
بت من لوعة الفراق انادي علليني متى يكون اللقاء
كنت ارجو يوم الخميس ولكن قد مضى مثلما مضى الاربعاء
ان رأيت الفراق أولى فحسبي ان يدوم الهوى ويبقى الرجاء
ما رسولي اليك الا نظيم حار من رقة به الشعراء
علم الله انني لعليل ذاب شوقاً وفي الجواب شفاء

اما انا فكنت انظر متحيراً فقال لي ما بالك في حيرة فأطرقت أقول في خلدي لقد طال هذا الحلم فقال اهكذا يكون الحلم . ما بالك مللتني . ألم تستطع صبراً . فخجلت منه حتى كاد يحرقني ثوبي من حرارة الخجل . فقال لماذا لا تجيبني فقلت رأيتك تنشدني شعري الذي نظمته بعد خروجك من الارض فقال لقد طمعت نفسك في شعري فلا بأس عليك اذا أدعيته فقلت له لعلي مخطئ فضحك وقال ان الشعر شعرك وقد انشدني اياه سديد الشاعر قبل ان يلقيه عليك وهو الشيخ حبيب اليازجي . فقلت كيف يكون هذا الالقاء فقال هو انك اذا أردت أن تنظم شعراً في الحكمة مثلاً فتتصور شيئاً من المعنى فأتممه وألقيه عليك القاءً سهلاً فيشعر به ذوقك ويرتاح اليه قلبك ويأنس به طبعك حتى تخاله لسهولته مسبوكاً بالفاظ جزلة وتراكيب رقيقة فتنظمه .

غير اني لا أستطيع ان ألقي عليك معنى لم تفتكر بشيء منه . ثم قال وهذه قصيدة ثانية القاها عليك نبيه الشاعر وهو فرنسيس المرّاش وانشد

ياصباي الذي مضى ياصبايا	كيف بالله ضيعتك يدايا
بت من حرقتي اناديك مهلاً	ليت شعري متى تجيب ندايا
كنت لي ان اتيت ذنباً شفيعاً	لا ترى الغيد زلتي وخطايا
كنت مني الهدى اذا النفس ضلت	يامشيبي لقد سلبت هدايا
كنت اجفو اذا الرباب جفتني	لست أخشى اذا اطلت جفايا
كم أدلّ اذا ادلت وقالت	ما ترى العاشقين حول حمايا
آنا اشكو الى الزمان مشيبي	يا مشيبي عدمت فيك هنايا
لست اشكو الى زماني لا لا	فبه بلوتي ومنه شقايا
انا ابكي على شبابي ولكن	رب يوم سأبكي فيه بكايا
رحت ادعو على مشيبي واني	لست ارجو ان يستجاب دعايا
فاجتنبت الحسان خوف التجافي	وكتمت الهوى بغير رضايا
وتظاهرت بالسلو احتشاماً	ياسلوي لقد اذبت حشايا
كيف اسلو هوى الغواني واني	في هواهن أستلذ ضنايا
لست اشكو الضنى واني لا خشى	ان يزول الضنى فاشكو شفايا
ان في القلب لوعة فاعذروني	ايها العاذلون اوهت قوايا
ومهاة تبسمت لي وقالت	كيف ابصرت بهجتي وسنايا
فرأيت الاعراض اولى والا	حرمتني بمقلتيها نهايا
وأجبت الشباب اعرض عني	فدعيني وذلتي وبلايا
واتركيني خلو الفؤاد فقالت	انا اهواك فابتهج بهوايا

انا اهواك شاعراً واديباً ... فدع الشيب لي وثق بوفايا
فا فتسمنا الغرام لا اتمنى ... غيرها وهي لا تروم سوايا

فقلت لوالدي كفى ماتنشدني من شعري كفى فقد شعرت من القصيدة الاولى انك تريد ان تقول لي ألم يأن لك حتى الآن ان تقلع عن الحب ولهذا قلت في قلبي « أهكذا يكون الحلم » وكان قولي مني خجلاً واستحياء منك لا مللاً على اني سأريك بعد الآن مايسرك ان شاء الله . فسكت ولم يجبني

الفصل الاول من الباب الخامس

﴿ في بنات الهوى أو الغواني ﴾

قال والدي يخرج الفتى من مدرسته فيرى الغادات المعصرات (١) واقفات له بالمرصاد وفي ايديهن قسي الحب مفوقة ليرمينه بنبالهن فاذا لم تكن عليه درع المتانة ولم يكن رصين العقل قوي القلب رمته احداهن بسهم فيسقط ثم تهرب غير متوارية عنه فيضع يده على قلبه الجريح ويتبعها ليطلب شفاءه عندها . اما هي فتمشي وتتغدن (٢) تغدن الغصن النضير كأنها لا تعلم شيئاً حتى اذا أدركها وهو يتعثر باذياله وقف امامها ذليلاً منكسر القلب متلعثم اللسان فتبتسم له ابتسامة يقوم ويقعد بها قلبه حتى يكاد يطير من صدره وتمد يدها اليه وهي ترتجف ولوعاً وغراماً كانها تريد نزع السهم منه فاذا رأته لم يخترقه ضغطته ضغطة تبلغ سويداءه ثم تقوده كيف شاءت وتستخدمه في هواها وتستعبده وتمنعه من حسن السعي والاسترزاق

(١) عصرت المرأة بلغت شبابها أو أدركت (٢) تغدن الغصن تمايل وتعطف

فيضيع مستقبله وتذهب اوقاته ادراج الرياح . تراه دائباً في استنباط الاساليب التي ترغب فيه حبيبته وهو لا يدري ماذا اعدت له الايام . فاذا استفاق بعد ضياع الزمان من غفلته ابصر ابواب الرزق مغلقة في وجهه فيعيش شقياً تعيساً لا يجديه ندمه ولا ينفعه تأسفه . اذا استسلم الفتى لهوى نفسه اضاع مستقبله .

اني لا أنهي عن الحب ولكن أنهى عن الغرام والهيام اللذين يلهيان الفتى عن السعي في مصالحه ومصالح غيره وأنهاه ايضاً عن فتاة ليس له معها في دنياه نصيب لانه احبها من غير ان يتروى ويتأمل فتبله الحب ودلهه حتى اغواه واضله

من افرط في حبه ولها به عن شغله فقد خرج من الحب وصار من جملة العشاق القاصرين الغافلين عن امورهم الذين هم كالسكارى اوكالمجانين لا يشعر بهم المجتمع الانساني ولا يعلم لهم وجوداً فيه لانهم لا يعول عليهم ولا يركن اليهم في شيء فهم من الاموات

الفصل الثاني منه

﴿ في العذرات والمنتديات اي اماكن القهوة ﴾

قال والدي ان سكان الزهرة لا يعرفون العذرات(١) والمنتديات وهم يعجبون منكم كيف تتلهون بها عن نسائكم وأولادكم وأشغالكم ومصالحكم وشؤونكم بل عن حب الله تعالى ايضاً . ومما يزيد في تعجبهم هو انكم

(١) العذرة مجلس القوم

ادركتم مضارها بنفوسكم فهيتم اولادكم وانتم لا تنتهون فكيف لا يقتدون بكم . لقد جنيتم على نفوسكم وعلى ابنائكم فاسترحموا لعلكم ترحمون . يا ايها الناس دعوا هذه المجالس فرب مجلس كان مفسدة لكم وانتم لا تعلمون

الفصل الثالث منهُ

في التلهي بالزهرة

قال والدي ليس في الزهرة ملاه ولا مراقص فان الرجل منا اذا فرغ من شغله تلهى بامرأته واولاده وشؤونه الداخلية وباقاربه لا يأنس بغيرهم ولا تلذ له معاشرة سواهم . يستعذب كل ما تقوله زوجته واولاده وتستعذب هي كل ما يقوله قرينها وبنوها لان اقوالهم مستعذبة مستحلاة

لا يصدر قول الواحد منهما الا عن علم ورصانة وحكمة في محبة ولذلك يستحسن كل منهما ويستلطف ما يستحسنه ويستلطفه الآخر أي انهما لا يختلفان في شيء . يسر بها ويبتهج وتفرح به وتستبشر كأنهما عروسان لم تمر عليهما ثلاثة ايام

يجتهدان في ترقية افكار بنيهما وتنويرها وفي اصلاح خطائهم . اذا فاهوا بكلام غير مهذب وكانوا لا يعقلونه دلاهم على معناه بقدر ما يستطيع سنهم ونهياهم عنه من غير زجر . لا يفارق الرجل اهله حرصاً على محبتهم وآدابهم ذلك لانه مسئول عنهم ومؤاخذ بهم . اذا غفل عن تهذيبهم وتربيتهم وهو علة وجودهم وتأليفهم وجمعهم بعد الله تعالى فقد أساء اليهم . لا يجوز لمن يهملهم ويغفل عنهم ويقضي لوقته في الملاهي وامرأته في البيت تشتغل نوتهم

وتملرس؟ فاذا نخلى كان سبب شقائهم وعذابهم الم يخلقنا الله تعالى ولم يتخل عنا . أما احبنا وقدم الينا كل ما نحتاج اليه وانزل علينا وصاياه فكان السبب في سعادتنا . لا ينظر الرجل الى غير امرأته ولا تنظر المرأة غير رجلها (الاماندر) لان المحبة ملأت قلبيهما لذات فكل منهما سعيد برفيقه لا يستغني عنه . لا يسمح للرجل بان يسافر ويترك عياله . فاذا بدا له سفر لا بد منه صحبوه في الحل والترحال والا منع من السفر وهذه عادة محمودة تدفع عادات مذمومة

الفصل الرابع منه

﴿ في منتديات وملاهي الارض ﴾

قال والدي انني لا انصح الرجال المتزوجين ولا اسألهم هجر المنتديات والملاهي لاني لا اخالهم ينتصحون ويجيبون فانصح فتيانهم وشبانهم ان يجتنبوا تلك الاماكن التي تقتل اوقاتهم وتدفنها وتفقدهم علومهم ومعارفهم وفنونهم بعد ما عانوا اتعاباً ومشقات عظيمة في تعلمها لان الطالب لا يكون عالماً في مدرسته بل في بيته حينما ينفرد بنفسه ويكرر دروسه ويعاودها ويتمرن عليها بالتكرير والتجريب ويرسخها في عقله بالمقابلة والقياس

ليجتنبوا تلك الملاهي المضلة التي ترغبهم في الالعاب الضارة فانها تضرهم من جهتين . الاولى تضيع ثروتهم وشرفهم والثانية تجرهم الى البطالة والكسل هذا اذا كانت الملاهي خالية من الروايات الغرامية الخلاعية التي تمثلها وتشخصها بنات الهوى المتهتكات اللواتي طالما هجمن على الشبان

واقتنصن قلوبهم وعقولهم بخلاعاتهن التي تهيج البلابل وتحرك الاشجان الكامنة فسلبنهم بعد ذلك أموالهم وافقدنهم صحتهم فعاشوا عليلين محتقرين لا يجدون من يرق لهم ويرحمهم

لا يقل الشاب اني على علم من غدرهن ومكرهن فلا أقع بين ايديهن لقد ضل وغوى فان لهن حبائل امتزت عن غيرهن بالرشاقة والخفة وقوة الجذب فيقع فيها الفتى وهو حريص على نفسه

اني أخاف عليك يا هذا ان تقع فتنشب بوقوعك على الرذائل والمفاسد فلا تجد باباً للنجاة فاذا وجدت تغافلت عنه الى ان تأتيك ساعة وهي قريبة منك لا تبصر بها ولا تعي

ارحم نفسك يا ولدي ولا تنشأ بجهلك على الشقاء والتعس فتضيع منزلتك في المجتمع الانساني حتى انك لا تصادف من تستعين به على تخفيف مصائبك . لا تنظر بين يديك ولا تبصر غير جماعة من ذويك يرغبونك في الفواحش والمناهي فيتسع عليك نطاق الشهوة وانت تطلب من أجلها المال فلا تظفر به فتهون عليك اللصوصية فتلص والى هنا منتهى حياتك الادبية وستتبعها المادية عما قليل

فاذا كانت تلك المنتديات والملاهي خالية مما ذكرت لاقتصارها على الالعاب التي يسمونها بالبسيطة كاللعب بالورق المعروف ونحوه فهي تقود الفتى الى المقامرة ولو كانت في أول الامر جزئية لان حبها ينمي في قلبه حتى تصبح وتمسي كلية فيعتادها ويألفها وهو لا يستطيع الاقلاع عنها والتخلص منها

لقد رأيت في الارض كثيرين بهصلوا (١) ودقعوا (٢) وهم من قوم مثرين . ان المقامرة اثم وعار .

لقد علم الناس كبارهم وصغارهم عاقلهم وجاهلهم ان القمار انتهى بكثيرين الى اللصوصية واقول ولا أظلم نفسي بقولي ان كل مقامر مدمن لص لانه تكون فيه اخلاق اللصوص وكل حركاتهم وسكناتهم وعليه فاني انصح اخواني واطلب اليهم أن لا يغفلوا فيصاهرهم مقامر ولو كان غنياً مثرياً من قوم ماجدين فانه يفقر في ساعة واحدة ربما انتحر بها

ان المقامر يتبرأ من عياله والوالد المقامر شقاء وبلاء على اولاده لانه يدعهم ولا ينفق عليهم فاذا اوصل اليهم قوت يومهم فلا يتفرغ لتربيتهم فان تفرغ في بعض الاحيان فلا يصلح للتهذيب لانه قد تمكنت منه أخلاق المقامرين الذين هم في الاكثر على اطوار الرعاع والاسافل

لا يقل احد اذا خاتنني (٣) مقامر كففته عن المقامرة لقد قال قولاً محالاً فان المقامرين لا يرعوون ولا يقلعون والنادر بحكم العدم . فاذا منع الرجال بناتهم عن المقامرين كان المنع عبرة لهم وتأديباً فتقل المقامرة

اني لا عجب من بعض العقلاء الذين يمضون لياليهم بالالعاب التي منها الورق وهي وان كانت اضرارها جزئية لا تضرهم في الوقت الحاضر فانها ستضرهم بأكثر أولادهم الذين ينشأون على عادات آبائهم اولاً ثم يتوسعون ويزدادون الى ان يمتادوا

ان الانسان اذا ولع بشيء لم يقدر عواقبه فاذا قدر شيئاً منها عال نفسه

---

(١) بهصل الرجل خلع ثيابه فقامر بها (٢) دقع الرجل رضي بالدون من المعيشة وساء احتماله للفقر ولصق بالتراب ذلاً وفقراً (٣) خاتنه تزوج اليه وصاهره

بالاماني والاباطيل فيقول مثلاً اني العب الآن الى ان يكبر ولدي فأمتنع كأنه يعتقد ان ولده سيكون طوع بنانه غداً كما هو اليوم . أمن العدالة ان تشوق ولدك الى اللعب وقد تلذذت به واشتهيته كثيراً ايام اكرهت على تركه ثم تمنعه على ولدك وتغضب عليه اذا خالفك

لا تقل اني اذا تركت اللعب اخذه ولدي عن غيري ليتركه كل واحد منكم يا ايها الآباء فلا يجد الابناء من يأخذونه عنه . اتركه ياهذا اولاً ورغب في تركه غيرك

اني اسأل بعضهم و قول لهم لماذا لا تنهون الناس . أتعتقدون ان تلك الالعاب غير ضارة ومفسدة للاخلاق ام تخافون النهي لئلا يكرهكم كل بعض اللاعبين أغاية الدين ان تستعطفوا البشر وتسترضوهم بمجاراتكم اياهم فيما يضرهم ويضلهم

اذا استفتيت بعضهم في اللعب تردد وطال عسى أن ينقلب الحديث فاذا أفتى لم تفهم منه شيئاً ذلك لانه يقول يجوز اللعب اذا كان غير مضر ويفسر قوله بهذه الجملة «أي اذا كان اللعب بشيء جزئي» وهنا ينظر الى المستفتي فاذا رآه من الراغبين في اللعب لم يشدد عليه وذلك تقرباً منه وتزلفاً اليه

لا يجوز التساهل والتشديد واجب لا بد منه . يا أيها المستفتي الطالب الحقيقة لا تستفت صغيراً قريب العهد من الرئاسة فانه ضعيف الحزب يخاف على نفسه التصريح فيكتفي بالتلميح ولا تلح عليه ولا تلحف ولا تلج واستفت مسنَّاً قوي الحزب فيصرح لك في النهي ولو كانت للرؤساء عندكم جرايات لافتوا في المنع واظنهم يمنعون وينهون قبل ان يستفتوا

وفي الاخير اقول لله در اجدادكم الذين كانوا اقرب الى الحكمة منكم لانهم لم يكونوا يتساهلون في هذه الالعاب وغيرها ولذلك كانت السعادة اقرب اليهم منكم

اعلموا يا رجال هذا القرن انكم تمهدون لاولادكم سبلاً ستكون ضيقة المسالك عليهم وانتم لا تعقلون الا يوم يصيرون شباباً او رجالاً مثلكم انكم ستنفدون في شيخوختكم وتحترقون ولكنكم لا تذوبون فلو ذبتم لنجوتم من عذاب اليم

الفصل الخامس منه

في المآكل

قال ولدي اننا نأكل البقول مطبوخة في الغالب . والفواكه الناضجة النافعة الصالحة لنماء الجسم . ونأكل اللبن وبيض بعض الطيور ايضاً

اما اللحوم فلا نقربها لانها غليظة ثقيلة يعسر هضمها . ولما كانت مآكلنا خفيفة سريعة الهضم رأينا ان نأكل في كل خمس ساعات اكلة ولذلك لا تمتلي ابداننا الا في النادر فترانا اقوياء اشداء

لا نستعبد مثلكم للاكل والشرب لاننا ارقى واسمى منكم . لانهم مثلكم بتنويع الاطعمة فنصنع منها الواناً نتلذذ بها تلذذاً وقتياً يقوي فينا الشهوات ويعصينا ابداننا فننغمس في الرذائل ويضعفنا ويمرضنا

نحن لا نأكل لنتلذذ بل لنغتذي فان للعقلاء لذات كثيرة غير الطعام . وعليه فقد رقت عقولنا وتوسعت مداركنا وحفظت ابداننا

ان المنهمكين في المطاعم ضعيفو الاجسام والعقول وهم اقرب من غيرهم الى العلل المهلكة

الفصل السادس منه

في الاطباء وواجباتهم وفي السكر

قال والدي ان سكان الزهرة لا يحتاجون الى اطباء لانهم لا يمرضون الا في الندرى. فاذا مرض احدهم دعوا له قاضي محلته الذي لا بد من ان يكون رجلاً مسناً حنكته الايام واحكمته التجارب . ولما كانت الامراض والعلل لا تتجاوز العشرة عداً لقلة الاسباب والدواعي الممرضة هان على القاضي تشخيص العلة فيصف للعليل ماء العين الفلانية او النبات الفلاني فيشفى . وبعد شفائه يجتهد القاضي ان يعرف السبب فاذا تبين له ان المريض جر المرض على نفسه بتهامله او بأكله اكثر من اشتهائه وحاجته طلب من الحكمة العقابية أن تعاقبه بذنبه وهو أسيء القاضي يجد في التطهير وزيادة التنظيف لمنع سريان العلة . ان التطبيب والتمريض لا يكونان عندنا الا مجاناً

قال أما اكثر الاطباء عندكم فهم القتلة . هم سفاكو الدماء الطاهرة التي اؤتمنوا عليها . هم أعداء الانسان . هم الموت الابيض والاحمر والعدو الازرق (١) هم الطاعون . هم الحيوينات الفاتكة التي اكتشفتم بعضها. سل المقابر عنهم تجبك اننا مجازر الاطباء ومذابحهم

(١) الموت الابيض الموت فجأة. والموت الاحمر الموت قتلا . العدو الازرق قيل معناه الخالص العداوة

اني أرى كلمة الطب لا معنى لها وان الطب اسم لا مسمى له غالباً كالغول والعنقاء عندكم . ان الطب إلا سرّ مجهول غامض لا تستطيع الآن مدارك الانسان كشفه

ان الاطباء عندكم في اكثر الامراض مجربون وممتحنون لا مداوون يتوقعون المصادفة الحسنة . يوغلون في المفاوز المهلكة في الليالي المظلمة ويخبطون على غير هدى فاما ان ينجوا واما ان يهلكوا . يحمدون اليوم الدواء الفلاني وغداً يذمونه وينكرونه حتى أمست الادواء عندهم كالازياء فلو منع أكثر الاطباء لقل الموت وهذا أمر لا تقدمون عليه لانكم تقولون اذا منعنا الاطباء أمتنا علم الطب . انكم جهلاء مكابرون تموتون بطبكم ولا تدركون . ليس كل طبيب مأذون يصلح للتطبيب . يجب ان يكون الطبيب رصيناً رزيناً ذكياً متوقد الفكر سريع الخاطر . اذا لم يعرف العلة معرفة تامة لا شبهة فيها فلا يجوز له وصف الدواء . انبذوا على الاقل الاطباء الذين لم يعرفوا بالنباهة وقوة الحافظة . يا حبذا لو تداويتم بالمجربات المأثورة عن آبائكم وأجدادكم ويا حبذا لو رجعتم الى الاطباء الخبيرين المجربين اذا كانوا نبيهين والا فاجتنبوهم اجتناباً تاماً

لقد رأيت كثيرين من أطبائكم في هذا الزمان تمكنت من قلوبهم علة الطمع فامسوا وهم بها معتلون يتفانون في زيادة ثروتهم لا في شفاء المرضى يعودون كثيرين في يوم واحد فلا يستطيعون لكثرتهم وضيق أوقاتهم على ما بهم من الاطماع أن يميزوا العلة من سواها فيخطئون في تعيينها ويصفون العقاقير الضارة المضادة فيزداد المرض الى أن يذهب المريض قتيل جهلهم

ما قولك في عليل يتقلب على فراشه تألماً فاذا عاده الطبيب طابت

نفسه أو كادت واشتد به قلبه وهو لا يعلم ماخبأ له جهله لقد خبأ الدم الناقع ليقبض به روحه . وما قولك في رجل يعزه العليل ويبجله ويطلعه على خفياته ويجلسه في صدر مجلسه ويدفع له خيرة دنانيره ليفتك به ويهلكه بها

ان لهؤلاء الاطباء فوائد نعلمها وتجهلونها وهي انهم حينما يقتلونكم بجهلهم يخففون عنكم العذاب في الارض . كل طبيب أمات عليلاً بجهله عد من قاتلاً غير متعمد القتل لانه يخرج كثيرين من الارض قبل نهاية مدتهم فيها وهم غير مبررين ولا صالحين مع ان الغالب منهم لو لم يخرجوا منها في ذاك الوقت لكفروا عن ذنوبهم وتابوا وعوضوا وعملوا خيراً يفيد كثيرين ويخلصهم . أما الذي يقتله الطبيب وهو أثيم يرسل الى مدينة التكفير في القمر ولا يرسل الى زحل ولو كان يستوجب السجن فيه . راجع فصل التشاؤم الذي سيأتي

حادثة . لقد علمت لما كنت في الارض ان طبيباً كان يطبب عليلاً اشتدت علته فقال لابن عم المريض ان صهرك يموت بعد ساعات وهو ذو عيال لا معين لهم غيره فأشير عليك بأن تجعله يطلب من وكيل شركة ضمان الحياة أن يضمنه بخمسمائة ذهب عثماني وبما انني طبيب هذه الشركة فأقنع الوكيل بشرط ان يُدفع لنا خمسون ذهباً وبعد هذا أقدم الى المدنف دواء يخفف عنه عذاب الموت فيقبض عياله الخمس المائة المعينة . فلما سمع الرجل منه هذا الكلام وبخه وتركه وبعد أيام شفي العليل فتأمل

أقول اما الآن وأنتم ترغبون في الحياة الارضية والتطبب فأرى أن تختار المجالس البلدية الاطباء الاذكياء الخبيرين المجربين وان تعين لكل محلة طبيباً أو اثنين بحسب كثرة الاهالي وقلتهم . وتعين معه طبيبين حدثين

من القابلين ظفروا بالاجازة ليتمرنا مدة معلومة تزيد وتنقص بحسب مهارتهما وذلك بموجب جرايات يعيشون بها العيش الرغد . فاذا اعتل أحد الاصحاء أحضروا له هؤلاء الثلاثة في الحال فيفحصون ويدققون بتروٍ وتأنٍ . فاذا أشكلت عليهم العلة لزمهم أن يعلموا الامر جمعية الاطباء العمومية ليحضروا ويشخصوا ويصفوا الدواء الذي لا يكون الا من النباتات

ويجب على كل الاطباء أن يداووا بالماء البارد والحار وبالهواء النقي وان يداووا بالشمس أيضاً فان في حرارتها ونورها شفاء كالماء والهواء . ويجب عليهم أن لا يغفلوا عن النظافة وأن لا يغفلوا أيضاً عن جمع النباتات النافعة في أوقاتها وان يطلبوا الى المجالس البلدية تعيين صيدليات عمومية يوزع بها العقاقير مجاناً صيادلة مشهود لهم بالمعرفة والاختبار . وهذه المجالس تعين لقاء هذا كله ضريبة خصوصية يدفعها الناس بحسب استطاعتهم وبعد دفعها ليس عليهم أن يدفعوا شيئاً للاطباء الذين يحظر عليهم قبض درهم واحد او قبول هدية الا أن ذلك كله يجب أن يجري بنزاهة وتدقيق . ومن خالف عوقب من غير أن تقبل شفاعة فيه . فاذا تم هذا كله كف الاطباء عن المداواة بالادوية التي يستعينون بها على جمع الاموال اجابة الى دواعي الاطماع فتغلق تلك المعامل المهلكة المعدة لاستخراج الادوية السامة

وعلى الاطباء ان يتفقدوا الناس ويفحصوا عما يأكلون ويشربون ويتعهدوا المنازل الخصوصية والعمومية واخص منها المعامل التي يشتغل فيها الفقراء والبائسون حيث تكثر الاوخام والاقذار وان يعتنوا بتنظيفها في كل ساعة وان يلاشوا الانقع (١) من المناقع أي التي تستنقع فيها المياه

(١) الانقع جمع نقع وهو الماء المستنقع أي المجتمع

وتنبعث منها الحييوينات المعدية المميتة . ولا بد لهم في هذا كله من التدقيق في الملابس والازياء ولا سيما ذوات الالوان الممرضة ومن منع النساء من لبس الاكسية الطويلة الذيول لانها تحمل تلك الحييوينات . اما المشد فليبد ذكره طوعاً او كرهاً .

وعلى الاطباء ايضاً ان يمنعوا الفواكه غير الناضجة والبقول والاسماك واللحوم وجميع المآكل والمشارب الضارة منعاً قوياً شديداً

وعليهم ان يهتموا بالحلاقين وأماكنهم والحمامات والحماميين وان يضعوا لهم قوانين لا يتعدونها ونصائح واقية وافية . وعليهم ان يسعوا في اختيار العيون الصافية الطيبة المياه وجرها الى جميع الشوارع والازقة والمنازل والفنادق العمومية والخصوصية والى كل المحال أيضاً فان للماء تأثيراً عظيماً في الابدان به الموافي اذا كان زلالاً والا فمنه العلل والاسقام. غير انه لا يجوز ان يشرب الا من الينابيع المغطاة والمصونة.

وأرى ان تمنع المسكرات منعاً تاماً ذلك بان يسقط مدمنها من الحقوق العمومية فلا ينتخب ولا ينتخب للمجالس والمحاكم . ولا يوظف . ولا يؤذن له ان يكون وكيلاً . أو وصياً . أو ولياً . أو كفيلاً . او مستشاراً . أو طبيباً . أو صيدلياً . ونحو هذا

أما الفقراء الذين هم عندكم محرومون هذه الحقوق أو بعضها والذين لا يسألون عنها فليجتنبهم الناس الى ان يرعووا . اني لا أريد الا وقايتهم من العلل . ومن البطالة والسمعة القبيحة اللتين تعودان بالشقاء الدائم عليهم وعلى انسالهم (١) وذرياتهم وهم لا يعلمون ماهو أقرب الى الخير وابعد عن الشر

(٢) جمع نسل

غير اني لا اشير في هذا كله بالسجن ولا الجزاء النقدي .

وليعلم الناس ان في التبغ والتنبك سماً يضعف الجسم مهما كان قوياً الا انه لا يفنيه سريعاً بل يسري في دمه شيئاً فشيئاً فينحرف مزاجه وهو يجهل السبب الى ان تظهر العلة . ومن الناس كثيرون يعتقدون انهما لا تؤثران الا في الصدور فاذا كانت صدورهم صحيحة قالوا ان التبغ والتنبك لا يضران ولكنهم غفلوا فلم يدركوا ان سمهما يتسبب بكل علة لانه كما علمت يسري في الدم فيفسده ولو بعد حين . يا أيها الذين يريدون بنفوسهم خيراً أقلوا القهوة اذا كنتم لا تستطيعون تركها

أما الاكول النهم المستعبد لشهوات بطنه فهو عندي عدو نفسه أو هو مختل اختل نظام أمره فلا يعقل ولا يدرك نفعه من ضره ولا خيره من شره فيجب تهذيبه وتعيين مقدار أكله وشربه ووقتهما . ان أكلة واحدة تودي بحياة آكلها . فاذا لم يمت سريعاً عاش عليلاً وولد العليل عليل مثل أبيه فهو يجني على نفسه وعلى اولاده حتى على زوجته التي ربما لا يكون لها معين غيره أفلا يجب بعد هذا كله تهذيبه كما يهذب الصغير . ان الذي لا يهذب صغيراً يهذب كبيراً فاذا لم يرد او لم يستطع ان يتهذب فحجره اولى

يا ايها الناس اني اكرر القول واقول اعلموا وتيقنوا وتأكدوا انه كلما ازدادت العقاقير المكاسة ازدادت العلل والامراض والعاهات والمصاعب والمتاعب والهموم والغموم وان اكثر العلل تزول بمنع الاسباب التي احدثتها وهي غير خافية وان الذين يتعالجون كثيراً يعيشون سقاماً وان الدواء النافع الذي فيه الشفاء الحمية .

أما علم الجراحة فانه مفيد فيما خلا الأبطنة(١)غير المعاينة الى الآن الا انني ارى بعض الجراحين يتمادون فيهجمون بآلاتهم على كل علة

الفصل السابع منه

في العفاف

قال والدي اذا كففت عما لا يحل لك ولا يجمل بك قولاً وفعلاً فقد عففت ٠من كف نفسه عن محرم فقد ملكها ومن ملك نفسه فقد اكتمل ومن اكتمل فقد تشبه بالله

العفة مزية مستمدة من عصمة الله تعالى تشرفت بها المزايا والخصال٠ العفة جلباب الظرف تنبعث منه انوار الصيانة والكمال فيتلألأ لابسه بالعظمة والجلال٠العفة طهر النفوس ونقاوة الاجساد فلا خوف عليها من الاعتلال

من قصرت نفسه على امرأته ومن صانها من غيره فهي له وحده ومن تغافل عن امرأته فقد اباحها لغيره ومن غفل عنها بقلة فطنتـه لمداق الامور فهو ابله لا تمييز له

من احب ان يسر الناس ببهجة زوجته ولو سلمت نيته فلا مروءة له ومن سره من بعلته التبرج (٢) والايماض (٣) فقد هان عليه عرضه

---

(١) جمع الباطن(٢) تبرجت المرأة اظهرت وجهها٠واذا أبدت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل تبرجت وترى مع ذلك في عينيها حسن نظر ٠ التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال والتبرج اظهار الزينة وما يستدعي الرجل ٠

(٣) أومضت المرأة سارقت النظر ويقال أومضت فلانة بعينها اذا برقت

ان العفيفة لا تظهر للرجال ما خفي من محاسنها بما تتخذه من الشفوف(١) التي لا تصونها فاذا اظهرته فقد تصبتهم . وان التي لا تتزين لرجلها بل للناس يقال انها تريد لها خدناً يخادنها وان التي تكثر من التأنق يطمح بصرها الى الرجال ليعجبوا بها ويتسابقوا اليها وان التي تتزيا في ملابسها بزي فتيات الهوى المتهتكات يخشى عليها ان تكون منهن . ان المرأة الحصناء (٢) المدركة الحقائق لا تتزين بالحلي الكثيرة التي هي زينة الصغيرات الضعيفات العقول بل تتزين بالمزايا والفضائل

ان المرأة عندنا قاصرة الطرف فلا تتصدى للرجال ولا تلمح (٣) من وجهها . اننا لا نعرف الصدوف (٤) ولا اللفوت (٥)

كل من خرج من الارض عفيفاً نقياً رجع الى الزهرة حيث يبالغ في تعظيمه ويكلله قاضي القضاة وهذا الاكليل لا ينزع من رأسه وهو من زهرة في الجنة . لا تذبل ولا يتغير لونها بل يزداد لصوفاً (٦) ونضارة

اذا أثم الكامل في الزهرة فلا يرجع الى الارض بل يرسل الى مدينة التكفير وهذا نادر لان الاعفاء الذين يمنعون نفوسهم عن الشهوات اتقياء والاتقياء لا يأثمون تعمداً منهم بل خطأً وذهولاً

---

(١) الشفوف جمع الشف وهو الثوب الرقيق يرى ماوراءه (٢) الحصناء العفيفة
(٣) الحت المرأة من وجهها الماحاً اذا مكنت من ان تلمح تفعل ذلك الحسناء ترى محاسنها من يتصدى لها ثم تخفيها (٤) امرأة صدوف هي التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف (أي تميل عنك وتعدل) (٥) اللفوت هي التي عينها لا تثبت في موضع واحد انما همها ان تغفل عنها فتغمز غيرك (٦) لصف اللون لصفاً ولصوفاً برق وتلالأ .

الفصل الثامن منه

في الاختلاط والمعاشرة بالارض وفي الرقص

قال والدي ان سكان الزهرة في عجب عجاب من كثرة اختلاطكم ومعاشرتكم ومن فرط انغماس بعضكم في بعض انغماساً افسد قلوبكم ودنس ضمائركم مع انكم كنتم تجتنبون الاختلاط فلم يكن رب الاسرة يسمح بأن يتردد اليه غير اقاربه . اما الآن فقد نبذتم تلك العادة الحميدة . أما الآن فقد نسخ تمدنكم الحديث تلك المأثرة التي تعد بمآثر كثيرة . اما اليوم فقد امسى كثيرون من الرجال يسعون وراء الشبان ذوي الجهورة (١) ليجمعوهم ببناتهم فيلاطفونهن ويلاطفنهم فياللمصيبة ويا للبلاء والبلاء الاعظم ان الرجل الذي لم ينقد الى هذا التمدن الحديث يحسب في هذا الزمان متوحشاً أو يقولون عنه هذا الرجل خشن قديم العقل غير متمدن وهذا عجب وأعجب منه أن الشاب في هذه الايام اذا زار حبيبته ازوى (٢) أو اختزه صديقه(٣) يا أيها الشبان الغافلون المغرورون شبان الامس ماذا رأيتم من هذا التمدن لقد صار كثيرون منكم رجالاً ذوي عيال فهل حمدتم تمدنكم لماذا يعظ بعضكم اولادهم ويأمرونهم باجتنابه . لماذا يخاف كثير منكم على زوجاتهم وبناتهم ويأمرونهن بالتحذر من غوائله ويعدونه ضربة شديدة عليهم «اجيبوني» اذا استحييتم من الجواب او اذا جاوبتم ولم تصرحوا فاجاوب عنكم اننا لا نسمح

---

(١) الجهورة حسن القد والخد (٢) أزوى جاء ومعه آخر
(٣) اختز فلانا أتاه وهو بين جماعة فأخذه منها

بان يتمدن الشبان في بيوتنا كما تمدنا في بيوت غيرنا واننا لا نريد لبناتنا وفتياننا ما كنا أردناه لنفوسنا ايام صبوتنا وشبابنا

ألا يا ايها الغافلون الذين غبي عليهم خيرهم لا تظنوا انكم اذا عرضتم بضاعاتكم هذه على المتفرجين روجتموها . صونوا فتياتكم من ذلك الاختلاط والاجتماع ليرغب الشبان فيهن ويتسابقوا اليهن

لا نصيب للمرأة من الراحة والرفاهة اذا تعود رجلها الاختلاط ولا نصيب له من الصيانة اذا اعتادت زوجته كثرة الاجتماع فلماذا تجنون على نفوسكم وعلى ابنائكم ونسائكم

لا يحسب الرجل ان الشاب يحبه لانسانيته او فصاحته او براعته او كرمه او وجاهته ان الشاب لا يحب في الغالب هذه المزايا وانما يحب تلك اللائذة بخدرها المستمسكة بعفافها عسى ان يغريها . لا يقل الرجل ان لي ذات خدر قاصرة الطرف من اسرة عرفت بالتقوى والصيانة احبها وتحبني ليعلم فوق علمه ان الانسان خلق على الحب وانه يحب ان يكون محباً ومحبوباً وان الحب اذا غاب عمي صاحبه وعمه فلا يبصر ما بين يديه ولا يقدر العواقب

لا شيء يضر الفتيان والفتيات مثل الاجتماعات العمومية وليالي الافراح في هذا الزمان الذي اصيب بالتمدن الفرنجي الحديث . الا ترى النواهد والعواتق يتزين ويتحسن وهن متمتعات بالحرية اتم تمتع ذلك لانهن اذا دخلن المجتمع سقط عنهن حكم الآباء بحكم هذا التمدن فيتبارى الشبان والشابات بميدان الرقة والرشاقة ويتجارون بالمعاني المؤولة المموهة فيفهمون بها ثم يستعينون بجواذب العيون فلا ترى بعد هذا غير الدنو والتقرب

بفعل الجاذبية الى ان يشاهد كل اثنين في حكاية (أي كل فتى وفتاة) فيمتركان بالاشارات وحركات البدن المتنوعة حتى اذا انضغط الجسم بقوة الميل والعواطف أورى ولمت شرارة الهوى المعترض (١) والعارض بالتصنع لان الحب السريع الذي لم يكن ناشئاً عن مصدره الطبيعي بقوة التمازج الاختياري الخالي من التصنع والتشبه لا يثبت بل يزول

أقول فيفترق المعتركان وقد تعاقدا وتعاهدا على التزوج فيعترض الابوان لهما اذا لم يريا بينهما نسبة كما يقولون أو كما يزعمون أو يعترض والد أحدهما فاما أن يعصيا ويعيشا غالباً عيشةً شقيةً باقترانهما وإما أن يؤثر فيهما أو في أحدهما النصح فيقع الانفصال ويلتعنان . وهذان يهون عليهما فيما بعد أن يعاهدا غيرهما وينقضا عهدهما مراراً فيكونان قد تعودا الخيانة والمكر والغدر والاخلاف بطيشهما وقلة ترويهما الناتجين عن سرعة الاختلاط

فاذا كان الوالدان لا يريان ما يمنعهما عن التزوج بحسب الظاهر وهما لم يملآ نفسيهما واقترنا حالاً فلا يجدان في قلبهما الارتياح واللذة اللذين وجداهما في الاجتماع الاول لان حبهما كان مؤسساً على التصنع والطيش هائجاً ومدفوعاً بفعل الخمور التي كانت كؤوسها تدار عليهما في تلك الليلة

على أنه اذا كان الاثنان في منزلة واحدة من الرصانة والرزانة واذا كانا متقاربين في طبعهما غير متنافرين واذا كانا لا يستعينان بالتصنع والتشبه والإضمار أي اخفاء الفتى شراسته وخلقه الذي لا يوافق في أمر ويخالف ذوق الفتاة فيكون الحب بينهما محمود العواقب ويكون اقترانهما قريباً من

(١) المعترض من الهوى هو الذي يقع من أول وهلة فيسبي القلب في دفعة واحدة الا ان تركه سريع كما ان أخذه سريع

السعادة . أما المتصنع المضمر فأراه غادراً ماكراً محتالاً حتى على نفسه وليس على قرينتـه فقط بل أراه قليل العقل ضعيفه لا يعرف خيره من شره والا ما سعى برجله الى العذاب لانه لو كان من العقلاء لأدرك أن فلانة لا تصلح له لما بينهما من التخالف في الطباع والاهواء

قال لنرجع الى حديث ذاك المجتمع فأقول لقد سرت اليكم عال كثيرة من اقبالكم على التمدن الفرنجي الحديث وتمكنت من ابدانكم حتى ازمنت وامتنع عليكم شفاؤها منها الرقص الذي يسميه بعضكم بالمخاصرة فاسمع ياولدي يدخل الشاب الجزح (١) المتعنفص (٢) المرقص وهو نزق طائش يتكلف الخفة والرشاقة زائغ البصر ينظر الى الجهات الاربع. يكاد لهوسه (٣) يعثر فيسقط لانه يرقص في مشيته على الانغام فيسلم على الجلاس ذلك بأن يحني رأسه وينصب طرفه ويجزم بقلبه على حب غادة في الحال اختارها من الكواعب والنواهـد وهو داخل . الا انه قبل جلوسه يختار غيرها فتنعقد عندها آماله فاذا جلس ثم أدار طرفه وتأمل ندم على ما فرط منه من التعجيل في الاختيار وحار في أمره وصار لا يعرف اية الاوانس يهوى وهو غافل عنهن غير مبصر في أيديهن قسي الهوى وقد اوترنها فيرمينه بسهامهن في وقت واحـد فتتكسر النصال على النصال فيمسي صريع كل الغواني وأسير جميع الخرائد والعواتق فيضل ولا يعرف بأيتهن هو هائم واخيراً يقوم وهو لا يعي شيئاً ولا يبصر ما بين يديه فيقع على واحدة منهن فيستمسك بيدها في الاول حالاً لئلا يسبقه اليها مزاحمه الذي هو على شاكلته ثم يخفض رأسه لماوهي

---

(١) يقال غلام جزح اذا نظر وتكايس (٢) تعنفص ادعى بما ليس فيه وكان ذا صلف وخفة وخيلاء وزهو (٣) الهوس طرف من الجنون وخفة العقل

الاشارة المعروفة عند الفرنجة في طاب الرقص فتبيسم له وتعتذر اليه وهي تتلوى وتنعطف في تغنج خفي وشكل لطيف تخالفه وما بها خلاف فيخفق قلبه وتبرد أطرافه فتشعر ببرودته وهو قابض على يدها بيديه الراجفتين فتقوي نفسها وتتجلد وتثبت امامه قائلة في قلبها تشجعي تفوزي (أما هو فلا يشعر بخفقان قلبها ولا ينتبه الى يدها الباردة لانه أفرط في البرودة فكانت برودتها المعتدلة حرارة بالقياس اليه) وتعتمد على منزلتها عنده بدلا لها عليه فيمر على هذا نحو عشر دقائق وهما في مد وجزر الى ان يضطرب من ضجره فيجذبها اليه جذبة قوية تكاد ترض بها عظام صدره فيخاصرها(١) أولاً ثم يلف يده على خصرها ويقومان ويقعدان ويرتفعان وينخفضان ويقفزان ويطفران ويطمران (٢) ويعثران ويدوسان رجليهما وانت في كل طرفة عين تتوقع سقوطهما فتتعب الناهد وقد أثر فيها ضغط الشاب فترمي بنفسها الى المقعد لتستريح فيسارع اليها فتى آخر ووراءه اثنان أو ثلاثة مثله ويلتمس منها الرقص فلا تقوى على الكلام ولسان حالها يقول ألا تبصر يا هذا كيف يرتفع صدري وينخفض من شدة الاعياء وهنا تهجم عليها العواتق ويقلن لها انظري اذيالك وقد تمزقت فتشتغل بها عنه ويشتعل قلبها تأسفاً على ثوبها الذي لم تحصل عليه الا بعد الف حيلة كما تقولون فيقول الفتى وهو يخصف (٣) ليس من العادة ان تمتعي غيري برقصك الذي سلب عقلي انا الذي احاسن بك الناس فتهم بالكلام فلا تستطيع لان خفقان قلبها يمنعها منه وهو لم يصدر عن الرقص

---

(١) خاصرها اخذ بيدها في المشي (٢) طفر وثب في ارتفاع كما يطفر الانسان عن حائط الى ما وراءه فهو اخص من الوثب . وطمر الرجل وغيره وثب الى اسفل او في السماء الى العلو (٣) خصف فلان اجتهد تكلف ما ليس عنده

فقط بل عن تمزق ثوبها الضيق الذي كاد يخنقها مشده فتتجلد وتدخل معه في حديث طويل ممل ما آله ان المشد لا يضرها ولا يتعبها وبعد انتهاء حديثها تشدد عزيمتها وتنهض للرقص فترقص هنيهة ثم تقعد وفي الغالب تهرب وتتوارى في احدى الحجر

بعد ان يستريح الراقصون زهاء ربع ساعة او اقل يعودون الى ما كانوا عليه او انهم يستروحون (١) بالرقص العربي الحديث وهو وان يكن مهذباً بالقياس الى غيره الا انه لا يخلو من اسباب التهييج فيجب تركه . وبعد استرواحهم به يرجعون الى المخاصرة وهكذا انتهي الليلة .

على انه لما كان الناس بالرقص مولعين حتى انه امسى عادة لا يهون تركها عليهم رأيت ان يعودوا الى الرقص العربي القديم ألا وهو الرقص المعروف بالسماح بشرط ان تكون اغانيه مهذبة لا تهيج بلابل الشبان والشابات فيطرب طرباً نقياً تكون معه رياضة للبدن فيتقوى ولله در آبائكم ما كان اعقلهم فقد كانوا لا يطربون بغير رقص السماح فاتيكم تشبهتم بهم .

الفصل التاسع منه

(في الازياء وأضرارها والنسائج)

قال والدي لو تشبه سكان الارض بسكان الزهرة واقتدوا بهم في المأكل والمشرب والملبس لخفت ويلاتهم . انظروا الفرق بيننا وبينكم ان المرأة عندنا غنية أو غير غنية لا تجد لديها غير ثوبين تلبس الواحد وتترك

---

(١) استروح بمعنى استراح .

الآخر لتلبسه يوم الغسل وهما من الكتان الازرق النقي الزرقة ولذلك لا نشكو لاننا متجملون بالقناعة

أما أنتم فتقولون لقد كنا سعداء فأمسينا تعساء . كنا نشتغل قليلاً فنجمع ما يكفينا ويزيد ولكننا اليوم قضي علينا بأن نعذب العذاب الشديد فاننا نكد ونكدح ليلاً ونهاراً حتى انحلت أبداننا وشبنا قبل المشيب فلا نجمع ما نستعين به على نفقتنا . فاذا سألناهم عن السبب أجابوا زيادة الخرج على الدخل . فاذا قلت لهم كيف هذا قالوا كنا نربح عشرة فنصرف منها ستة أو سبعة أما اليوم فاننا نربح مائة فلا تكفينا . فاذا قلت لهم ولماذا قالوا بعد اللتيا والتي لقد أصبنا بالازياء الاوربية . لقد تداركتنا فرنسا أولاً التي تحبنا ورحمتنا بأن قدمت مصنوعاتها الينا على ما بها من العيوب . أحبتنا فروجت علينا سلعها ثم تبعتها غيرها وغيرها حتى استنزفت ثروتنا . فاذا قلت لهم أراكم عرفتم العلة فكيف لا تداوونها قالوا نخشى أن يغضب علينا نساؤنا .فاذا قلت ماالذي يحبب نسائج الفرنجة الي نسائكم قالوا رقتها ولطافتها ونحن لا نستطيع الآن أن نرققها ونلطفها فاننا نحتاج الى أشياء كثيرة صعبة المنال فاذا قلت وما تبتغي نساؤكم من رقتها ولطافتها قالوا التزين والتبرج فيحسن في عيوننا . فاذا قلت هل كن قبل هذه الازياء أقل حسناً من الآن قالوا لا فان الحسناء تمتاز بحسنها والعاقلة بعقلها والفصيحة بفصاحتها في كل وقت وبكل زي

يا أيها الرجال انكم تجارون النساء وتوافقونهن في اختيار الازياء الفرنجية وترغبونهن فيها لانكم تمدحون لطافتها أمامهن كأنكم تحبونها أكثر من أن تحبها أزواجكم

انكم لتحبونها وتحبون معها تلك المشارب والمآكل التي لا يسعكم ان تحصلوا عليها الا ببذل ما هو اعظم من وسعكم . فان عوتبتم نسبتم الحمق والنشوز الى نسائكم

اتركوا عنكم هذه الاعذار واقتدوا بالعثمانيين حكامكم الذين يزينون منازلهم وعقيلاتهم بنسائجكم وانتم تكرهونها وتتبرأون منها مع انكم اولى بها من سواكم .

ياهذا كيف تشوق الناس وترغبهم فيما تصنعه لهم وتصفه احسن وصف وتؤكد وتحلف وأنت تمقته وتجتنبه في الفرش واللبس ولا تريد ان تبصره في غرفتك ولا ان تمسه زوجتك . أليس من الحكمة ان تسعى في ترويجه بنفسك و بامرأتك وبناتك . اذا كانت قرينتك حسناء ولبسته راق في عيون جاراتها فأقبلن عليه فيزداد ربحك من جهتين . الاولى اعتياضك عن نسائج أوربا السخيفة الغالية بما تصنعه انت وتنسجه والثانية ترويجك سلعك وبضاعاتك .

عد عن جهلك يا هذا ان الامة التي لا تقوم بحاجاتها هي قاصرة وعاجزة والامة التي تقدر على القيام بما تحتاج اليه فلا تقوم به بل تقصر يدها عنه وتمدها الى أمة غيرها هي جاهلة غلبها جهلها وحمقها فلا نصيب لها من العزة والمروءة ومن العمران والارتقاء في معارج الفلاح فتموت بجهلها وحمقها من غير ان تتداركـ برأفة ورحمة فان انقراضها وتلاشيها خير لها من نموها على هذه الحالة الدنيئة القبيحة وذلك لكي لا تجني على ابنائها الذين ينشأون على جهلها وحمقها والا فهل سمع بأمة اشتهرت باتقان النسائج مثلاً التي هي سبب حياتها فتركت استعمالها بنفسها واستعملت مصنوعات امة

غيرها ترويجاً لها بيدها وفرشتها ولبستها وكرهت مصنوعاتها لانها أقل لطافة من تلك وهي تلوم الزمان وتذم الايام والليالي التي جعلت سلعها بائرة وليس من يسأل عنها

أي جهل أفظع من هذا الجهل وهـذا الحمق والجنون . ان هذه الامة لا تستحق الرحمة الا من وجه واحد وهو الجنون لأنها لا تدري ما تعمل

انني لا أنصحكم ولا احضكم واحذركم فقد انتبهت الآن وعلمت أن الله تعالى عكس عقولـكم عقاباً لكم ولذلك لا تستطيعون الانفكاك عن جهلكم وضلالكم فانكم صرتم الى حالة لا تميزون بها خيركم من شركم

ليرحمكم الله لينظر اليكم أنتم الذين تجرون على نفوسكم بأيديكم . أنتم في نظري بحكم الاموات مثل الجماد الذي تكلمه فلا يشعر مثل الجبل الراسخ فلا يتحرك والا قلت لكم انتبهوا وتيقظوا وافهموا ما أقول . أقول شرفوا مصنوعاتكم بنفوسكم وروجوها عليكم اولاً وجدوا في تحسينها وترقيتها (لكي يقبل الناس عليها) فتربحوا اكثر مما تنفقون وهذا هو العيش الهني الرغد لا تهملوها ولا تزهدوا فيها فان الاهمال يزيلها مع انكم لا تجدون بين ايديكم حرفة اخرى تضاهيها

هذه هي الحرفة التي حسدكم عليها الاوربيون فكدوا وجدوا أعواما في سبيلها حتى اخـذوها عنكم وقد كانوا يلجأون بها اليكم فاستغنوا بها وقـد كانوا فقراء

اليوم انتم وسكان اوربا في حرب فجاهدوا في سبيل اموالكم ولا ترجعوا القهقرى استغنوا عنهم ولا تلجأوا اليهم فانهم بذلك اعداء لكم . أليس من الذل ان تمدوا بين ايديهم . جـدوا ومارسوا وزاولوا فتتسع دوائر عقولكم

فتخترعون كما اخترعوا وتثرون كما اثروا . ولا تقولوا سبقونا بمراحل لقد كنتم السابقين فأدركوكم فتعلموا منهم وخذوا عنهم . تعلموا كيف ادركوكم وباية وسيلة صاروا امامكم . هم بشر مثلكم فكيف يهولكم سبقهم . جدوا وثابروا واثبتوا ترتقوا ويعد اليكم مجد آبائكم واجدادكم

هذا ومن المقرر ان تلك المآكل والمشارب والملابس ليست تضيع الاموال والثروات فقط بل تضر الابدان فان منها ما لا يوافقكم اكله وشربه فيحدث فيكم عللاً وامراضاً ما عرفتموها . ومنها ما لا يناسب ولا يوافق لبسه فيضعفكم . ولا يخف عليكم ان في بعض الالوان ما هو سام ولا تنسوا ان كثيراً منها معد فتتعادون

اتقوا الله تعالى وارحموا ابدانكم واموالكم ولا تجعلوا نفوسكم عبيداً لشهواتكم ولا تكدوا لتقدموا الى غيركم ثمرات اتعابكم وتشتروا بها التعاسة والشقاء لكم ولنسائكم ولاولادكم انكم لفي ضلال مبين . اما المشد وقد مر ذكره فانه قطعة من العذاب وكم قبر احتفر بوتد واحد من اوتاده وانتم بله لا تميزون

الفصل العاشر منه

في البائنة (الدوتا) والفتيات

قال والدي ان سكان الزهرة يرثون لاحوالكم لانكم تشترون العذاب باموالكم واتعابكم ولانكم اتبعتم الازياء فصرفتم عليها كل مرتخص وغال لديكم . فلما كنتم على ما وصفت في الفصل السابق من ازدياد النفقات اكثر

من احتمالكم أحجم الشبان عن التزوج الا اذا كانت ثروة الشاب تساعده على الانفاق (ومثل هذا قليل) حسبما تقتضي الازياء والدواعي الحديثة المنسوبة الى التمدن العصري كالاشياء الاضافيـة التي يعدونها من لوازم الاثاث ومتاع البيت وهي عبارة عن أوان بلورية وخزفيـة وخشبيـة ونحاسية وفضية وذهبية لا ضرورة لها بل كلها زوائد كأنها عملت لتوليد الحيوينات المعدية هذا عدا كثير من الرياش (١) والعروض (٢) المحدثة التي اذا نظرت اليها ولم تمسك بنفسك طارت او كادت تطير وكذلك الحلي المرصعة بالمعادن البارقة المسماة عندكم بالجواهر الكريمة فانك اذا لمستها وقلبتها تجزأت وتبددت فلما رأى المثرون من الآباء هـذه الحالة خافوا على بناتهم العنوس والامتهان مما يضر بابدانهن وشرفهن فاضطروا الى دفع مبلغ من الصفر والبيض يستعين به الشاب على الانفاق في المهر ومعدات الزفاف فيقدم الى المخطوبة عقداً أو تاجاً من تلك الحلي التي أتيت على وصفها وذلك عوضاً عن القلادة الذهبية المنظومة من الذهب العتيق المضروب وعن السوار والقرطين اللذين هما من الابريز الخالص هذه الحلي التي اذا اضطر الى قيمتها العروسان فيما بعد أو لم يضطرا فهي معدودة من الدنانير المروزة (٣) والدراهم النقود بخلاف تلك المرصعات التي هي عندي كالزائف والبهرج والستوق (٤) فانك اذا اشتريت مرصعة منها بمائة دينار مثلاً وبعتها بعد اسبوع اضعت ربع

---

(١) الرياش جمع ريش وهو اللباس الفاخر (٢) العروض الامتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيواناً ولا عقارا . قيل والمراد به في باب النفقة المنقول (٣) المروزة من رازه اذا جربه واختبره وامتحنه (٤) الدرهم البهرج الذي فضته رديئة . ودرهم ستوق زيف بهرج لا خير فيه

قيمتها او اكثر

ومن الشبان من يقدم من هذه الحلي ما هو اكثر من استطاعته طلباً للابهة والاشتهار بالعظمة فيبيعها قبل انقضاء ايام العرس ويدفع قيمتها الى الدائنين الواقفين له في طريقه فينكسر قلب عرسه ويعتريها الهم والغم وهي لم تزل في ليالي عرسها وايام افراحها فاذا سألها والدها عن سبب نحولها كتمت الامر لئلا يوبخها على اختيارها رجلها فتحمل الوالدة هم بنتها ويداخلها من الكرب والحزن ما يقلقها ويقلق اقاربها ومعارفها فيكون الاب اشترى المتاعب لنفسه ولمن يلوذ به بتلك البائنة التي لم تكن ثروته تسمح له بدفعها

ولما كانت هذه البائنة امست شائعة بين الاسرائليين والمسيحيين فلا يستغني عنها اضطر الرجل احياناً الى اعطاء ما هو اكثر من اقتداره ليخفي على الناس حالته ويحافظ على سمعته المالية وشرفه وانت تعلم ما في ذلك من الضرر الآجل والعاجل ورب بائنة تسببت بافلاس .

ولقد رأيت كثيرين من الشبان تقاعدوا عن التزوج رعاية لاخواتهم القاعدات بين أيديهم وذلك لامرين الاول لان الشاب لا يستطيع أن ينفق لو تزوج على عياله المخصوصين وعلى شقيقاته اللواتي غدون بعد والده عيالاً عليه وصرن له الهم الاعظم (لان الناس لا يرغبون في صهر عنده معاصر (١) وعوانس لا يخرجن من بيته) فيجود عليهن بالدرهم الوضاح ليصرفنه على الازياء عسى أن يرشد الله تعالى طريقهن . والامر الثاني لانه لا يريد ان

---

(١) المعاصر جمع معصر وهي من النساء ذات الاعصار اي التي بلغت شبابها . قال الكسائي العانس فوق المعصر والجمع عوانس . وعنس بضم العين وسكون النون . وعنس بفتح النون وتشديدها . وعنوس . وقد مر بك شرح عانس

يكدرهن بتزوجه فان لهن حقوقاً اذا سكتن عنها تأدباً وصيانة نطقت بها جوارحهن وهذه الفعلة اعدها مأثرة لذلك الشاب الهمام الصالح

أقول فلما علم الشبان من التجارب انهم لا يستطيعون الاقتران لكثرة النفقات اخذوا يتزينون كالنساء ويتظاهرون بخلاف حقيقة احوالهم الادبية والمادية معاً وذلك لكي يحلوا في عيون الفتيات فيكرهن الآباء بواسطة الامهات على دفع البائنات فتدخل الفتاة بين جماعة تباين جماعتها في العادات والاخلاق لانها اضطرت الى تزوج من لم تكن فيه كفاءة لها منقادة له بحكم ذلك الاضطرار ومغترة بظواهر الزواج ايضاً فيتخالفان في الغالب فاما ان تصبر الزوجة كرهاً عنها واما ان تعرض نفسها للاهانة وفي كلا الامرين غم للجماعتين وكآبة

واقول ايضاً لما كان دخل الشبان اقل من خرجهم احجموا عن الاقتران عسى ان تنفتح لهم ابواب الفرج فيمضي الزمان عليهم وهم لا يزدادون الا تأخراً فيرسلون الدوالف (١) والدلالات في طلب البائنات فاللواتي بائناتهن اكثر من غيرها يتزوجن قبل سواهن . فأمسى الفتى اليوم ينظر الى البائنة ولا ينظر الى الادب وحسن الخلق والبنية والظرف . وقد علمت ان كثيرين يتزوجون على غير رغبة منهم ومن غير ان تكون في قلوبهم محبة للزوجات فيرتاحون بعد ذلك الى غيرهن ممن يحبونهن فيدخل النزاع والفساد في الاسر .

وهنا أمر يجب الاهتمام به وهو أن الجماعات التي اشتهرت بالحسن فقد منها لان الفتى الحسن الذي كان قبلاً لا يقترن الا بحسناء مثله أمسى

(١) أي العجائز

في هذا الزمان ولده الذي هو أحسن منه مضطراً الى حرمان نفسه غادة يصبو اليها لانها ليست بذات بائنة

والاسر التي كانت معروفة بالبنيـة القوية حرمتها بدخول الضعيفات بينها ببائناتهن. والتي كانت موصوفة بالذكاء أضاعته أيضاً وقس على هذا غيره

وقد أبصرت كثيرين تزوجوا فتيات عليلات خفيفات العقول فملأوا بيوتهم مرضى ومجانين من الذكور ومن الاناث اللاتي ليست لهن بائنات فكانت المصيبة عظمى . ولكن من يقدر المصاب ويحترز منه قبل الوقوع فيه

على ان آباء هذه الاناث ادركوا بعد ذلك انهم وقعوا في شر مما كانوا يخشون من زيادة الدخل على الخرج لانهم لو كانوا تزوجوا غادات عاقلات ممن ليست لهن بائنات وعاشوا قانعين باليسير من دنياهم لأتت البنات مثلهم ومثل نسائهم فيجدون لهن رجالاً مثلهن غير مثرين فاذا لم يجدوا تخلصن من المرض والجنون وفي ذلك ربح عظيم لهن ولهم

واقول لاريب ان الفتاة المطمئنة ببائنتهـا لاتهتم الا بالتزين والتصنع والتشبه والمحاكات لتظفر بأحسن شاب في مدينتها على زعمها فلا تسأل عن التأدب والتهذب ولا عن واجباتها التي اهمها معرفة تدبير المنزل . فاذا تزوجت فلا تمس شيئاً باصبعها . فاذا عوتبت قالت مثلاً انا سيدة ولست بخادمة وقد اجدت (١) بعلي الف دينار فليدفع أجر الخدم . وهذا كلام مر المذاق يصدع القلوب فيقع الخلاف والشر والفساد في الاسرتين . هذا ومن المعلوم ان الجارية اذا عنست لم تسلم من علة تنجم عنها في الغالب حالة عصبية تنتابها(٢)

(١) اجاده درهماً اعطاه اياه واجاده النقد اعطاه نقودا جيادا (٢) أي تأتيها مرة بعد اخرى وتصل نوبتها اليها

بقي علي ان آتي على وصف الفتيات اللواتي لا بائنـات لهن فأقول انهن تأملن حالاتهن وقلوبهن منكسرة لا جابر لها فرأين الاولى بهن ان يعتمدن على التعلم والتهذب فترى منهن غواني حكيمات امتزن بالعفاف والجمال معاً وبكل ما يطلب منهن فالواحدة هي الطباخة اذا تزوجت والخياطة والخادمة والمشيرة والمواسية وهي الامينة المتفانية في حب قومها والمجتهدة في تنجيحهم والمشاركة رجلها في غمـه المخففة عنه مصائب دنياه بطلاقتها وعذوبة بيانها ونباهتها . والفاتحة ابواب الاقتصاد التي لا يهتدي اليها الرجـل والمشجعة له بثباتها ورسوخها . وترى منهن من هن أعقل من رجالهن فيرشدنهم بحكمتهن وسداد آرائهن الى سبيل الفلاح والعمران ونحو هذا من المحامد والمحاسن التي تجعـل أزواجهن وعيالهن في نعيم أرضي أي في راحة ودعة . ولكن أين الشبان الذين يقدرون قدرهن انك لا تجد منهم اذا فتشت الا عدداً قليلاً لا يذكر لقلته

ان الله تعـالى اذا حكم في الزهرة على رجل وامرأة بأن يفقرا في الارض ورأى منهما صلاحاً أو من أحـدهما أراحهما وربمـا أراح أيضاً أقاربهما المحكوم عليهم بالفقر اذا لم يكونوا أشراراً

لقد علمتم يا أيها الشبان ان البائنات كثيراً ما كانت وبالاً عليكم لانها أذهبت شيئاً مذكوراً من محاسنكم ومحـامدكم التي كنتم تفـاخرون بها وتنافسون فيها المفاخرين والمنافسين . ولانها أزالت ولاشت عاداتكم ومزاياكم الكريمة الموروثة عن آبائكم الذين أضاعوا النفوس والنفائس في اثباتها وتعميمها

ليعش كل منكم بقدر ما تسمح له ثروته وليختر له فتاة كريمة الاخلاق

ذات إرس غير معابة بألس (١) جامعة الشروط المطلوبة للمرأة الصالحة الفاضلة . لتكن مناسبة له . لا يزعم ان شرف الرجل يأتيه بتزوجه امرأة من قوم أعلى وأكرم من قومه . ان من يبتغي شرفه من زوجته يعترف لنفسه بالخسة .ليطلب الشرف بجده اذا كان يعلم ما هو والا فليسأل عن تعريفه وليطلبه بحسن سعيه وبصالح أعماله وبالفضيلة والقناعة والكرم ليطلبه بالمحبة أيضاً . وبهذا القدر كفاية لمن يسأل عن الشرف

اذا أردتم يا أيها الشبان أن يكون أولادكم رجالاً مهذبين كرام الطباع صالحين فاطلبوهم من الفتيات الصالحات اللواتي ذكرتهن ووصفتهن وفي هذا الطلب اصلاح العيال والوطن وفيه العيش الهنيء الطيب من غير كد مطمر وكدح مضنٍ .واللبيب من عقل وادرك ان المرأة الصالحة هي الحياة الطيبة والزكاة وهي الغبطة والطوبى والحسنى والنعمى والسعادة الارضية كلها

الفصل الحادي عشر منه

في التمويه (٢) والطلاء والخضاب

قال والدي ان نساء الزهرة لا يعرفن التمويه والطلاء ولا يعلمن ما الخضاب والكحل ولا يدركن لهذه الاشياء محسنات . الا انهن يموهن عقولهن بالعلوم والمعارف والفنون وتهذيب الاولاد وتثقيفهم ويطلين قلوبهن بالمحبة والصدق والعفة والتواضع ويخضبن ايديهن ويحجلن بشأنهن

(١) الارس الاصل الطيب . والالاس الريبة وتغير الخلق والجنون والاصل السوء

(٢) مأخوذ من تمويه النحاس أو الحديد اذا طلاه بفضة أو ذهب . والطلاء كل ما يطلى به

ويغتمسن (١) بالخياطة والطبخ وترتيب البنين والمنازل ويكحلن عيونهن بردها عن المناظر المنهي عنها فيالسعادتنا ويا اتعاستكم

وقل بعد هذا لما أخذ الشعب الاوربي يجد ويغنم ويشتهر بمحاسن مصنوعاته ولطافتها (وقد راق تمدنها الحديث كثيرين لديكم) راجت في بلادكم رواجاً عظيماً وخصوصاً النسائج النسائية منها فأقبلت النساء عليها يتبعن كل زي في وقته وهن لم ينظرن الى مستقبل رجالهن مغترات بما كانوا كسبوا حينما احترب الاميركيون سنة ١٨٦١ وبما جمعوا بحرب القرم سنة ١٨٥٤ زاعمات أن تلك المكاسب تدوم لهم فلما وضعت الحرب أوزارها ووضع رجالهن في تجاراتهم (٢) من هبوط أثمان القطن وسائر البضائع وانقطعت عنهم موارد الارزاق الكثيرة وقد تعودوا النفقات الحديثة أدركن وادرك الرجال انهم كانوا جميعاً على ضلال . فرأوا ان يحجموا فأجمعوا على انالاحجام عيب وعار فأقدموا وكابروا في الاقدام حتى تعبوا واعيوا وكلوا وملوا وبعد ذلك هموا بالاحجام فسقطوا وانقطعوا عن المسير او عن السرى في كل ليلة ظلمة (٣) فانظر ترهم في الطرق يسكعون (٤)

ومن البضائع الحديثة الاوربية التي كان لها النصيب الأعظم والسهم الاوفر من الرواج هي الطلاء المعروف عندهن بحسن يوسف وسائرانواعه مع ان اجدادكم كانوا جهدوا في ملاشاته وكف المضرات بازالته فاعاده

حجلت بنانها لونت خضابها . (١) اغتمست المرأة غمست يدها خضاباً مستوياً من غير تصوير (٢) وضع في تجارته خسر ولم يربح (٣) ليلة ظلمة أي شديدة الظلمة واصلها ظلماء طرح الزائد (٤) سكع مشى مشياً متعسفاً لا يدري اين يأخذ في بلاد الله وتحير

التمدن الحديث ولكنه لم يعده كما كان في قديم الزمان بل اضاف اليه مواد سامة تفننت وتنوعت في الاضرار حتى كان تأثيرها سريعاً فسلبت ماء الوجه النقي الشفاف الرائق فخشنت بشرته وجفت وتقلصت بعد نعومته الطبيعية ونضارته ورقته فأمسى الناظر اليه وهو بغير طلي يظن انه يبصر وجه ميتة لا حياة فيها فكان الطلاء جناية عظيمة عليه

هذا كله عدا العلل والامراض التي تحدث فيه عيوباً تنتقل من الامهات الي أولادهن

أقول وقد علقن بحسن يوسف وأضرابه وشغفن وافتتن حتي صرن في جنون مما في قلوبهن منه ومن المعلوم ان الانسان اذا أفرط في شيء وجن به لا يرى عيبه ولذلك جعلن فوق وجوههن وجوهاً أخرى من الجص (١) والاسفيداج الموردين وخفين وجوههن الطبيعية عن الناظرين كأنهن يعتقدن قبحها وشناعتها فلم يبرزنها خجلاً واستحياء مع أنها ليست كما يزعمن

يا ليتهن أدركن أنهن أردن التحسين وبالغن في طلبه فصار بهن الي ضده. ألا ترى ان الناظر الى بنت الثلاثين يظنها اربعينية

الا انني لا أنكر ان بعضهن برعن في الطلي فحسنت وجوههن في عيون الاغرار ولكن هذا الحسن سريع الزوال وسيعلمن ماذا يكون منه. ومن الامور المستغربة ان الشبان يعلمون ان التمويه مضر ويقولون بقبحه ويعقلون ان الفتيات يغششنهم ويخدعنهم ويستجهلنهم وهم لا يبالون ولا عجب في ذلك لانهم يقترنون بالبائنة لا بالفتاة . ومن المدهش ان الرجل يرى لبنته وجهين أي انه يبصر وجهاً للناس مزيناً ووجهاً آخر له وفي كليهما فرق

(١) الجص الجبسين

ظاهر فلو أمكن ان يرى الوجهين في وقت واحد لحار

فأنصح الامهات ان يمنعن بناتهن لانهن اذا موهن ولو اياماً فلا يستطعن بعدها ترك التمويه لسرعة تأثيره في بعض الفتيات اكثر من غيرهن فيزوى (١) الوجه ويكمد ويتغضن فيغضان اذا تركن الطلاء العود اليه وهن كارهات له لاضراره وكل مضر مكروه

على انني امدح العقيلات العاقلات والفتيات المهذبات اللواتي يتزين بالآداب والفضائل وترتيب المنازل على فنون صحية وأتمنى لهن الثبات بل ارجو ان يكثرن من زينتهن هذه التي تملأ بيوتهن خيرات وسلاماً

وفي الختام التفت الى ذلك الرجل وانا مشمئز منه وهو الشيخ الجاهل الذي بلع الشيب فيه (٢) وثقبه (٣) ولهزه القتير (٤) فنصف رأسه ولحيته (٥) وقد اخلس (٦) رأسه حتى تنصفه الشيب ولفع (٧) رأسه هذا الشيخ الصابي (٨) والاحمق المتصابي (٩) والغبي المستصبي (١٠) المتهتك الغاوي الخالع العذار المنهمك في الغي المتبع هوى نفسه والملقي عنها جلباب الحياء الذي مابرح حب الغواني يدلهه والذي لم يخصه

(١) يزوى أي يتقبض ويتكلح ويتغضن أي يتشنج ويتثنى (٢) بلع الشيب تبليعا ظهر أولا (٣) ثقبه الشيب تثقيفا وثقب فيه ظهر عليه (٤) لهزه القتير خالطه الشيب والقتير الشيب أو أوله (٥) نصف رأس فلان أو لحيته تنصيفا صار السواد والبياض نصفين (٦) أخلس رأسه غلب بياضه (٧) لفع الشيب رأسه شمله وغطاه • واجهد الشيب كثر واسرع • وخصفه الشيب تخصيفا استوى هو والسواد (أي شاب نصف شعره) (٨) الصابي اسم فاعل من صبا وهو الميل الى الصبوة أي جهلة الفتوة (٩) تصابى الرجل مال الى الصبوة واللهو واللعب (١٠) استصبى الرجل فعل فعل الصبي

الله تعالى بمزية يمتاز بها عندهن نخضب شعره ليحسن في عيونهن فينظرن اليه ويعطفن عليه ويرحمن شبابه الكاذب . انه ليكذب على نفسه وانهن عنه لمعرضات وبه هازئات ومنه ساخرات وله كارهات وعليه ضاحكات

يا ايها المتكر (١) المسود شعر وجهه اعلم ان الحسناء الغيداء لا تصبي (٢) الشيخ مهما تكن عنده من مزايا . غير انه ربما امتاز عند المليحة الطامعة في مدحه اياها ليشنف اذنيها بوصف محاسنها فتطيب نفسها . فكيف تصبيك وانت شيخ شائب مخنث مؤنث تتزين بخضابك بل تريد وتحاول ان تتزين وتحسن بصقل شعرك . تجلس امام المرآة في كل يوم ساعات تخضب وتقنأ (٣) كل شعرة من شعرات رأسك وعذارك وشاربيك ولحيتك لئلا تنصل (٤) فتفتضح

ان الخنبة (٥) العجباء (٦) والمدكورة (٧) المجزاء (٨) والبرهرهة (٩) الدعجاء (١٠) التي لا تريد انت الا اياها تصبي الشاب الكريم الهمام واللبيب المتكلام والشجاع الذي يذب عن حوضه ببسالته وبأسه

لماذا تنكر التطلية على المرأة وهي احوج منك ومن كل الرجال الى

---

(١) امتكر الرجل تخضب (٢) اصبته شاقته ودعته الى الصبا فحن اليها (٣) قنأ اللحية سودها بالخضاب (٤) نصلت اللحية خرجت من الخضاب (٥) جارية خنبة أي غنجة رخيمة (٦) العجباء التي يتعجب من حسنها (٧) الشابة الضخمة الحسنة الدل (٨) المجزاء العظيمة العجز (٩) البرهرهة المرأة البيضاء الشابة او الناعمة او التي كأنها ترعد رطوبة ونعومة (١٠) دعجت العين صارت شديدة السواد مع سعتها . والدعج شدة سواد العين مع سعتها وقيل هو شدة سواد العين في شدة بياضها . والدعجاء ذات الدعج

التحسن ولا تنكر خضابك كأنك تود لو انك تموه على الناس وتلبس ليغفلوا عنك فما مثلك الا مثل المفاطر المتظاهر بالصيام فاذا عرض له مفطر مثله اندفع عليه بالتبكيت والملام والخصام

فاذا قلت ان التمويه مضر بالبشرة قلت لك ان الخضاب مضر بالاعصاب إضراراً عظيماً

ان الرجل الابي الكريم النفس اجل واعظم من ان يتقرب الى الحسناء بخضابه وما الخضاب الا كذب ظاهر وعيب دائم . ياأيها الرجال لا تزبقوا (١) لحاكم لئلا تتقبض وجوهكم (٢) ويا ايتها النساء اني اخاف على وجوهكن الامتهاش فانه يزويها فاجتنبنه

الفصل الثاني عشر منه

﴿ في اختيار الزوجة ﴾

قال والدي ان في الزهرة رجالاً من أعاظم الرجال ليس عليهم الا ان يدققوا ويبحثوا عن أقرب الاسباب التي تزيد في راحة الاهالي وسعادتهم . ومن جملتها ان كل مدرسة تطبع في كل عام كتاباً توزعه على جميع الخليقة فيه ملخص الشهادات التي يدفعها الاساتذة الى التلامذة فيقرأونها بتأن وتدقيق وعند ما يريد الشاب ان يخطب امرأة ويريد ان يعرف منزلتها من المعارف والعلوم والفنون المنزلية وغيرها من الآداب والفضائل التي هي افضل ما ينظر فيه ويسأل عنه ويهتم به يرجع الى الكتب المذكورة ويدقق فيها

(١) زبق لحيته نتفها (٢) امتهشت المرأة حلقت وجهها

مع قومه وأصدقائه عاماً نعاماً وكذلك الفتاة فانها تنظر أيضاً وتدقق مع أهلها

وهـذه الكتب في غاية الاحكام والاتقان خالية من الزيادة والنقصان ومن التعقيد والتأويل والتلبيس والابهام كلها بيان وتصريح في بيان وتصريح لم ترم بشائبة الانحراف والتزلف لان الاستاذ لا يستطيع ان يفضل تاميذاً على غيره اذا لم يكن يستحق التفضيل. ولذلك ينفرد بنفسه أياماً لا يرى فيها احداً لكي يحكم وضع كتابه فاذا انحرف طرد وعوقب . وعليه فقد رأينا هذه الطريقة اعدل من غيرها واقرب من سواها الى الحقيقة اذا لم أقـل هي الحقيقة بعينها بنت التحقيق والتنقيب فنعتمد عليها كلنا في اختيار الفتيات والفتيان

فاذا كان الفتى والفتاة متجملين بالمزايا والفضائل والرصانة فلا ضرورة لشدة التدقيق عن احوال فصيلتهما وثروتهما . فياليتكم تقتدون بنا أو تتشبهون لاننا بحثنا أكثر منكم فعلمنا بالطبع فوق ما تعلمون . ولما كانت غايتنا نقية شريفة كنا مطلقي الحرية في اختيار الاصلح غير مقيدين بقصد يراد به خير خصوصي ومنفعة شخصية

اما انتم فيجب على الفتى منكم ان لا يغلب على عقله هواه في اختير الفتاة ليعلم علم اليقين انها تصلح له وانه يصلح لها وتناسب اخلاقه اخلاقها وتناسب اسرته أولا فاذا غلبه هواه فقد حكم على نفسه بان يسقط عنه حق التمييز والانتقاد . فليصغ في ذلك الى حديث والديه اللذين لا يتمنيان له غير الخير ولا يقل انني ابعد نظراً منهما لكثرة علومي ومعارفي وغزارة مادتي وذكائي ودهائي . ليعلم ويعتقد ان والدته المسنة نقادة لا يستطيع

الحكيم ان يضاهيها في نقد بنات جنسها

ليختر له فتاة رصينة رزينة ابية متينة العقل قوية الجسم صحيحة البنية لئلا يملأ منزله اولاداً مصابين بالعلل والجنون والعاهات. وليختر له ايضاً امرأة مزينة بالقناعة عارفة بترتيب المنزل لتكون سيدة وخادمة ومربية ومشيرة لتكن جميلة أو كما تقولون خفيفة الدم قريبة من القلب . واتكن دمثة الاخلاق غير شكسة ولا مكابرة . ولتكن متواضعة غير معيبة بالتكبر والتعظم فتضطر الى الاسراف . ولتكن صادقة في حديثها نقية القلب في ذكاء ونباهة . ولتكن قادرة على التصبر والتحمل . ولتكن انت يا أيها الشاب مثلها . فاذا كانت هذه الصفات في فتى وفتاة فهما الضالة المنشودة والغاية المقصودة بل يكتفى ببعض هذه المزايا فان كل واحدة منها بفتي وفتاة . اما التزوج فليكن في السنة الخامسة والعشرين

الفصل الثالث عشر منه

في الخطبة والحب والغيرة والمهر والجهاز

قال والدي اننا نتزاور مرة واحدة في كل اسبوع ولا نزور الا أقاربنا ولا يسمح لشاب بان يتردد الى جماعة فيها فتاة أكثر من ثلاثة اشهر فان زاد عليها زيادة واحدة عد خطيباً فان الواحد منهما يستطيع ان يخبر الآخر بنفسه في هذه المدة وعليه اذا أحب وخطب فلا يرجع عن الخطبة الا لعلة من العلل المانعة وستعرفها فاذا رجع لغير علة وخطب فتاة اخرى جاذبته(١)

(١) جاذبت المرأة الرجل خطبها فردته

فاذا رجعت الفتاة منعت فلا يخطبها فتى آخر

قال واما انتم فيخطب الواحد منكم ويرجع عشر مرات وليس من يردعه وهو في كل رجعة يعتذر عذراً مردوداً وهذا الرجوع عار عظيم عندنا لا يقبله احد ولو كان في منزلة غير رفيعة . فلا يستخف الشاب بحق الشابة بحبه الموقت الكاذب ولا يجعل الحب مشغلة له

ليتأن الفتى منكم ولا يسرع في الحكم على ان فلانة توافقه وليتروَ وليدقق ليكون على هدى من امره ولا يعجل في المعاهدة لأنه اذا مد يده وعاهد او اذا عاهد ولم يمدها فقد التزم . فاذا نقض عهده لغير علة مانعة غدر والغدر قبيح. ليضع للحب حداً لئلا يفضي به الى العشق والهيام فيشغله عن حب الله تعالى وعن الفضائل والسعي الحسن وراء مصلحته وشغله .

لينظر الى نفسه و يمتحنها فان كان شديد الغيرة فلا يحسن به ان يحب الا الفتاة التي هي اقرب من غيرها الى حب الانفراد والاعتزال عن الناس والتي لا تشتهي المعاشرة والاختلاط والا فقد ظلم زوجته وظلم نفسه لان الغيرة الشديدة مجلبة لشقاء الزوجين

يزعم هذا الرجل انه اذا بالغ في الحرص على بعلته التي تحب العشرة صانها لقد أخطأ فان الغيرة الشديدة تحمل المرأة على اتباع ما لا تحسن عقباه

ليكن المحب في حضرة خطيبته أديباً رصيناً غير مكثر من المزاح والمزاح (١) ليجتنب كل مالا يحمد المرء عليه فان المخطوبة تقتبس غالباً من اخلاق خطيبها . وليعلم انه يجب عليه ان ينتقي له فتاة ستكون أماً لاولاده وشريكة لحياته في حزنه وفرحه .

(١) المزاح بضم الميم اسم مزح وبكسرها مصدر مازح

ان كل شاب من سكان الزهرة يريد ان يخطب امرأة يلزمه ان يقدم اليها هدية لطيفة من عمل يديه ان كان من أرباب الصناعات أو اثماراً أو حبوباً فائقة غيرها وذلك من حدائقه وأراضيه ان كان من المشتغلين بالزراعة والفلاحة أو كتاباً يؤلفه ان كان من الكتاب أو نحو ذلك مما يبرهن عن تمكنه من المعارف الاختراعية أو الادبية أو الصناعية أو الزراعية فيعلم اقتداره و جدارته أو سبقه وبراعته والا فلا خطبة ولا عروس ولا امرأة لانه لا يجد فتاة تقترن به اذا لم تكن له مزية وبناء عليه تكون الخطيبي (١) على ثقة من كفاءة خطيبها في حاضرها ومن حسن تقدمه ونجاحه في مستقبلها ٠ وهي ايضاً تتحفه تحفة من عمل يديها تدل على مهارتها واتقانها

قال واما انتم و بناتكم فلا تردون طالباً ولا تدققون في البحث عنه فتدخل المهداة (٢) بيت بعلها حينما تهدى اليه وقلبها يرتجف. انكم قد استمسكتم بمثلكم العامي وهو « تزوجوا فقراء والمغني الله » ولم تفقهوا معناه الحقيقي كأن المقصود منه لا تمنعوا مطلوبة عن طالب فلا تستثنون الكسلان ولا المخنث ولا الباهل (٣) ولا المقامر ولا الجاهل ولا السكير ولا المنجش (٤) ولا المنصع (٥) ولا ولا بل لا تستثنون احداً من الدميمين والمذمومين

ثم قال ان مدة الخطبة عندنا ثلاثة اشهر لا اكثر فحينما تنتهي يهدي الشاب الى خطيبته باقة زهر يتنافس فيها ٠ اما والدها فيصنع لها معرضاً (٦) من الكتان الازرق وهي اذا ذاك ذات ثوبين الواحد عليها والآخر على

---

(١) الخطيبى المرأة يخطبها الرجل (٢) المهداة والمهدية العروس زفت الى بعلها
(٣) الباهل المتردد بلا عمل وقدم (٤) المنجش الوقاع في الناس الكشاف عن عيوبهم
(٥) المنصع المتصدي للشر (٦) المعرض ثوب تجلي فيه الجارية ليلة العرس

الغدان (١) او الشجاب (٢) وقد كتب على مناطهما (٣) « لا يكن لك اكثر من كسائين» فتقدم احدهما الى من تستحقه . وهذا هو المهر والجهاز والمقدم والمؤخر .

الفصل الرابع عشر منه

في الملابس والحلي والهدايا

من الزهر

قال والدي يذهب المدعوون الى الاعراس والولائم والدعوات وهم بأكسيتهم العادية رجالاً ونساء أغنياء وغير أغنياء لانهم لا يلبسون القديم البالي ولا الوسخ من الثياب . وهم كلهم مع اختلاف طبقاتهم وأحوالهم لا يلبسون غير كساء واحد من الكتان البنفسجي وذلك في الفصول الاربعة لا يزيدون ولا ينقصون لانهم عودوا أبدانهم لبسه وحده فلا يشكون به برداً ولا حراً ولأن فصولنا لا تتغير الا قليلاً . هذا وكل واحد وواحدة يكتفي بثوبين فقط كما علمت . فالغنية لا تعاب لان ثوبها كثوب جارتها التي هي دونها بل تمدح . على انها تعاب اذا كان وسخاً

ومن العادات المستحسنة ان القضاة لا يسمحون بأن ينسج نسيج أنخر

---

(١) الغدان القضيب تعلق عليه الثياب (٢) الشجاب خشبات منصوبة توضع عليها الثياب ومثله المشجب والمشجر . واقحف جمع الرجل حجارة في بيته فوضع عليها امتعته (٣) المناط اسم موضع التعليق العيبة ما يجعل به الثياب . التخت وعاء من خشب أو نسيج تصان فيه الثياب معرب تختـه . صوان الثوب وعاؤه الذى يصان فيه جمعـه أصونة

من الكتان فاذا نسج عوقب الناسج واذا لبس عوقب اللابس ايضاً ومنعا
ملابسنا عريضة يدخل اليها الهواء ويخرج منها فتقوى أبداننا وتتحسن
اما الزي عندنا فواحد للنساء والرجال لا ثاني له غير ان المرأة تميز عن الرجل
بخمارها

اما الحلي عندنا فنوعان تضعهما المتزوجة على كتفيها لتعرف انها ذات
بعل وهما من خشب براق تجمعت فيه احسن الالوان له رائحة طيبة تقوي
البدن وتطيبه ونحن نتقن صوغهما وصنعهما اتقاناً عظيماً

ان المرأة عندنا لا تتشنف (١) ولا تتقرط ولا تتخذ لها حباباً (٢)
ولا تومة (٣) ولا خرصاً (٤) ولا تتقلد قلادة ولا يتبدد الحلي صدرها (٥)
ولا تتوشح ولا تتختم خاتماً ولا تتسور سواراً ولا تجعل لها قلباً (٦) ولا
ولا تحجل (٧) ولا تحتشي حشية (٨) ولا تضع عجازة (٩) ولا ولا

قال والدي اننا لا نتهادى في الزهرة بغير الازهار التي راقت وطابت
ورقت روائحها ولطفت فلا تؤثر في اعصابنا ونحن نعتني بها اعتناء شديداً

---

(١) شنف الجارية جعل لها شنفاً وقرطها به فتشنفت اي اتخذته وتقرطت به . الشنف القرط الاعلى او معلاق في قوف الاذن . او ما علق في اعلاها . او ما علق في اسفلها فقرط (٢) الحباب القرط من حبة واحدة (٣) التومة القرط فيه حبة كبيرة (٤) الخرص حلقة الذهب والفضة او حلقة القرط او الحلقة الصغيرة من الحلي (٥) تبدد الحلي صدر الجارية اخذه كله (٦) القلب سوار للمرأة غير ملوي او ما كان مفتولا من طاق واحد لا من طاقين

(٧) حجلت البست الاحجال أي الخلاخل (٨) أحتشت المرأة الحشية وبها لبستها . والحشية مرفقة أو مصدغة تعظم بها المرأة بدنها أو عجيزتها (٩) العجازة ما يعظم به العجيزة لتحسب عجزاء . والعظامة والاضخومة والفلالة والمرفد كلها بمعنى العجازة .

ونباهي بها في مجالسنا ونتنافس هذه التي عرفنا كيف نجمع بينها ونؤلفها ونستخرج ما هو أنفس منها وعرفنا كيف نحدث ازهاراً تأخذ بمامع القلوب وقته وبهجة ونضرة فهي أحب شيء ندخره للمهاداة . منها ما هي على هيئات لطيفة من الخلق والطير وسائر الحيوان . ومنها ما تقدم في الاعراس كتب عليها ما معناه « لكما التهاني بطول العمر في صحة ورفاهية » ومنها ما يهدى في الولائم والدعوات مكتوبة عليها عبارات رقيقة تناسب واقع الحال .. الا اننا نجتنب الزهر التي تنمي فيها الحييوانات السامة المعدية

الفصل الخامس عشر منه

في البضع (١) والاقتران والعرس

قال والذي يذهب الخطيبان وأقاربهما الى أحد المعابد في وقت واحد من الاوقات المعدة للصلوات فتدخل كل جماعة من الجماعتين في باب من أبواب المعبد وذلك في دقيقة واحدة ثم يصلي الجمع الصلاة اليومية وبعد نهايتها يقف الخطيب والمخطوبة تحت كلمة « الله » وتحت الكلمات الاربع التي عرفتها فيقول القاضي وهو على كرسيه . ان فلاناً وفلانة الحاضرين (ويشير اليهما) يقترنان فأنصفوهما من نفوسكم ومجدوا الله تعالى بصدقكم تمجيداً ثم يسكت دقيقة ويقول « ان فلاناً وفلانة الحاضرين بين يدي الله سبحانه وتعالى يقترنان ويفلحان ويزرعان في كرمه ويخرجان ثمرهما باذنه تبارك وعلا فأنصفوهما من نفوسكم ولا تخفوا ما في قلوبكم ان الله جل

(١) البضع المهر وعقد النكاح

جلاله يعلم الخفيات» . ثم يسكت فيقول الجمع . فليباركهما الله ليباركهما الله تعالى

فان كان لا يجوز لهما أن يتزوجا لعلة من العلل المانعة كالقرابة الدموية . أو كارتباطها او ارتباط احدهما بعهد ملزم . او كوجود علة في بدنهما او في بدن احدهما . او كوجود ريبة فيهما او في احدهما. وقف من له علم بذلك ومد يده فيأمر القاضي حالاً بانصراف الناس فيذهب الخطيبان الى منزلهما وبعد هذا يفحص القاضي عن مسألة المنع فان كان ثم ما يمنع من الاقتران وهو قليل نادر الحدوث أثنى على المخبر وعلى المخبرين ان كانوا كثيرين وذلك في المعبد علناً بعد نهاية الصلاة التالية ووعدهم بحسن المكافأة وهو لا يخلف وعده

فان لم يثبت الادعاء بالمنع وكان في الامر سهو وبخ القاضي المخبر علناً وتلطف بالعرسين واعتذر اليهما والى جماعتهما . فان كان المخبر تعمد الكذب امر القاضي بأن يخرج وأمر الحاضرين ان لا يجالسوه مدة يعينها لهم فيخرج حالاً فينزوي لا يكلمه أحد وبعد نهايتها يحاكم وينزل الى الارض الا اذا كان به جنون . ثم يمضي العروسان واهلهما بعدان يباركهما الحاضرون مرتين ويذهبون الى دار الشاب فيهنؤنهما ويدعون لهما بالنجاح والتوفيق . ثم تجز الازهار الطيبة الروائح وتدار بأطباقها البلورية النفيسة على الجلاس فيأخذ كل واحد زهرة

وبعد نصف ساعة ترد أطباق أخرى زاهية بالنقاوة والنظافة عليها فاكهة طيبة شهية كأنها الكمثرى غير انها ألذ منها بكثير فيأكلون ثم ينشدون نشائد أدبية حماسية تذكر فيها مشاهير رجالنا وكذلك النساء فانهن في

نشائدهن يذكرن الشهيرات منهن فيطربون جميعاً طرباً عظيماً

وبعد نصف ساعة يدار عليهم عصير العنب وهو ابن ساعته في كؤوس تكاد تبتسم في وجوه الشاربين من حسن نقائها وصفائها . وبعده يأتون بذلك الرمان الشهي الذي كله لذاذة في طيبة وحلاوة فائقتين والذي ليس له عجم (١) والذي تقدر كل حبة منه بعشر حبات من رمانكم والذي يختلف بعض ألوانه الزاهية الفائضة بالنور عن بعض فانك تبصر في كل رمانة الواناً كثيرة . وبعد هذا ينصرفون . ان المدعوين في المنزلة سواء فلا يفضلون أحداً على غيره

الفصل الاول من الباب السادس

(في طبقات العباد)

قال والدي ان الخليقة عندنا طبقتان . الاولى القضاة والثانية الصناع والزراع . أما الخدمة فلا نعرفهم أي لا وجود لهم عندنا وأما طبقات البشر في الارض فثلاث الاولى الملوك والعلماء والكهنة وأرباب السياسة والقواد والحكام وكل محام صادق . وهم يرعون الامة ويعلمونها ويهذبونها ويرقونها ويرشدونها الى سواء السبيل ويهدونها ويكفون عنها مطامع اعدائها ويحكمون بينها وينصفون ويدافعون عن حقوقها ولذلك لهم المنزلة الاولى . والطبقة الثانية هم الصناع والزراع غير المعرضين للفقر الذين تحتاج اليهم الطبقات

(١) العجم نوى كل شيء أي ما كان في جوف مأكول كالزبيب وما أشبهه الواحدة عجمة [illegible]

الثلاث مع انهم اقل احتياجاً منها اليهم وهم اكثر صدقاً واعظم قناعة واشد مروءة واطيب قلوباً واصفى سرائر واقوى ابداناً من جميع البشر ثم يليهم التاجر الذي يعيش بفضلهم لانه ليس الا ناقل المصنوعات والأقوات وبائعها والطبقة الثالثة السوقي اي التاجر الصغير . والخادم

الفصل الثاني منه

﴿ في الزراعة والفلاحة بالارض وفي القرى وعيشها ﴾

قال والدي يقول سكان الزهرة ان الفلاحة والزراعة خير الحرف واقربها الى التقوى فاعتمدوا عليها لان الانسان منكم يعيش بها العيش الرغد ويستفيد فوائد كثيرة وجب عليكم ان تنتبهوا اليها وهي . اولاً ان الزارع يستثمر الارض ويستخرج نباتها الطيب من غير ان يزاحم احداً على اسباب عيشه فلا يعادي ولا يعادى . ثانياً ان الزارع ينفرد بقريته مبتعداً عن شرور البشر وويلاتهم فان الاختلاط غير محمود العواقب غالباً . ثالثاً ان الزارع يقوي بدنه وابدان عياله بالهواء النقي والماء الصافي والكسوة العريضة والطعام البسيط وبراحة العقل والقلب واتعاب البدن تعباً معتدلاً . ان التعب يقوي الجسم ويمنع البطالة المفسدة للاخلاق . رابعاً ان القرى بعيدة عن المنتديات والملاهي والمراقص والملاعب والمسارح والاماكن الضارة فينام الزارع في راحة وسلامة غير مضطرب خوفاً على بنيه . خامساً ان الزراع سكان القرى لا يحتاجون الى ما يحتاج اليه سكان المدن من النفقات التي تصرف في سبيل الازياء والاختلاط والشهوات والخلاعات . سادساً ان

القرويين قليلو الانهماك في الامور فيمكنهم ان يتفرغوا لتربية أولادهم وتهذيبهم وتثقيف عقولهم بتقوى الله تعالى وخوفه ليكونوا في المستقبل رجالاً صالحين سادساً ان الزارع القانع المكتفي ينجو من شوائب المدنيين ونقائصهم أريد منها الكذب والمكر والغش والغبن في المعاملات هذه التي يزعمون انها فراسة ونباهة وبعضهم يسمونها كياسة ومهارة وبراعة . ثامناً ان الزارع الصالح الحكيم البسيط يستغني عن الاستعانة بثروة الناس فلا يضطر اليهم والاستغناء عن الناس في هذه الحالة وأمثالها سعادة أرضية لكم . تاسعاً ان الزارع اذا اقام بقرية طيبة الهواء تجري اليها من الجبال عيون صافية عذبة واذا جعل له حدائق وحقولاً فيها فواكه شهية وبقول طيبة ونصب له كروماً من العنب والتين والزيتون والفستق وجعل في جهة منها خلايا يعسل فيها النحل ويشتار العسل من العسالات(١) واذا اعتنى بتربية الغنم والماعز والبقر والدجاج ونحوها عاش عيشاً صالحاً مطمئناً لا يسأله ضميره ولا يحاسبه كأنه في وليمة دائمة فمالي أرى الانسان بعد هذا كله يشكو ويتظلم ويتضجر ومالي اسمع بعضهم يقولون لقد ضاقت الارض بأهلها فلا يكفي الرزق منها . ألا يرون مسرة القروي العاقل الذي يستطيع ان يعيش العيشة التي وصفتها . لماذا لا يتركون المدن وحسد سكانها وشرهم ولماذا لا يرفقون بنفوسهم ويخلصونها من المصائب والنوائب المدنية ورزاياها المتتابعة .

لا يقل المدني انني اعيش في العمران يا هذا . اذا رأيت من تمدنك ألم اسمعك تئن من ثقله وانت كما تقول تموت في كل ساعة مرة وتعيش

(١) العسالات جمع عسالة وهي الشورة التي يتخذ فيها النحل العسل من راقود وغيره

وساعة تعيش تسير كالسكران لذي يسري في الليلة الظلماء او كالمصاب بعقله وذلك من ضيقتك التي كادت تخنقك

أتظن انك اذا عشت في القرية لا تجد لذاذة أعظم من لذة المدينة اني أراك على جهل عظيم . اطلب من القرية حقة المدنية تجدها

هناك الراحة والسلام . هناك السرور والابتهاج . هناك الخلاص من رؤية الحكام الجائرين . هناك الحرية المشروعة . اطلب من الله تعالى ان يوفقك الى الهجر (١) لتقل في القرية آثامك وتهون عليك التوبة بها فلا تعود الى الارض بعد خروجك منها صالحاً

يا أيها العاقل قم واختر لك من اصدقائك المعروفين بالصدق والوفاء رفقاء وارحلوا الى قرية طيبة الهواء والماء وارحموا نفوسكم وعيالكم رحمة دائمة تتبعها رحمات . ولا تقولوا اننا لا نجد بين ايدينا ما نستعين به على اشتراء قرية وابتياع مواش فان في منازلكم من الاثاث والرياش ما يزيد على احتياجكم فبيعوه وانفقوه في سبيل خيركم وصلاحكم هاجروا واتركوا الشقاء في المدن المتمدنة بتلك المدنية الحديثة

فاذا هاجرتم اقتدى بكم غيركم فتتركون ذكراً حسناً ينقله الخلف عن السلف . واذا تم هذا لكم فاتخذوا من الآلات المحدثة ما تساعدكم على اتقان فلح الارض وبذرها وعلى الحصاد والرجاد والمدراس وأوصيكم بأن تتبعوا الطرائق والاصطلاحات الحديثة التي أدخلت على علم الزراعة والفلاحة عندكم وهذا يتم لكم اذا أدخلتم اولادكم الى المدارس الزراعية اواذا رغبتموهم

(١) الهجر بكسر الهاء والجيم وتشديد الراء المهاجرة الى القرى

ورغبتم نفوسكم في قراءة كتبها واستظهارها وعرضها (١) لكي تسددكم الى العمل والتجربة وحسن التكرير والثبات في دقة ونشاط حتى تستفيدوا وتفيدوا . واوصيكم ايضاً بان لا تتصدوا لحرارة الشمس الا تدريجاً الى ان تعتادوها وبان لا تقدموا على العيش الخشن مرة واحدة بل تدرجوا اليه تدرجاً

لا تجوروا على الحيوان بل ارفقوا به وارحموه . لا تستخدموا رجالاً غير معروفين بالصلاح وحب الفضيلة لئلا يفسدوا اولادكم . والعاقل من استغنى بعياله عن الخادم والاجير غير ان هذا لا يتم الا بعد ان ينشأ له اولاد قرويون أشداء

اقلوا من اكل اللحوم شيئاً فشيئاً الى ان تستغنوا عنها فتقوى ابدانكم لا تغفلوا عن ارهاف (٢) احداثكم ذلك ان تتخذوا لهم رجالاً اتقياء ورعين يعلمونكم دينكم ويهذبونهم ويؤدبونهم ويعلمونهم العلوم الابتدائية الضرورية فاذا انفقتم عليهم افادوكم وعوضوا لكم بصلاحهم وعلمهم اضعاف ما تنفقون ليكونوا شيوخاً حكماء ليحلوا لكم مشاكلكم ويفصلوا الخصام حينما تختلفون . فاذا فعلتم هذا كله عشتم عيشاً هنيئاً

وفي الاخير اوصيكم وصيتين الاولى ان تعتنوا بالنظافة اعتناء لا تقوون على اكثر منه . والثانية اذا قال لكم اولو الامر انا جعلناكم قضاة واعضاء مجالس فقولوا لهم ان الله تعالى لم يجعلنا اهلاً لها . فاذا ألحوا عليكم فاستعفوهم بالتي هي احسن وجملوا استعفاءكم بالشكر ولا تطلبوا النجاح والفلاح من ابواب الحكومة والسياسة بل اطلبوهما من المحراث لعلكم تفلحون

---

(١) عرض الكتاب قرأه عن ظهر القلب (٢) ارهف السيف حدده ورقق حده

وقال والدي لقد برع علماء النبات عندنا براعة حيرت عقول كبار المكتشفين والمخترعين لانهم تمكنوا بجدهم واجتهادهم من ايجاد نباتات لم تكن معروفة في الزهرة قبلهم . منها ان العالم الشهير المسمى « اردوم اي ارادة الله ولد القاضي مجدوم أي مجد الله » كان اوجد من زمان قديم جداً فواكه طيبة شهية أخص منها بالذكر فاكهة كبيرة الحجم بقدر الرحى العظيمة (وهذا عجيب وهل تستطيعون أن تصدقوا ان العالم يمكنه ان يوجد فواكه وبقولاً وأثماراً) وأعجب من ذلك ان الناظر الى هذه الفاكهة يقرأ عليها كتابة بحروف نافرة جلية تعريبها « أنا اردوم ابن القاضي مجدوم من مدينة القضاة في الزهرة اوجدت باذن الله تعالى هذه الفاكهة النافعة للهضم اللذيذة فاعصروها واشربوا عصيرها فان فيه منافع لكم . اما قشرها وثفلها (١) فاجعلوهما سماداً لارضها فتجود» وهذه الفاكهة هي المعروفة عندكم بالبطيخ الاصفر الا ان بطيخكم أصغر حجماً فاذا ابصره احد سكان الزهرة قرأ الخطوط التي عليه كالتعريب الذي تقدم . وقد أنبت الله تعالى هذه الفاكهة في ارضكم حباً بكم

وقد توصل هذا العالم بحسن خبرته الى جعل بعض الفواكه والاثمار في بعضها . فاذا تناولت مثلاً جبسة ونظرتها رأيت في قلبها بطيخة او تينة كبيرة او غير ذلك . واذا مددت يدك الى شجرة تفاح وجنيت منها تفاحة ابصرت ضمنها كرزة اومشمشة ونحو ذلك . وقد جعل هذا العالم الفاضل في العنقود الواحد انواعاً كثيرة من العنب بطعومه والوانه المختلفة فتعجب . اما البقول التي تأكلونها مطبوخة فهي عندنا لا تحتاج الى الطبخ لان الارض تؤثر فيها

(١) الثفل ما استقر تحت الشيء من كدرة . والثفل ايضاً الحب ...

الفصل الثالث منه

في الآلات والادوات النقلية والزراعية وغيرها

من مخترعات سكان الزهرة

قال والدي ان الآلات والادوات عندنا كثيرة وكلها مفيدة افادة عمومية أذكر لك شيئاً منها

أولاً المركبات النورية وهي مركبات تسير وتسري في الهواء بسرعة النور وتمر قطراً بعضها وراء بعض نسافر بها وننقل كل شيء وهي غير معرضة لخطر وسميت بالنورية نسبة الى النور فاننا نستخدمه كما تستخدمون الكهرباء بل أكثر بكثير . ومنها الكراسي البرقية لكل واحد منا كرسي يقصد عليه فيضغطه برجله ضغطاً لطيفاً فينطاد بنا (١) وهو طوع يديه لا خطر عليه منه وقد استغنينا بها عن البحار

ثانياً القلاب وهو آلة تقلب الارض وتجعل أسفلها أعلاها بأقل من دقيقة واحدة

ثالثاً السابر وهو آلة نضعها على الارض فنبصر كل ما فيها ونقدرها . ومثلها آلة نسبر (٢) بها البحار ونبصر جميع ما فيها

رابعاً الزارع وهو آلة تطرح الزرعة أي البذر في الارض تحت المقدار الذي نريده من التراب

---

(١) انطاد ذهب في الهواء صعدا (٢) سبر الجرح والبئر وغيرها امتحن غوره ليتعرف مقداره

خامساً المعدل وهو آلة تعدل البارد والحار اذا صودف أن الهواء لم يكن معتدلاً وعليه فلا خوف على الزرع والنبات من الجليد والصقيع ولا من السموم والحرور (١) أما السليق (٢) فلا نعرفه

سادساً المنظف وهو آلة تدخل الارض فتخرج منها جميع الحشرات وتستأصل النبات الذي لا نريده

سابعاً المجفف وهو آلة تجفف الزرع حينما نريد

ثامناً المستثمر وهو آلة نضعها بجانب الزرع فتجمع اليها الحبوب حالاً وهي نقية نظيفة ولدينا ايضاً أوائل وادوات زراعية كثيرة اغنتنا عن الحيوان فهو يعيش بها في راحة وحسبي ان اقول ان عيشه اسعد بكثير من عيش الانسان المرفه والمتنعم في الارض. اننا لا نربي من الحيوان ولا نستخدم غير البقر والغنم وذلك ابتغاء الحليب وهي كثيرة أكثر من الاحتياج وعليه فلا نأخذ كل لبنها . ونربي أيضاً الدجاج لبيضها

تاسعاً الرافع وهو آلة نرفع بها الاثقال التي لا يقوى على رفعها عشرون الفاً من رجالكم وأكثر

عاشراً السماع وهو آلة غير مرتبطة بسلك نضعها على آذاننا فنسمع بها كل ما نريد ان نسمعه من بلاد بعيدة من غير ان نحتاج الى أحد غير اننا لا نسمع بها أسرار العباد .

حادي عشر الناظور وهو آلة نضعها على عيوننا فنبصر بها الكواكب

---

(١) السموم الريح الحارة . قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحرور بالليل وقد تكون بالنهار (٢) السليق من الشجر الذي سلقه البرد فاحرقه والشجر الذي أحرقه حر أو برد

وأدق النجوم وكل ما فيها . وننظر بها البلاد القريبة والبعيدة على اننا لا نرى بها مالا تجوز لنا رؤيته.

ثاني عشر المخاطب وهو آلة لا سلك لها نضعها على الارض ونضغطها ونخاطب بها من نريد ولو كان مقيماً بأبعد مدينة فيسمع ويجيب ببيان وكل من المخاطِب والمخاطَب يبصر الآخر

ثالث عشر الجاذب وهو آلة نجذب بها ونخرج كل ما يدخل اجسادنا واجساد الحيوان من شوك وابر ونحو ذلك من غير ان نامسها ونمسها

رابع عشر آلات لكل عين لا تبصر ولكل أذن لا تسمع ولكل عضو كسر و بتر فتصلح وتصحح وتعوض . وغيرها للاخرس والاعرج والاجنأ والاحدب والاكتع والاشل ونحو هذا فيصبحون بها أصحاء

خامس عشر المطفئة وهي آلة اذا وجهتها الى النار اخمدتها حالاً

سادس عشر الكابح وهو آلة اذا أشير بها الى ثور هائج جامح وغيره سكنته وأوقفته حالاً

ومن الاختراعات النافعة اننا نرى بين ايدينا آنية تختلف الوان بعضها عن بعض فاذا صببت سائلاً مثلاً في قدح رصاصي(١) برد . واذا ارقته في مركن(٢) احمر حر. واذا سكبته في باطية (٣) لازوردية حلا . واذا جعلته في اناء زنجاري حمض .واذا وضعته في قدر(٤) سمراء ملح . وذلك بقدر ما تريد من البرودة والحرارة والحلاوة والحموضة والملوحة الى غير ذلك من الطعوم كالمرارة

---

(١) الرصاصي ما كان لونه كالرصاص (٢) المركن الاجانة التي تغسل بها الثياب (٣) الباطية الناجود وعن أبي عمرو هي اناء من الزجاج يملأ من الشراب يوضع بين الشرب يغترفون منه (٤) القدر اناء يطبخ فيه مؤنثة أو يذكر و يؤنث

والعفوصة (١) والقابض (٢) والتفاهة (٣) والحرافة (٤)

اقول اذا اخترع احدنا اختراعاً اعلنه حالاً وطلب من الناس ان يساعدوه على تعميمه وتوزيعه فيذهبون الى المعامل ويشتغلون بهمة ونشاط ومحبة كأنهم أشقاء متحابون فحينما يتم العدد المطلوب من الآلة المخترعة يأخذ كل من الخلق واحدة متى ارادوذلك بغير بدل ولا عوض . كل اختراع يمكن ان يحدث منه ضرر ولو كان جزئياً لا يجوز اظهاره اما المخترع فينقل الى مدينة القضاة لانها مسكن لكل من تفرد بشيء. فان كان المخترع من ساكنيها فيجعل من القضاة وان كان منهم علت منزلته لانهم طبقات

الفصل الرابع منه

في حرف سكان الارض

قال والدي اياك ان تسمح لاحد من اولادك ان يتخذ حرفة دنيئة ولو كان ربحها كثيراً كما يفعل بعض الطامعين لانهم يفسدون آدابهم ويذلون قومهم . اني ارى العامل الفقير خير من الخمار الغني

إن الصناع والعمال العاملين بأيديهم يقدمون على التجار الذين يغشون ويغبنون العباد في البيوع غبناً فاحشاً وهم كثيرون . ألا تعلم ان أولئك الصناع والعملة والفعلة المستخدمين والاجير الخاص والعام مهما كانوا ادنياء

(١) العفوصة المرارة والقبض فاذا اجتمعا فهي البشاعة (٢) القابض من الطعوم ما يتقبض اللسان منه وهو دون العفص (٣) التفاهة في الاطعمة ان لا يكون لها طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة (٤) الحرافة طعم يلذع اللسان بحرارته كطعم الحرف أي حب الرشاد

وطامعين لم تزدد دناءتهم عن اضاعة ساعتين من نهارهم تذهب بالبطاءة والكسل فلا يكون إضرارهم عظيماً كاضرار التاجر

ان الاجير ينام من غير ان يحاكمه ضميره ويوبخه توبيخاً شديداً لان بطاءته لم تكن خفية مكتوبة فتعد سرقة بخلاف التاجر الذي لانوم له إلا بعد ان يعتاد السرقة والحيلة فلا يبالي . خير الارباح ما حصلت لك بالنشاط والانصاف وخير الناس واغناهم من كان قانعاً

لا يكن ولدك سوقياً لئلا يعيش كذاباً سافل النفس مثل أولئك اللصوص الذين يسرقون من الكيل والميزان فانهم سرقة مدمنون اللصوصية ومواظبون عليها وليسوا كالذين يسمونهم لصوصاً لانهم يسرقون في كل شهر مرة مثلاً فيجب على الناس ان يجتنبوا السوقي اللص وان يؤاخذوه بذنبه في السرقة الاولى

وهؤلاء اللصوص لا يقتصرون على السرقة من الكيل والميزان فقط بل يعمدون الى المزج وهو حرفة قبيحة سافلة أتقنوها كمزج السمن بالمواد الدنيئة القيمة الضارة . وفي المزج تفاوت في الضرر فالذي يمزج الحليب بالماء ليس كالذي يخلط ملح الليمون بالشب ويبيعه من القروين والمساكين

يا أيها الناس انتبهوا للذين يخلطون العقاقير ويمزجونها بما هو دونها على عمد واهجروهم ونددوا بهم وحاكموهم فانهم لصوص قتلة ولا ترحموهم لان الرحمة تجرئهم فلا يرعوون . ولا تقولوا اننا لا نؤذيهم ولا نقطع رزقهم . ولا تقولوا النفس ضعيفة والخطأ أقوى منها لانهم يتعمدون اضراركم بطمعهم فمن رق لهم وعذرهم وتغافل عنهم فقد شاركهم فنبهوه واعلموا أن مثله مثل

الذي يهدم مائة قصر لاخوانه ليبني لصاحبه داراً صغيرة . ومن وقى أخاه شرهم فقد كفه عنه بيده

الفصل الخامس منه

في البيع والشراء

قال والدي ان الدنانير والدارهم لا وجود لها في الزهرة لاننا لا نتخذ ذهباً ولا فضة بل نقاول ونتعامل ونبيع ونشتري ونتاجر في الامتعة وننسأ(١) الثرين في البيع ونستلف ونتداين ولكن كل ذلك بالعرض (٢) والمقايضة(٣) والمعاوضة (٤) أي اننا نبيع عرضاً بعرض فاعطيك بقرة مثلاً على أن تعطيني ثوباً . فاذا اردت ان تحتذي (٥) ولم يكن لديك عوض فتقول لصانع الاحذية احذني نعلاً فيحذوك غير متردد ولا متأخر فتعاوضه يوم ايسارك بعرض يضطر اليه أو يضرب لك اجلاً فاذا حل حقه عليك وجبت التأدية واذا شاء عرضت(٦) له من حقه ثوباً وربما تركه لك هبة . اذا طال اعسارك فلا يعسرك الا اذا علم منك الطمع

اما انتم يا أهل الارض المستميتين في المطامع القبيحة الشائنة التي تذل نفوسكم فانكم تماطلون ثم تتنازعون وتخاصمون وبعد ذلك تنكرون وتزورون

---

(١) نسأ فلان فلاناً في البيع باعه بأخرة والاخرة النظرة وهي التأخير والامهال (٢) عرض بسلعته بادل بها فاعطى سلعة واخذ اخرى (٣) قايضه عاوضه و بادله ومنه بيع المقايضة وهو بيع عرض بعرض (٤) عاوضه اعطاه خلفاً و بدلاً (٥) احتذى انتعل أي لبس نعلا (٦) عرضت له من حقه ثوباً اعطيته اياه مكان حقه

فتقتلون وفي النهاية تتركون كل شيء في ارضكم وتذهبون وانتم تحملون على ظهوركم الحقوق الثقيلة التي كنتم تزعمون انكم هضمتوها فلا تسألون عنها ان الله تعالى ليس بغافل عنكم ولسوف تعلمون

الفصل السادس منه

في التجارة

قال والدي اذا أردت ان لا تعرض نفسك للكذب فاجتنب الاصطلاح التجاري والحالة التجارية الشائعة الآن بين اكثر التجار الغشاشين الذين لا يفكرون الا في خدع العباد ليسلبوهم اموالهم ولا سيما الذين يحتكرون القوت ليبيعوه من الفقراء بدماء قلوبهم طمعاً في زيادة ثروتهم وهم في غنى عن معظمها . لا تحكر الطعام فاذا تحكرته فاذكر اخوانك بالخير والمعروف ولا تطل الاسعار كثيراً واجتنب الطمع فان فيه مذمتك

لا تغر ولا ترغب بل قل انى ابيع هذا الحاضر بكذا أو اجعل الثمن محدوداً معيناً لجميع الناس. تجنب البضاعات الرديئة الفاسدة ولا تبع كل الناس بنسيئة (١) فمنهم من إذا أدنته وطالبته بحقك يوم حلول الدين اغتاظ منك وعاداك فاذا لم تطالبه هضم حقك

---

(١) النسيئة التأخير يقال باعه بنسيئة

الفصل السابع منه

في الرباء

قال والدي اجتنب المراباة ما استطعت ولا تراب الناس مراباة فاحشة فان المرابين كالمحكرين الطامعين الظالمين بل أشد منهم إضراراً وظلماً وغدراً يخربون البيوت العامرة ليبنوا بها اصطبلاتهم

اني أراهم يمتصون دماء اخوانهم . هم آفة المجتمع الانساني ٠ ان العاقل لا يأخذ الدينار بالرباء الفاحش ولو اضطر اليه لانه يمسي عبد المرابي وأسيره الى الموت فيخلص أما عياله فلا يخلصون

اذا أبيت الا أن ترابي وتربي (١) فاتق الله ولا تفحش بطمعك تعمل خيراً مع كثيرين . اعلم أن الظلم وخيم العاقبة

الفصل الثامن منه

في طمع سكان الارض

قال والدي انني طفت في أكثر الممالك في الزهرة والارض ٠ وولجت كل بيت . وسبرت كل غور ٠ وعجمت (٢) كل عود ٠ وتعرفت كل مقدار . وكلت كل طعام . ووزنت كل درهم ٠ وذرعت كل ثوب .

---

(١) ربي الرجل اعطى ماله بالرباء فهو مراب ٠ اوهي مولدة ٠ وأربى الرجل اخذ اكثر مما اعطى (٢) عجم الشيء عضه اولاكه للاكل او للخبرة كما تأخذ العود بسنك لتعلم صلابته من رخوته

ولبست كل لباس . وبذرت كل أرض . وضربت كل مثل . ونشدت كل ضالة . ومضغت كل أكال (١) وشربت كل ماء . وعرفت كل كنه وقرأت كل كتاب. وبلوت كل رجل . وأدركت كل حقيقة. فلم أر شيئاً يضر بشرف المرء وسمعته ويعيبه ويشينه ويسقطه ويدنئه ويضيع مروته مثل الطمع

وقد تكلمت الى الآن كثيراً بهذا الموضوع وانقطعت عنه وعدت اليه ليكون أرسخ في الاذهان وأثبت في العقول وأمكن في القلوب وأمتن في النفوس وأقوى في الجوارح والاعضاء . فأنصح وأكرر نصحي وأشير وأنبه وألح وألحف (٢) وأحرج (٣) وأصر على أن تجتمع كل عشيرة في كل صباح ومساء وتتواصى باجتناب الطمع لانه اذا بدا بالانسان أضله واذا تمكن منه أعماه وجعله يخبط كالمصروع

الطماع مختل العقل لانه يضيع الكل في طلب البعض . لينتبه الطامع لئلا ينتهي به الطمع الى اللصوصية . الطامع مكروه ممقوت يجتنبه الناس كما يجتنبون الاجرب . الطماع يخذله الله ان الله تعالى سيعاقبه عقاباً شديداً . اللهم زدني قناعة ولا تخذلني

الفصل التاسع منه

في الحسد

قال والدي الحسد يتولد من الطمع . الحسد اقرار الحاسد بفضل

---

(١) الاكال الطعام (٢) الحف السائل الح (٣) حرج في الامر بتشديد الراء بالغ في الاصرار عليه

المحسود وفواته وسبقه . لو علم الحاسد أنه يسر عدوه بحسده لما حسده . الحاسد دون المحسود فلو كان فوقه كما يزعم لما حسده

رب محسود على حالة يتمنى لو كانت له ويود لو كان بها حاسداً . الحاسد لا يهنئه طعام ولا يسوغ له شراب . قلبه مغموم وصدره ضيق وعيشه ناكد . الحاسد كالكالب الكلب . اجتهد أن تكون محسوداً لا حاسداً . لو ترك الحاسد الحسد وجد وراء المحسود للحقه ورب حاسد ارعوى فأصبح محسوداً . ان الحسد داء يأكل قلب صاحبه وجمرة تلذعه حتى تذيبه . اغبط (١) ولا تحسد حسدني الله ان كنت أحسد أحداً (٢) .

الفصل الاول من الباب السابع

﴿ في الرجل ﴾

قال والدي يوصي الرجل الارضي يا أيها الرجل لا تحب من النساء غير زوجتك فاذا خالفت واخلفت ومكرت وخدعت واتبعت هوى نفسك الشريرة واحببت غير امرأتك فلا أقل من أن تحذر كل الحذر ان تعلمها حبك الى ان ترجع عن غيك وترعوي عن فسادك والا فقد جنيت على نفسك وعلى عيالك جناية لا كالجنايات لاتشعر بها الا بعد ان تفيق ويعود اليك عقلك فتندم وتسدم (١)

---

(١) غبط فلاناً بما قال يغبطه غبطة حسده وتمنى مثل حاله من غير ان يريد زوالها عنه لما أعجبه منه وعظم عنده . وهذا جائز وليس بحسد . فان تمنيت زواله فهو الحسد

(٢) أي عاقبني على الحسد .

(١) سدم الرجل كان به سدم . السدم الهم أو مع ندم أو غيظ مع حزن .

اني لا عجب كيف تسمح لنفسك بان تحب غير زوجتك ولا تسمح لها ان تحب غيرك .لماذا ترى حبها غيرك جناية منها ولا ترى حبك سواها جناية اخرى . لقد حكمت فجرت والله سبحانه وتعالى لا يحب الجائرين ومن لا يحبه الله فقد اهمله .

كأنك تحسب أن الزوجة اذا أحبت عيبت وانت اذا احببت لا تعاب كلا كلا كما معيبان . ان الله لم يجعل لعباده شريعتين الوحدة للرجل والثانية للمرأة.ان الشريعةواحدة وعليه فانت وبعلتك متساويان موثقان بعهد ملزم لا فكاك لكما منه إلا بموت أحد كما ومن ظن غير هذا فقد بخس المرأة حقها واخطأ واستوجب العقاب والزوجةالتي بخست حقوقهالا يؤمن فسادها الا اذا كانت ابية النفس طيبة العنصر فتصبر قهراً عنها فيعتل بدنها وربما اودت بها العلل . ان العفيف قرة عين امرأته

خير الرجال من لم يكن طلح نساء (١) ولا جماشاً (٢) ولا علاً (٣) ولا هبنقعاً (٤) ولا تفتافاً (٥) ولا أزوحاً (٦) وما أحسن الرجل اذا كان نهداً (٧) واقراً في بيته (٨) متفخلاً (٩)

اني أنصح لمن لا يكتفي بزوجته ان لا يتزوج لانه لا راحة ولا سلام في الاسرة اذا كان الحب لغير البعلين

---

(١) هو طلح نساء أي يتبعهن (٢) الجماش المتعرض للنساء (٣) العل الذي يزور النساء كثيراً (٤) الهبنقع المزهو الاحمق المحب لمحادثة النساء ومن اذا قعد في مكان لم يبرحه (٥) التفتاف من يلفظ احاديث النساء (٦) الازوح المتخلف عن المكارم والحرون (٧) النهد الكريم ينهض الى معالي الامور (٨) وقر في بيته جلس بوقار (٩) تفخل الرجل أظهر الوقار والحلم وتهيأ ولبس أحسن ثيابه

يجب على الرجل الصالح العادل الذي يحسب نفسه شريفاً أن يختار لنفسه في ذلك ما يختاره لزوجته وان لا يريد لها ما لا يريده لنفسه

يا أيها الرجل اياك والبخل فانه يكسر قلب المرأة . فان كنت لا تستطيع الا ان تعيش ضنيناً فضن على نفسك الخبيثة واهلكها بطمعك وشحك ولا تضن على زوجتك وولدك لئلا يمد ايديهما الى غيرك والعياذ بالله تعالى ولئلا تنقلب عنك محبتهما فلا يطيب لهما ولك عيش الا بموتك . اعلم انه لا عز لبخيل

لا تذل امرأتك فان المرأة الذليلة لا تصلح لتربية اولادك وتهذيبهم . لا تهددها ولا ترفع يدك عليها لئلا تخشاك فيكون توقيرها اياك خدعة منها فتجعلك خدعة (١) ان الخديعة يتولد منها الكذب والكذب آفة المجتمع الانساني

اذا ظلمت امرأتك فقد ظلمت نفسك وجرحت قلبها والقلب المجروح يعمق جارحه ولن يحبه ولا عمار الا بالمحبة

لا تكن كلك لنفسك بل كن لها ولزوجتك . اذا كنت لا تشتهي شيئاً وهو لا يضر بها فلا تسألها ان لا تشتهيه معك فان لها مالك ولك مالها ونفسك مثل نفسها وحقوقكما بالرضى والغضب متساوية . ولا تمت ارادتها ولا تجعلها تريد كل ما تريده انت بل اجعل نفسها كبيرة لتكون شريفة . واطلق لها ارادتها لتعيش حرة فتسأل عما تفعله والا فقد أصرتها خادمتك البلهاء ولم تتخذها الشريكة التي تشاطرك متاعب الحياة بعد أن

(١) الخدعة بفتح الخاء المرة من خدع . والخدعة بضم الخاء مايخدع به ومن يخدعه الناس كثيراً والخداع بكسر الخاء

تخففها عنك بتدبيرها واتقانها وصبرها وطلاوة كلامها ورقتها . اذا كانت اخلاقكما متباينة فتقاربا بالمحبة . ان المرأة اذا رقيتها رقت اولادك وانتفعتم كلكم بها وان اهملتها ووضعتها أضعت مستقبل عيالك وعشتم وضيعين مهانين .

وأقول أخيراً اذا نزلت على قوم وأردت أن تعرف منزلتهم من المدنية الحقة فسل عن نسائهم فان كن مثلهم في الحقوق فقد بلغوا من الحضارة والانسانية المنزلة الرفيعة والا فارحل عنهم

الفصل الثاني منه

﴿ في المرأة ﴾

قال والدي ان النساء في الزهرة كالرجال بل هن مكرمات أكثر منهم لانهن يتعبن ويشتغلن مثلهم وأكثر وهن أهم منهم لاتقانهن فن التربية والتهذيب ونحن لا ننكر عليهن أفضالهن بل نشكرهن ونبجلهن لان الشكر والتبجيل يزيدهن ولوعاً بالمزايا على دعة منهن واتضاع . فياليت النساء في الارض يسلكن مسالكهن لان المرأة كلما خفضت جناحها لرجلها تمكنت من قلبه اكثر تمكناً . ان المرأة العاقلة هي التي لا يهمها غير رجلها وولدها وبذلك تكون سعت لنفسها سعياً حسناً

توقوا المرأة الدوارة (١) والجالعة (٢) والكاذبة والسحوج (٣) وشر

---

(١) أمرأة دوارة اي طوافة في بيوت الجيران . والرادة من النساء الطوافة في بيوت جاراتها . والزلزة المرأة الطياشة الدائرة في بيوت جاراتها (٢) الجالعة السافرة القليلة الحياء والجالعة المتكلمة بالفحش (٣) السحوج الحلوف التي تسحج الايمان (أسيء الاقسام) أسيء تسرع فيها

النساء المتطرفة (١) . والمرأة الصالحة والرزينة هي التي لا تحمل رجلها على الغيرة ولا تجعله يشك في محبتها له وإخلاصها وقناعتها . ان خير النساء امرأة قاصرة الطرف لبة (٢) علوق (٣)

ثم قال الشجاعة والبأس للرجل وللمرأة الرقة والدعة من غير جبانة منها ولا خشونة ومنه . اذا أطاعت المرأة رجلها مع حفظها حقوقها وخدمته بطيبة فقد خدمت نفسها لان في كل جسد من جسديهما نصف روح الجسد الآخر فهما حارسان وشريكان يسعيان في مصلحة واحدة وفي طلب خير واحد . لتحرص المرأة على مال رجلها حرصها على حسنها فانه مالها أيضاً ومال أولادها ان المرأة الطامعة في ثروة رجلها تبذيراً واسرافاً جاهلة معيبة . ليتها تعقل ان التبذير والاسراف ينفدان كل ثروة ومال ويتسببان بالبطر فتغلب الاهواء والشهوات وهنالك الفساد الذي لا صلاح معه

لتكن المرأة صبوراً عند حلول المصائب غير جازعة منها . لا يلذ للعاقلة غير ترتيب منزلها ولا تجد بهجة الا به . ان مهارتها وفراستها تعرفان من ترتيبها المنزل والاولاد ومن نظافتهم . اذا نظرت الى الولد وثيابه عرفت منزلة امه من الاتقان والذوق والتهذيب . ان التي لا تشتغل في لوازم منزلها فهي زائرة لا منزل لها

التربية فن شريف من فنون الحكمة فعلى المرأة ان تتقنه وتحكم وضعه والقاءه على اولادها بتأن وبراعة تعلم بهما سعة مداركها ويعرف صبرها . ان المرأة الصالحة المدركة يؤثر صلاحها في رجلها

(١) تطرفت المرأة استطرفت الرجال ولم تثبت على زوج (٢) امرأة لبة التي تحبه لزوجها (٣) العلوق المرأة التي لا تحب غير زوجها

ان التي لا تريد ان ترضع ولدها لغير علة مانعة من الارضاع نهي لا تحبه . وأي عار أشد واعظم من ان يقول قائل ان فلانة لا تحب ولدها ولا تحن عليه لانها لا تحب غير نفسها فان المحبة الدنيئة ألا وهي محبة الذات تغلبت عليها . ولانها لا تحب رجلها ايضاً بل لا تحب احداً . ان التي على هذا الخلق القبيح لا تصلح للامومة لانها دون الانسان والحيوان

ان الزوجين كالاخوين في المنزلة فالرجل هو الاخ الاكبر والمرأة الاخ الاصغر والعاقل منهما من حمل على النفس ضيمها وصبر صبر الكرام فقد رضي الله تعالى عنه والناس اجمعون .

الفصل الثالث منه

في الاصدقاء بالارض

قال والدي اجتنب الناس ما استطعت فتنعم وترفه . كلما عرفت العالم الارضي وادركت سراً من اسراره الغامضة كرهته وزهدت في اهله . لا خير في اكثر الناس عندكم فان كبارهم يأكلون صغارهم هم وحوش ولكن عاقلة ولذلك نراهم اشد توحشاً من الحيوان لان عقولهم تساعدهم على الفتك الذريع والقتل الفظيع والطمع الشنيع

ابتعد عن البشر تنج من الشر والا فاختر لنفسك منهم اصدقاء ولو كانوا لا يصدقون الا قليلاً لانك يا ايها الانسان لا تطيق الانفراد . ليكونوا ما استطعت من الطبقة الاولى لانهم في الغالب أقل ضرراً من غيرهم . فان كنت لا تصل اليهم فاقصد الطبقة الثانية واطلب منها الذين ربوا في النعمة

ونشأوا على المكرمة . اياك ان تختار من هم دونك بل اتخذ لك اصدقاء ارفع منك قوماً وارقى منزلة لتتأدب وتتهذب عنهم وتقتبس من عاداتهم الحسنة فتنتقل من حالة الى احسن وارفع منها وهم لا يطمعون فيك ولا يحسدونك لانه لم يطمع بك ولا يحسدك الا من كان دونك . غير انه يلزمك ان تخفض لهم جناحك وان تجتهد في تطبيق اخلاقك على اخلاقهم وفي مشاكلتهم ومماثلتهم غير مخالف لهم في شيء الا انك اذا رأيت منهم ما يستهجن فاجتنبه .

لا تحاسبهم ولا تطالبهم ولا تعد زلاتهم لانك اذا لم تغض طرفك عنهم لا تظفر بصديق واحد ولا بنصف صديق ولو عشت عمرين

لا تلوم صديقك اذا غضب ولا تنصحه وهو ثائر بل هيبه اليك (١) اذا تسخط وتغضب وانصحه اذا عاد اليه حلمه ولكن احذر أن تنقصه وتعيبه لئلا يصير نصحك توبيخاً وملاماً

اصحبه في غمه وحزنه بقدر صحابتك اياه في سروره وفرحه . غير انك لا تكن معفاق (٢) الزيارة ولا تغتم الزيارة (٣) . ولا تقطع عنه في مرضه بل مرضه . كن ثابتاً على المودة ولا تكن مجذامة (٤) ولا طرفاً (٥) ولا مسنوتاً (٦) ولا مرامقاً (٧) . ما أحسن الصديق

---

(١) هيبه اليه جعله مهيبا عنده (٢) رجل معفاق الزيارة أي كثير الزيارة فلا يزال يجيء ويذهب زائراً (٣) اغتم الزيارة اكثر منها حتى يمل

(٤) رجل مجذامة سريع القطع للمودة (٥) الطرف الرجل لا يثبت على أحد

(٦) المسنوت من يصاحبك فيغضب من غير سبب (٧) المرامق من لم يبق في قلبه من مودتك الا القليل

المفال لم يكن ممفياً (١) . اذا أصابه الدهر بماله فلا تنقص من تكريمه . ادفع عنه اغتياب المغتابين وكن أميناً على مجلسه كما أنت أمين على عرضه ونفسه شاف اذا أمحضك الود (٢) فاركن اليه . كن حصوراً (٣) . ولا تكن بوقاً (٤) ولا بذوراً (٥) . لا تحتل ولا تسأل عن شيء ليس فيه مصلحة لك . زن نفسك دائماً لئلا يستثقلك . لا تطمع ولا في زبال (٦) ولا تتقرب اليه بالمصاقلة ولا بالمجاملة (٧) ولا بالمصانعة . ولا تجاره على أمر لا يحمد عليه . واجتهد أن لا يكون مترفاً (٨) . ولا تجعل مزيتك الفريدة تبجيله وتعظيمه

اذا سمعت الناس يذمونه وكان الذم في محله فلا تخفه عليه بل تلطف في ايصاله اليه . جد في مساعدته وقضاء حاجته فاذا تعبت في سبيله فاكتم تعبك عنه لان اظهارك اياه عيب من عيوب الصديق المخلص الذي لا يمذق الود (٩) وغير المتصنع . ان صديقك مثل نفسك تتعب من أجلها ولا تحاسبها .

... على هذا كن كلك لصديقك ولا تعلل نفسك بأنك تجد لك أصدقاء كثيرين فاذا ظفرت في كل عمرك بصديق أو صديقين فقد أفلحت حينئذ لانك صديق

---

(١) الممفي من يصحبك ولا يتعرض لمعروفك (٢) امحض زيد الحديث والود صدقه (٣) الحصور الكتوم للسر (٤) البوق من لا يكتم السر (٥) البذور النمام ومن لا يستطيع كتم سره (٦) الزبال ما تحمله النحلة (وقيل النملة) بفيها (٧) جامله عامله بالجميل ولم يصفه الاخاء بل ماسحه بالجميل (٨) المترف الذي ابطرته النعمة وسعة العيش والمتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع والمتنعم لا يمنع من تنعمه والجبار (٩) مذق الود شابه بكدر ولم يخلصه

أما أولئك الذين تعاشرهم وتؤاكلهم وتكثر من التردد اليهم . والذين يسألون عنك اذا غبت ويعاتبونك ويبتهجون بك اذا حضرت فهم أصحاب ألفتهم وألفوك وليسوا بأصدقاء لان الانسان ألوف يحزن لكلبه اذا فقده وأما الصديق فهو من سعى من أجلك فأغناك عنه وعن غيره

الفصل الرابع منه

في الاعمار والموت بالزهرة

قال والدي ان سكان الزهرة يعمرون ويعيشون لا أقل من خمسمائة عام ولا اكثر من الف . فاذا دنا أجل احدهم علم به من نفسه وقال لاهله وهو فرح مبتهج اني اذهب الى لقاء ربي فيفرحون ويسرعون فيعلمون قاضي قضاة المدينة فيذهب اليه (اذا كان المدنف من الذين لم ينزلوا الى الارض) ومعه جميع القضاة يحملون بايديهم باقات من الازهار النقية المختصة بالمائتين كتب على كل زهرة منها « اذهب بسلام ايها العبد الصالح » هذا اذا كان المائت متزوجاً واما اذا كان متبتلاً فيحملون زهراً مختصة بالمتبتلين كتب عليها « نعما انت يا ايها العبد الصالح » . فحينما يصلون الى منزل الميت يضعونه على الآلة (١) وهي مزينة بأزهار كتب عليها الكلمات الخمس التي عرفتها (وهي » الله « المحبة » «الصدق» . العفة «التواضع) ثم يحمله قاضي القضاة بيديه ويساعده في حمله كل القضاة ويسيرون به الى المعبد الاعظم وهم والعباد ساكتون . غير انه يتقدمهم قاض يصيح بصوت جهوري له تأثير عظيم في النفوس ويقول « اسعدنا يا ربنا كما أسعدت هذا العبد الصالح الذي تنقله اليك . نسبحك

---

(١) الآلة سرير الميت

اللهم لانك جعلت موت الابرار بهجات لهم يبتهجون بها ويستبشرون . نسبحك اللهم ونشكرك لانك جعلتهم يستقبلون وجهك الكريم ويقولون في حضرتك . نسبحك اللهم ونحمدك ونشكرك لانك أحببتنا فخلقتنا لنستحق المثول بين يديك الكريمتين . ثم يقول اللهم نقلنا اليك وقربنا منك لا كرهاً بالزهرة وسكانها وعيشها بل تبركاً بك . الزهرة مسكننا الذي نسكن اليه والسكان اخواننا الذين نأنس بهم والعيش طيب ونحن مرغدون فاجمعنا بين يديك لنشكرك على نعمك بقدر استطاعتنا المستمدة منك . اننا عن شكرك لعاجزون »

حينما يدخلون المعبد يضعون المحمول تحت الكلمات الخمس المكتوبة في صدره (كما سبق الكلام) . ثم يصعد قاضي القضاة الى كرسيه ويقول بصوت مرتفع « الله الله يا مكافيء المحسن على حسناته بأحسن منها ان عبدك (وهنا يذكر اسم الميت) البار يسألك السعادة الدائمة في مقر عرشك الاقدس» فيسمع كلام فصيح بصوت رخيم عن لسان الحق سبحانه وتعالى وهو « يا عبدي الذي لم يلبس ثوب آدم ولم يتدنس بسجن زحل . يا عبدي الذي تفيض المحبة منه والذي يزهو بنور الصدق ويبهو بالعفة ويتلألأ بالتواضع اني آمر بأن تنتقل نفسك الى الجنة العظيمة حيث عرشي الاقدس لتقيم مع اخوتك الابرار في راحة وسعادة دائمتين »

وبعد هذا ينقطع الصوت والخلق كلهم مطرقون خاشعون فتخرج النفس كأنها عصفور غاية في الحسن والجمال لونه بين البياض الفضي والزرقة اللامعتين مكتوب على رأسه « الله » وعلى جناحه الايمن « العادل » وعلى

جناحه الايسر « المكافيء » يراه الناظر صاعداً محفوفاً بالانوار وهو يشكر ويحمد ويسبح والحاضرون يقولون «يا ربنا انقلنا اليك وقربنا منك . اللهم لا تطل أيامنا في الزهرة لنتمتع بمشاهدة وجهك الكريم »

أما الصدى (١) فيلقونه في بئر كبيرة ثم يتفرق الجمع وهم يتمنون لانفسهم ما ظفر به فقيدهم الذي لم نره يتألم دقيقة خروج نفسه بل نراه يحمد ويشكر ويسبح ويبتهل وهو مبتسم مبتهج كله سرور وحبور

قال فاذا كان المائت من الذين انزله الله تعالى الى الارض أمر قاضي القضاة قاضي الخلقان يمضي بعشرة من القضاة لحمل السرير الذي لا يزين كله بالازهار بل بعضه فينحبون وفي ايديهم باقات من الزهر كتب على كل زهرة منها «اذهب بسلام» والقاضي الذي يتقدم السرير يقول «اللهم يامن امرتنا بان لا نرد سائلاً اننا عبادك الذين اعتصمنا بك ولجأنا اليك والذين توكلنا عليك نسألك بمنك وفضلك ان لا تنزلنا الى الارض كما انزلت هذا الذي افسد في الزهرة فصلح بعد ذلك فأعدته طاهراً نقياً . يشكرك ويسبحك بكرة وعشياً . اللهم ادننا منك ولا تبعدنا عنك . اللهم زدنا شوقاً اليك ورغبة فيك كما زدت هذا العبد بهجة وسروراً بنقله اليك ليقف امامك وهو مطرق خجلاً واستحياء مما اثم وافسد فيما مضى . اللهم انه يرتجف من هيبتك فاشدد قلبه ومتعه ببهاء من وجهك الكريم ليشكرك حق شكرك ويسبحك تمام تسبيحك فيسعد بمجدك الاعظم وينعم بالراحة والسلام »

فحينما يصلون الى المعبد (غير المعبد الاعظم) يضعونه تحت الكلمات الخمس فيقول قاضي القضاة « ان عبدك هذا (ويشير اليه) يسألك ان تنعم

(١) الصدى الجسد من الانسان بعد موته وقد ذكر

عليه بالسعادة الدائمة حيث عرشك الاقدس» فيسمع الحاضرون ذلك الصوت القائل «ياعبدي الذي لم يتدنس بسجن زحل والذي رجع الي فتبت عليه اني آمرك بأن تخرج نفسك من جسدك وتذهب الى الجنة العظيمة لتقيم مع اخوتك الصالحين في راحة وسلام دائمين»

ثم تخرج النفس على هيئة عصفور ابيض مكتوبة عليه الكلمات الثلاث التي ذكرتها لك فيعلو غير محفوف بالانوار وهو يشكر الله تعالى ويسبحه تسبيحاً

فلما فرغ والدي من كلامه قلت له الا تريد أن تعلمني كيف تكون حالة المحتضر في الارض فقال ان الاضطراب او السكون اللذين يظهران على المدنف لايدلان على تألمه أو عدمه لانهما حالتان ملازمتان ومختلفتان باختلاف العلة فتقويان وتضعفان وتزيدان وتنقصان

إلا ان الذي يتوب توبة صادقة على اعتقاد منه قوي متين يؤثر ابتهاجه العظيم (الصادر عن اعتقاده قرب السعادة) في كل عضو من اعضائه تأثيراً لايجعله يشعر بألم. فاذا رأيته يضطرب ويقوم ويقعد فلا تحسبه متألماً متوجعاً والذي لاتكون توبته كاملة يتألم غير ان تألمه اقل بكثير من توجع الظالح المحتضر ولو كان ساكناً تظهر عليه الراحة فان الالم هنا لايدل على الاضطراب ولا السكون كما علمت

ثم قال اعلم واعتقد ان الميت يسمع كل قول ويعي ويظل على الوعي والسمع ساعات وانت وكل طبيب تحسبونه غير شاعر بشيء. فيجب على أهله واقاربه ان لايبكوه ويندبوه الا بعد مضي سبع ساعات على الاقل وان لايعولوا ويولولوا ويعظموا فقده علي زوجته واولاده وان لايذكروا

سوء حالهم بعده الى غير هذا مما يؤلم الميت ويعذبه وهو لا يستطيع الحراك

الفصل الخامس منه

﴿ في الاحزان ﴾

قال والدي لقد علمت مما تقدم ان سكان الزهرة لا يجزعون ولا يحزنون بل يهنئ بعضهم بعضاً ويفرحون عند الموت لان الحياة فيه

أما انتم يا أهل الارض فانكم تحزنون الحزن الطويل الشديد على فقيدكم وخصوصاً اذا كان صالحاً مع انه نجا من العذاب ومضى الى الراحة والسلام

لقد أوثقتم نفوسكم بوثاق من عاداتكم فتنقادون بها الى مصاعب الاحزان وتكرهون على حفظ قواعدها وقوانينها ونظاماتها وموادها ومسائلها وقضاياها وشروطها الى غير هذا من الاثقال التي تحملونها فوق وسعكم

اذا فقد أحدكم فقيداً شكا وبكى وعج وضج وصاح وأكثر الندب والنواح وحبس نفسه في بيته اياماً وليالي لا يأكل طيباً ولا يشرب لذيذاً ولا يلبس جديداً

فاذا اشتهى طعاماً بنفسه امتنع عنه أو أكله سراً . فان قرع بابه وهو يأكل وارى الطعام متلصصاً والا تعيبه الناس وتنقصوه وقالوا عنه هذا الاحاسة له فلا يحس بشيء ولا يشعر . فيلازم منزله كرهاً عنه حتى يذبل بعد نضارة ويضعف بعد قوة ويكسل بعد نشاط فتراه حين يخرج من بيته كأنه ناقه من مرض مزمن لكثرة تغيره فيظن ناظروه ان الحزن انحله واضناه وهم

غير مصيبين في ظنهم فياليتهم يستبطنون (١) الامر ويعلمون ان الذي اضناه هو حبسه وانقطاع اصحابه عنه

وبعد خروجه لا يؤذن له ان يخالط ويصاحب احداً لان القاعدة تجبره على البروز من داره صباحاً والعود اليها من شغله مساء فاذا اراد التنزه ابعد كأنه غريب انقطع عن اهله وعن العمران البشري لانه لا يجوز له ان يبصر الناس او كأنه محكوم عليه بالحبس ليلاً وبالانفراد والانزواء نهاراً. او بالتنزه في الفلوات والقفار مع الوحوش . وهذه عادة حرمها الله تعالى لانه لا يريد بعباده الا خيراً . لقد وضع سبحانه لهم القوانين الصحية حفظاً لابدانهم فكيف يسمح لهم بأن يعرضوها للعلل والمخاطر انهم لفي غواية وانهم يأثمون ويجنون على نفوسهم وهم غافلون . الى ان قال لقد كان اجدادكم يجرون على مثل هذه العادات يوم كانوا لا يتزاورون . يوم كانوا يكرهون الاختلاط فيلازمون منازلهم لا يظهرون للناس الا اوقات الصلوات والاشغال فهم بالطبع محبوسون فيما خلا هذه المواقيت فلا تصعب العزلة لانهم نشأوا عليها . فلو رجعتم الى عادات آبائكم لكان لكم منها خير عظيم . اما الآن وقد تغير عيشكم فيلزمكم ان تقلعوا عن كل عادة امست مضرة بكم لكثرة اختلاطكم . انتبهوا من غفلتكم ولا تسيئوا الى نفوسكم وتضغطوا ابدانكم وانتم تلومون العادات القبيحة مع انكم نبذتم اكثرها فكيف تنبذون الحسنة منها وتتمسكون باهداب السيئة وانتم لا تقوون على الثبات . دعوها قبل ان تفلت ايديكم فتسقطون

(١) استبطن الامر وقف على دخيلته وجليته

ومن العادات التي لا لزوم لها ولا اضطرار اليها الحداد (١) فتلبس المحد الحداد وهي كارهة لها . ولا أعلم ماذا يريدون منها اليوم . فان كانت علامة الحزن والاكتئاب فلماذا يجعلونها تطابق الزي وتوافقه كسائر الملابس الصالحة للتزين والتبرج حتى أمست غرامة على الذين يعسر عليهم تبديل ثيابهم لضيقتهم واحتياجهم الى ما هو اهم منها والزم مع ان كثيرين يتضجرون من الحداد ويتأففون

لقد رأيت كثيرين في الارض يذهبون الى الملاهي والمنتديات ويسمعون الاغاني وهم بالسلاب (٢) فماذا يبتغون من لبسها . اذا كانوا يريدون ان يعلموا الناس انهم فقدوا احد اقاربهم فليعلنوا به في الجرائد وعلى الجدران

ومن العادات المستهجنة ان كثيراً من البشر عندكم يعولون ويندبون ويقلقون ويزعجون مع انهم فرحون مبتهجون . اني اشير عليكم وانصحكم بل احتم ان تقروا وتسكنوا وتكفوا عن الاعوال والولوال لانهما يزعجان العباد ويضران بكم فان في القرار والسكون كرامة لكم

لقد رأيت كثيرين في الارض من عقلاء الناس واذكيائهم غير المتينين ينوحون نواح النوائح ويلازمون المناحة (٣) ويرفعون اصواتهم كالمرأة

---

(١) حدت المرأة واحدت تركت الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها المتوفى فهي حاد ومحد . والحداد مصدر حدت المرأة . وثياب المأتم السود (٢) تسلبت المرأة احدت على زوجها وهو من السلاب . وقيل الاحداد على الزوج والتسليب قد يكون على غير الزوج والسلاب ثياب المأتم السود

(٣) المناحة موضع النوح يقال كنا في مناحة فلان

السالقة (١) ويتدعون تدعيهن (٢) ويمددون اصواتهم تمديداً لا يحسن صدوره منهم ولا يجمل نقله عنهم فاستخف بهم السامعون حتى نقصت منزلتهم عندهم او كادت . ان الذي يجزع عند الملمة جزعاً شديداً ويضج يستذله الناس وهو غافل عن نفسه . فكتم الألم يوم الشدة اصون للمرء واكرم والتألم والتفجع من النازلة يبعثان الناس على التوجع . فاذا توجع لك عدوك اصابتك منه نازلة عظمى فكيف لا يخفي العاقل البلية لينجو من اعظم منها ويحفظ لنفسه كرامتها

فعلى العاقل ان يتقوى عند الملمة بالمتانة والرسوخ وان يتدرع عند جولان الهموم بالرزانة والرصانة وان يجتنب الكوبة (٣) ويعلم انه لا يدري ما يعمل وان النقادين واقفون له بطريقه . والاجدر بالرصين السكوت فان فيه وقاراً

ليزن نفسه دائماً في غمه وفرحه لا يستخفه الطرب ولا يستفزه الحزن وعليه ايضاً ان يجتهد ويقوي قلبه وان يسترشد ما استطاع ليدرك المصيبة ويقدرها حق قدرها لئلا يكبرها ويعظمها فيهلع ويدهش ويضطرب عقله ليعلم ان المصيبة تهجم عليه كأنها الجبل العظيم ثم تصغر تدريجاً الى ان تزول في وقت قريب وهو يحسبها تدوم

ومن العادات المستهجنة والمستقبحة والمستكرهة في الاحزان تهافت كثيرين من اولي البطالة والمفاسد على الحزانى باللوم والتنديد لتقصيرهم فيما اوجبته عليهم قواعد الحزن الضارة وهذا يا ايها الفضوليون تعرض منكم لامر

(١) امرأة سالقة أي رافعة صوتها عند المصيبة أو لاطمة وجهها (٢) تدعت النائحة طربت في نوحها (٣) الكوبة الحسرة على ما فات

ليست فيه مصلحتكم ولا تتعلق به حقوقكم فانهم ادرى بشؤونهم واحق من سواهم بتقديرها واعطائها ما وجب لها فيفعلون الاوفق لهم والاخلق بهم ويختارون لنفوسهم ما يناسبهم لاما يناسبكم انتم الفظاظ الجفاة الذين خلت قلوبهم عما يشغلها فشغلوها بالحزناء (١) . فياحبذا لو اشتغل كل منهم بنفسه وبحث عن نقائصها وعما قبح فيها فاجتنبها فيصلح الناس كلهم في اعمالهم فيكفون عن التقبيح والاغتياب وعما لا يعنيهم من كل امر . فاذا كفوا اجتمعوا على كلمة واحدة وتضافروا وتعاونوا على خيرهم ونجاحهم وجدوا في سبيل تقدمهم وعمرانهم فيسعدون السعادة الارضية بمدشقائهم وينعمون

على الرجل العاقل كلما رأى في خلقه ما لا ينطبق على اخلاق الناس ان يجتهد في تطبيقه ليوافقها . فاذا وافقها دخل بينهم وعد منهم فيكف عنهم فيقربونه اليهم ويؤانسونه مؤانسة تطيب بها نفسه . هذا اذا لم يفيدوه علماً ومالاً

الفصل الاول من الباب الثامن

﴿ في وجود الله تعالى وخلقه الخلق ﴾

لما وصل والدي الى هنا قال اذا اردت ان تستفيد فسل عن كل ما تريد فقلت له ما الحجج الدامغة والبراهين المقنعة على وجود الله سبحانه وتعالى وخلقه الخلق فقال اعلم اننا لانشك في وجوده جل جلاله لاننا نراه بعقولنا وقلوبنا

وأما أنتم فكيف تلفت احدكم وحيثما اتجه واني تحرك رأى صنعه

(١) الحزنابن يجمع على حزان وحوالي وحزناء

وقوة الطبيعية القاهرة . رأى اشياء كثيرة من اشياء اكثر منها لا عدد لها هي اعظم منه واقوى على ما به من العظمة والقوة . رأى ذله . رأى عجزه . رأى ما لا يقوى على تصوره رأى ما هو فوق مداركه رأى ما ترتعد له الفرائص فيدهش فيسقط فيستغيث بما يرى اقراراً منه باقتدار كل ما يرى . كأنه يشعر من نفسه باقتدار قادر بل يشعر حقيقة بوجوده فيسميه القادر الموجد

اذا تأمل الكائنات العظيمة المدهشة وما يختص بها من الاعمال الغريبة المختلفة والمتباينة في احوالها وشؤونها وغاياتها مع انتظام حركاتها وسكناتها بحيث انها اذا طرأ عليها خالل جزئي خربت خراباً فتكاد تقف حركة عقله من دهشه وعند ذلك يقر شاء او ابى بوجود مكون مدبر . فاذا وصل الى هنا ولا بد له من الوصول اضطر بحكم القياس الى الاقرار ايضاً بأن ذلك القادر الموجد المكون المدبر الذي اوجد الكائنات العظيمة يقدر بالطبع على خلق الانسان الحقير بالنسبة اليها وعلى خلق الحيوان بطبائعه المختلفة على ما به من القوة الطبيعية المدركة المحافظة على انواعها الواقية لها من الدمار والاضمحلال وهو اي ذلك الانسان لا يقوى على خلق احقر بعوضة فيكرر اقراره بعجزه وبوجود قوة خالق عظيم

ليترك كل شيء في الانسان والحيوان ولا ينظر في كل تراكيبهما ولا يتأمل الفرق الكائن بين الذكر والانثى مع اختلاف طبيعتهما وميلهما بل لينظر فقط الى العين الباصرة ويطيل التأمل ويدقق في تركيبها فيدهش ايضاً ويقر بقوة صانع عجيب

لينظر في النبات واختلاف طبائعه وخاصياته فيدهش أيضاً و يقر بوجود مبدع حكيم . فهذا القادر الموجد المكون المدبر الخالق الصانع

المبدع الحكيم هو واحد وهو الله تعالى

لابد للانسان القوي المدارك النبيل الغاية الخالي من الاهواء التي تدعوه الى العناد والمكابرة من الاقرار بوجود الله تعالى تقدست اسماؤه لا بل لا بد للانسان النبيه الذكي مهما كان جاحداً منكراً مكابراً من الاقرار بوجود الله تعالى ولو بعد حين

ما مثل الذي ينكر وجود الله الا مثل الذي ينكر وجود نفسه في الحياة . لا ينكر وجود الله تعالى الا من به جنون التأله . ان الانسان دون هذا الكون بل هو من فضلاته فكيف يجعل نفسه فوقه ويريد ان يجعله خاضعاً لمداركه

من علم الناس ان ينكروا وجود الله تعالى فهو عدو لهم مبين تعمد الاخلال بنظام الكون والمجتمع الانساني .

الفصل الثاني منه

﴿ في الاديان ﴾

وقلت أريد ان تعلمني اي دين من الاديان هو الافضل فقد رأيت كلاً يعظم دينه ويفضله على غيره . فقال كل دين يعلم حب الله جل وعلا وحب الخلائق بعضها بعضاً ويعلم ايضاً اجتناب المعاصي والآثام هو مقبول بالطبع عند الله جل جلاله . فقلت له اني الح عليك والتمس منك ان تعلمني أي دين أفضل فقال الاقرب الى المحبة والعفة والفضيلة

ثم قال اعلم ان الاديان من حيث التعليم والارشاد سواء وما اختلف

منها عن الآخر فقد روعي به الزمان والمكان واحوال الناس وعيشهم ومداركهم وعاداتهم وطبائعهم وميلهم . وان الذين وضعوا الاديان وعلموها للبشر ونشروها انبياء ورسل من عند الله الخالق الحكيم فمن عمل صالحاً منكم واجتنب المعاصي ومناهي الشرع فقد صلح وخلص ولا شك في هذا

وقال ايضاً انك تعلم ان الله عز وجل أراد بالدين ان يعيش خلقه في راحة وسلام لا يتعادون ولا يعتدون ولا يفسدون فكيف والحالة هذه يجوز لنا ان نحكم بهلاك رجل صالح مطيع لله تعالى في جميع احكامه اذا كان غير متدين بديننا ألم يكن الله سبحانه وتعالى رحيماً عادلاً يريد من الانسان قلبه . ماذا ينفعني ديني اذا كان قلبي غير نقي طاهر وغير منزه عن الرذائل

اذا وجد أحدكم رجلاً صالحاً ليس على دينه وجب عليه ان يحترمه وان يتعظ بصلاحه و يقتدي بتقواه ووجب عليه أيضاً ان يحبه محبة عظيمة لانه يعمل بأمر الله سبحانه وتعالى وعليه ان يثق به لانه صالح تقي مثله في الصلاح ولانه يوافقه ولا يخالفه في اجتناب المحرمات

ماذا ابتغي من المتدين بديني والذاهب مذهبي اذا لم يكن على صلاح ماذا ابتغي منه وهو يؤذيني و يضرني و يترقب عثاري الا افضل عليه ذلك الصالح الساعي وراء خيري ونجاحي الذي اذا عثرت اخذ بيدي وقال (١) لعاً لك ودرأ عني الشبهات وهو ليس على ديني . أي الاثنين أفضل هل هذا النافع الصالح الذي تسميه بالكافر الخائف الله تعالى الزاهد في الملاهي الراغب عن لذاتها الواقف نفسه على خدمة

---

(١) يقال للعاثر الهالك دعاء له بان ينتعش ومعناه سلمت ونجوت

بني الانسان المجتهد في تخفيف ويلاته ومصائبه المحسن اليه والمتصدق عليه والمعتكف على عبادة الله تعالى بالطاعة وحسن الصبر . أم ذاك الطالح العاصي القاتل الذي تسميه مؤمناً المنقطع في الحانات المقامر اللص الزاني النمام المحتال . كيف تسمي هذا مؤمناً وذاك كافراً ألم يخلق لك الله عز اسمه عقلاً لتميز به الخير من الشر . فان قلت هذا الاثيم لا أعده مؤمناً لانه ليس فيه صلاح المؤمنين فأقول وماذا تعد ذاك الذي تدعوه كافراً وقد رأيت فيه صلاح المؤمنين أجبني . لا شك في ان قلبك يحكم حالاً بانه أفضل من الذي تدعوه مؤمناً ولكنك لا تصرح خوفاً من جماعتك على زعمك وهذا الخوف ناشيء عن جهلك

نزه قلبك وعقلك ولسانك عن الاعتساف والفخفخة اللذين لا يكون معها عدل واحكم بعد ذلك فتعدل وتنصف . قل لي أبعد هذا يسمح لك لسانك بان تسمي الصالح كافراً . اني أقول عنك لا

ان كلمة الكافر التي ألفت لفظها فهانت عليك تجرح قلوباً مؤمنة كثيرة لا تعلم بها ربما لو راعيتها أو تركتها نفعتك وحافظت عليك . ان هذه الكلمة تورث قائليها احناً ومحناً وبلايا ورزايا وهم لا يعقلون

لا يستغني أخ عن أخيه ولا قريب عن قريبه ولا جار عن جاره ولا انسان عن انسان مثله . ان الانسان يحتاج الى الحيوان فكيف لا يحتاج الى الانسان وهو أكثر افادة وأشد نفعاً من الحيوان

يجب على البشر ان يجمعوا ويتحدوا ليتشاركوا في المنافع التي تنمي كل يوم بحسن التساعد والتعاون ولكن كيف يتم هذا لكم يا ايها الذين ينظرون ولكنهم لا يبصرون . كيف السبيل الى هذا والتحزب الديني يجر عليكم

الشر . ويمنعكم من الخير . كيف الوصول الى هذا الخير القريب منكم انه بين أيديكم فلماذا تستبعدونه . ما هذا الجهل . ما هذا الحمق . ألم تعتبروا بغيركم . ألا تقتدون بسواكم . اعقل وأدرك يا هذا ان الدين وجد لخير الانسان ونفعه فكيف تجعله لضررك وتعاستك وتعاسة غيرك بتحزبك وجهلك وبلاهتك . اقلع عن تغفلك واعلم ان كل مضر يجب اجتنابه فلماذا لا تجتنب هذا الاعتساف الذي لا يضرك غيره والذي اجمع الناس على انه مضر

اقول اذا عودتم نفوسكم كره من ليس على دينكم فقد علمتوها البغض فيتمكن منكم حتى انكم تبغضون من يتدين بدينكم ايضاً وانتم لا تدرون ان البغض يرسخ في القلب فيصير فيه طبعاً وغريزة فيصبح ويمسي على البغض من غير ان يستثني احداً ولا عجب في هذا فان الانسان ابن العادة

لقد رأيت وسمعت كثيرين يخاطبون بالأنفة والكبر والترفع مفتخرين مدعين بانهم يشرفون بدينهم فلا يجوز لهم ان يكرموا من لم يكن عليه . فأقول لهم ان الشرف لا يكون شرفاً الا اذا كان صعب المنال لا يحصل عليه ولا يوصل اليه الا بشق النفس مع ان دينهم غير ممتنع على احد . فيه الرفيع والوضيع والعظيم والحقير . من قال لهم انا على دينكم ضموه اليهم حالاً

فان قالوا ان الله تعالى جعل الشرف بديننا دون غيره وان كان قريب المنال غير ممتنع على احد ولكن هذا الشرف لا يظفر به الا من كتبت له السعادة واراد الله تعالى به خيراً . فأقول لهم ان الناس عند الله سواء لا يفضل عبداً على عبد الا بأعماله الصالحة . وان الله تبارك وعلا يريد

بجميع عباده خيراً فالمظيم عظيم ولو بخسه بعض الجاهلين حقه ألم تعلموا ان الجاهلين لا يدركون

اني رأيت المتحزب مكروهاً يتأخر كل يوم. ان المتحزب يكره الناس دينه واما المتودد فانه يرغبهم في دينه

الفصل الثالث منه

﴿ في توحيد الاديان ﴾

وقلت لوالدي أمن الممكن توحيد الاديان فينجو البشر من الويلات والرزايا التي تنجم في كل زمان ومكان عن التفرق والاختلاف . فقال ان الله تعالى امر الانبياء والرسل ان يتوافقوا في تعاليمهم . فاذا تم ما جاء في الكلام عن « الحروب والمذابح والفظائع » فالتوحيد ممكن غير انه لابد بعد ذلك من تأليف مجمع عام يجمعون فيه على تعظيم وتبجيل الانبياء والرسل ثم يتفقون على تلخيص عادل ينظر فيه الى احوال الزمان وتقلباته في كل وقت فيعبد الناس كلهم الله تعالى بكلمة واحدة حال كونهم يعبدونه وهم متفرقون متشتتون فهل يختلف احد في تفضيل الاجتماع على التفرق والوفاق على الخلاف والقوة على الضعف

فاذا فاز الانسان بهذه البغية صارت الارض مواسم واعياداً حيث يكون قام الاصلاح العام ودخل الناس في طور جديد أدركوا به انهم من اب واحد وام واحدة وانهم لا ريب عشيرة واحدة نمت حتى لم تسعها بقعة واحدة فتفرقوا اضطراراً يجمعهم دين واحد ولغة واحدة وكلمة واحدة وعادات غير متباينات

ان شاء الله تعالى وما هذا على كرمه ببعيد

فانتبهوا يا أيها البشر وتعقلوا وأدركوا انكم قادرون على راحتكم وراحة اولادكم وانكم قادرون ان تخلصوا من عذاب اليم فيرث هذا الخلاص ابناؤكم وتخلدون لكم ذكراً سعيداً دائماً . واعلموا انكم اذا اقدمتم ساعدكم الله تعالى وقواكم وارشدكم . فمن احب فليقدم وليساعد

الفصل الرابع منه

﴿في قولهم لو كانت الاديان كلها من الله تعالى لما اختلفت في الاعتقاد﴾

وقلت لوالدي يقولون لو كانت الاديان كلها من الله تعالى لما اختلفت في الاعتقاد وتباينت في التعاليم . فقال ان اساس الدين ودعامته الكبرى بل الدين نفسه هو ان يحب الخلق الله سبحانه وتعالى وان يتحابوا . وان يكفوا عن الآثام ليعيشوا في راحة وسلام . وكل دين من الاديان مؤسس على المحبة واجتناب الكبائر والمعاصي . فالاديان اذاً يؤيد بعضها بعضاً ولا تتخالف كما تقدم القول

اما الاختلافات التي يشيرون اليها فليست باساسية طبيعية بل هي وضعية يحق لكل نبي ورسول ولكل حكيم وضعها ليهذب بها امته ويحفظ لهم صحتهم . فاحد الانبياء مثلاً حرم أكل الخنزير لاضراره لان فيه الدودة المعروفة بالدودة الوحيدة التي تنتقل اليه وهو يرعى . وتنشأ فيه ايضاً الدودة المسماة بالتريخينيا فتنتقلان الى الانسان بأكله فتضران به ضرراً عظيماً

(١) جهاز الحيوان مجموع أعضائه باعتبار وظائفها وهو من مصطلحات الاطباء

وعلى الخصوص الثانية فانها ان نمت في الاجهزة (١) العصبية من آكله فتحت لها في جسده مخرجاً ونفذته وقتلته

وحرم أكل هـذا الحيوان ايضاً لان لحمه عسر الهضم فلا يصلح اكله في البلاد الحارة خصوصاً . فلو أتى هذا النبي في زمان ومكان لا يضر فيها أكل لحم هذا الحيوان وفي امة تعرف كيف تتقي شر هاتين الدودتين لم يحرم اكله عليها

وجاء في التوراة ان النبي موسى قال لبني اسرائيل من عمل منكم ذلك العمل المنهي عنه فليكفر عن اثمه بتقريبه ثوره لله تعالى لان موسى يعلم ان الثور عند الاسرائيلي في ذلك الحين عزيز لايجد عنه اغتناء ولا منه بدلاً إلا بعد ان يعاني مشقات فيضطر الى اجتناب تلك الخطيئة . فموسى النبي كلم الشعب على قدر احتياجهم وعقولهم لاعلى قدر عقله وجعلهم بحكمته يخففون أوزارهم

وقال لهم ايضاً من عمل منكم صالحاً فقد اطال الله تعالى عمره واكثر له مواشيه في مسرات ونعم تترى ومن عمل صالحاً قبضه الله سبحانه وتعالى ولم يمهله . ورغبهم ايضاً في بلاد بني كنعان . فهو قد وعدهم وأوعدهم بما أثر في عقولهم

فلما تسامى البشر رغبوا فيما بعد في الجنة وسعادتها وهددوا بجهنم وعذابها ومن المقرر ان هذا كله يراد به خير بني الانسان ولذلك يتأمل النبي أحوال قومه واستعدادهم ومنزلتهم من العقل ويختار لهم الطريقة الفضلى ولو كانت في الظاهر مباينة غيرها من طرائق الانبياء الا انها في الباطن وفي الحقيقة ليست الا موافقة . فزعمهم ان الاديان متباينة خطأ لا يدركه الا أولو البصائر

ان النبي حكيم وطبيب فكما ان الطبيب مداوي الابدان يداوي مثلاً خمسة من المرضى المصابين بعلة واحدة في وقت واحد و يصف لكل منهم دواء غير الذي وصفه لسواه مراعياً بذلك اختلاف أبدانهم وأمزجتهم وتربية بلادهم وهوائهم ومائهم فكذلك النبي فانه يداوي النفوس والاجساد معاً بالادوية التي هي انجح من غيرها وانفع فتنوعها لا يسمى تخالفاً في الحقيقة مادامت العلة واحدة وانما الرائي يرى بحسب الصورة الظاهرة ان هذا الخلاف الذي يراه واقع في المادة المنظورة الا ان الغاية الجوهرية المقصودة هنا واحدة وهي فعل الدواء وتأثيره ليحصل بها الشفاء وقد تم وحصل

ومن المعلوم ان الدواء الذي يفيد في بلد كذا لا يفيد تلك الافادة في بلد غيره فيجب ان يعتاض عنه بما هو انفع . وكذلك النبي المقيم بافريقيا مثلاً اذا جاء أوربا يضع لسكانها غير تلك التعاليم والقواعد والقوانين التي كان وضعها قبلاً وهي مع اختلاف وضعها ترجع الى غاية واحدة أي ان يحب البشر الله تعالى وان يتحابوا ويجتنبوا الآثام كما صرحت قبلاً

الفصل الخامس منه

﴿ في قول بعضهم ان الاديان قوانين وضعها عقلاء البشر ﴾

وقلت لوالدي يقول بعضهم ان الاديان قوانين وضعها العاقلون غير مقرين بالانبياء والرسل . فقال لو تأمل الانسان حكمة كل نبي ورسول التي تفوق مدارك قومه . واذا دقق في تعاليمها السامية وغايتها الشريفة منها وما يصدر عنها من الفوائد العائدة على الانسان بالخير والراحة ونظر في معانيها

التي هي ارق واعلى من معاني قومه بكثير مع انه منهم . واذا حقق في حالة ذلك النبي والرسول وعيشهما وزهدهما ونسكهما وفقرهما وصبرهما على المكاره والتعذيب وعلى القتل والاستشهاد أقر بأن فيهما « حكمة » « قوة » «روح» « محبة » تمتاز عما في الانسان امتيازاً غريبا عجيباً امتيازاً أعلى من تصور البشر فهذا الاقرار هو الاقرار بقوة النبوة والرسالة

رأينا كثيراً من الملوك امتازوا عن البشر نعم امتازوا وفاقوا لانهم كانوا مختارين في الزهرة كما علمت غير انهم كانوا راغبين في العظمات والابهات وفي حب التسلط والتملك بخلاف النبي والرسول (في الاكثر) مع انهما بالنظر الى امتياز مداركهما وحكمتهما كان يهون عليهما ان يرأسا قومهما ويفتحا الممالك العظيمة ويعيشا ملكين من اعاظم الملوك . غير انهما احتقرا المجد وزهدا في كل شيء ووقفا نفسيهما على محبة البشر وهذا أمر يفوق الطبع البشري لأن كل شيء ممكن ما خلا السماح والرضى بسفك الدم فداء وتضحية عن المحبة التي ليس فيها بالطبع فائدة حسية تعوض للمسفوك دمه

نعم اننا رأينا في الناس من يعرض نفسه للهلاك املاً منه بنجاة شريفة ترفع منزلته فيدرك بها المعالي بخلاف النبي فانه زهد فيها وابتعد عنها لان غايته شريفة سامية اشرف وأسمى من تلك الغاية

فهذه المحبة الفائقة المجردة عن رغبة في فائدة ومقصد ينتفع بهما في الارض ليست بمحبة بشرية ارضية تصدر عن قوة انسانية وحالة انسانية وغاية انسانية بل هي لا تصدر الا عن قوة عالية سامية الهية يؤيدها الله سبحانه وتعالى

حيث انك اقررت بالنبوة والرسالة وجب عليك ان تتبع أوامرهما وتثق بهما لانهما لا محالة من الله تعالى كما علمت

الفصل السادس منه

﴿ في المجوسية والوثنية ﴾

وقلت لوالدي ما رأيك في المجوسية والوثنية ونحوهما فقال هي عبادات وشرائع مدنية وضعها الفلاسفة والحكماء ليكفوا بها الناس عن الاضرار وعن التعرض للقوة الحاكمة التي كان للكهنة فيها التأثير الاعظم

وقد كان من الممكن ان تفيد تلك العبادات والشرائع لو لم تختلط بالاباطيل والخرافات التي أضافها اولو المآرب . ولم تزل تنحط مع توالي السنين حتى صارت وثنية محضة

وقد كان قصد واضعيها ان يعبد البشر الله تعالى ليكفوا عن المعاصي . غير إن الشعوب القديمة لم تكن تؤمن إلا بما يقع تحت حواسها . فقالوا لها مثلاً ان الشمس قوية عظيمة نحيا بها ونعيش لانه لولا حرارتها لهلكنا ولم تخرج الارض نباتها . وقالوا ايضاً هي الشمس مكرمة عند الله تعالى لعظمها كما ترونها والا لم يخلقها عظيمة فيلزمنا ان نطلب منها التوسط بيننا وبينه تعالى وان تشفع فينا اليه . فطلب الانسان منها اولاً ثم سألها ثم التمس ثم استغاث ثم توسل ثم عبد . وهكذا كانوا يدخلون في عبادة الاوثان

اما المحكوم عليه بالزهرة ان يعيش بين أولئك الامم فان عاش صالحاً خلص بصلاحه وان عاش طالحاً حكم عليه بحسب تلك الشرائع التي كان خاضعاً لها

واما الذي ولد في أماكن لادين فيها ولا شرائع فيخلص بصلاحه ان

عاش صالحاً والا فيحكم عليه بقدر ادراكه فاذا أثم وكان لا يقدر الاثم عذر والله سبحانه وتعالى رؤوف بعباده

الفصل السابع منه

في التقمص

وقلت لوالدي ماهو التقمص وما رأيك فيه فقال لقد ذهب بعض البشر عندكم انه اذا خرجت روح الانسان من الارض غير مبررة أدخلت بعد خروجها من جسم الانسان في جثمان حيوان عقاباً لها وهذا المذهب لم يقل به الأكثرون الا ان الذين قالوا به أرادوا ان يهددوا الناس ويخوفوهم لانه يكره لديهم ان تحل ارواحهم في جسوم الحيوان وأرادوا ايضاً ان يصونوا الحيوان من جور الانسان رحمة منهم فيرفق به ويحسن اليه

الفصل الثامن منه

في التشاؤم

وقلت لوالدي ما ذا تقول في التشاؤم فاني أرى كثيرين يعتقدون الى يومنا هذا ان الدار الفلانية مشئومة فمن اقام بها مات أوخرج منها مفلساً او مصاباً بولده أو بزوجته مثلاً او توالت عليه المصائب وتتابعت النوائب. فقال هذه أباطيل وخرافات نهى الله تعالى عنها وقد ردها العقل السليم لان النوب التي تنتاب البشر لم تخصص لها اماكن للانتياب . فلا بد والحالة

هذه من ان تصيب الناس وهم بديارهم التي يأوون اليها فاذا تكررت المصيبة فليس من الحكمة ان تتطيروا منها وترموها بالشؤم

اننا لا نتشاءم في الزهرة ولا نعتقد انه من الممكن أن يشأمنا أحد ولا نعرف الشؤم ولا الاجام (١) ولا الخثارم (٢)

اما مصدر هذه الخرافة فهو اجدادكم الاولون اولئك القبائل الرحل الذين كانوا اذا ضاقت عليهم ارضهم أو امحلوا واجدبوا رحلوا واخذوا ينتجعون (٣) فاذا اضطروا الى النزول بارض قليلة الكلاء رديئة الماء خبيثة الهواء أنفضوا (٤) وأرملوا (٥) واصيبوا بكثير منهم ومن مواشيهم لسوء عيشهم وجهلهم فيرحلون وقد اشاعوا في حلهم وترحالهم ان تلك الارض مشئومة . وبالعكس فانهم اذا أصابوا ارضاً كثيرة المراعي والغدران طيبة الماء والهواء طابت نفوسهم وسمنت مواشيهم ونمت فيقولون هذه أرض مباركة

فقلت يعتقد بعضهم ان من انشأ داراً من مال الظلم كانت مشئومة عليه

فقال لا يبعد كثيراً أن يكون كذا لان الله تعالى قد يعاقب في الارض أيضاً ويسمى هذا العقاب « العقاب الارضي الاضافي » وهو ايضاً العقاب الذي يكون من نفس العمل . ولكن الدار لا تكون مشئومة على غير منشئها

(١) الاجام ما يتطير منه (٢) الخثارم الرجل المتطير (أي المتشائم من الشيء) (٣) تنجع القوم وانتجعوا ذهبوا لطلب الكلا وهو العشب (٤) انفض القوم ارملوا أو هلكت اموالهم وفنى زادهم أو أفنوه وحقيقته صاروا بحيث نفضوا مزاودهم . وأرمل القوم نفد زادهم وافتقروا وهو مأخوذ من الرمل كما يقال ادقعوا من الدقعاء اي التراب . وارملوا زادهم انفدوه يتعدى ولا يتعدى (٥) ارمد الرجل افتقر والقوم محلوا وهلكت مواشيهم .

وهذا لا يعد شؤماً بل عقاباً الا ان الله تعالى لا يعاقب بالموت في الارض لان مدة الانسان بها يعينها في الحكم وهو اذ ذاك بالزهرة

فقلت له اذا كانت مدة الانسان معينة كما أبنت أي لا تزيد ولاتنقص فلا فائدة من التطبب فقال ان التطبيب لا يدفع الموت وقد وضع الله تعالى وصايا لحفظ الصحة ﴿ هي الطب الشافي ﴾ لكي يكون الانسان معافى في مدته المعينة

غير انه يستثنى العقاب الا رضي الموقوت . والعاجل فالذي يجر العلة على نفسه بعدم تحفظه وبمكابرته في عدم هربه فتسري اليه وتضر يعاقبه الله هكذافتنبه انالله تعالى يعلم بسابق علمه ان اهالي مدينة كلكتا مثلاً يعرضون نفوسهم ونفوس غيرهم لتهلكة الوبأ وهم لا يكترثون له ولا يدققون في منع العدوى فيميت حينئذ كثيراً منهم لينتبه المقيمون بمدن اخرى فيقل الموت وبذلك تتم مدات المعاقبين المقيمين بالارض . اما اولئك الذين أميتوا فهم الاولى انتهت مدتهم المعينة لهم والذين عفا الله تعالى عنهم وخلصوا من عذاب الارض

وقال ومن هذا القبيل يعاقب الله تعالى أيضاً بالمرض في بعض الاحيان . مثلاً ان زيداً وخيم والوخامة تضر به وتضر غيره وهو لا يريد النظافة وقد أمر بها فيعاقبه الله بنفس عمله وذلك ان يسمح بمرضه الموقوت تنبيهاً له ويجعل دواءه النظافة اي المنظفات والمطهرات فيتعظ به غيره . اما حفظ الصحة بتناول بعض العقاقير المختبرة فمفيد كما مر بك



الفصل التاسع منه

﴿ في المتوهين والمشعوذين ﴾

وقلت لوالدي ما تقول بالمتوهين والبله فقد رأيت كثيرين من الناس يكرمونهم تكريم اولي الكرامات والمعجزات . فقال ان العقلاء والاتقياء ذوي المحامد والمناقب أمروا من قديم الزمان باكرام هؤلاء المساكين والرفق بهم رحمة لهم . فزعم بعض الذين طابت سريرتهم ان في كل واحد منهم سراً من اسرار النبوة

ولولا هذا الزعم منهم لقست قلوب كثيرين على هؤلاء القاصرين فأهملوا وظلموا بالاهمال لانهم عاجزون لا يستطيعون ان يحصلوا على قوت يومهم . غير انهم ليسوا على شيء من الكرامات

أما الذين يعتدون على الناس ويأتون المنكر في الازقة والشوارع فهم غير مدركين

احذروا الحازين (١) والمشعوذين والمفائلين (٢) الدجالين الموهين المدعين علم الغيب ليستعينوا به على كسبهم خدعة منهم فانهم يضلون ويغوون من ضعفت نيتهم ويسلبونهم اموالهم بادعائهم علم الكيميا اي انهم يحولون بعض المعادن الى بعض وعلى الخصوص جعل النحاس ذهباً

ولقد رأيت منهم فسقة ظالمين يستخلون المغفلات ليخرجوا لهن الكنوز على وجوههن فاذا خابت لهم الامال كن سطوا عليهن لعنهم الله

(١) الحازي الذي ينظر في الاعضاء والغضون متكهناً (٢) المفائل اللاعب بالفأل . والفأل ضد الطيرة

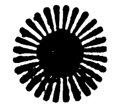
لايعلم الغيب أحد في الارض ولا يعلم أين الاركزة أي الخبايا المدفونة فاذا نقل اليكم أن رجلاً من أولئك الدجالين أصاب في شيء فقولوا اذا صدق النقل تلك حيلة استنبطها ليخدع بها أو مصادفة عرف بمكره ودهائه كيف يستفيدها

ولك دليل على بطلان تلك الاباطيل والترهات هو انها لا تروج ولا تكثر الا بين المساكين الذين غلبت عليهم سلامة الصدور في الجهات التي لم يزل الجهل ضارباً بها خيامه . فكلما تنورت الامة بانوار العلوم والمعارف واتسعت مداركها نبذت تلك الاكاذيب والاضاليل حتى أصبحت اليوم في كثير من البلدان أساطير الاولين . فعليكم أن تقتدوا بأولئك الذين كشفوا عن بصائرهم غشاوة الجهالة فلم يسلطوا على عقولهم روايات المبطلين وحكايات عجائز الحي المخيفة الهائلة

ومن الدجالين من هم أشد مكراً وأكثر دهاء من غيرهم فيقولون اننا لا نعلم ما سيكون لانه لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وحده فقط وانما نعلم ما هو كائن الآن فلا تصدقوهم وكذبوهم أوخطئوهم لانهم لا يعلمون انهم لا يعلمون شيئاً

وقد قال لي بعض مهرتهم « هي حرفة نستعين بها على الرزق والقوت والا استقتنا الناس (١) فنسأل الله تعالى ان يغنينا عنها » اني انصحكم ان لا تتلاهوا بها لئلا تضلوا

(١) استقاته سأله القوت



الفصل العاشر منه

﴿ في الكافر والمكابر ﴾

وقلت لوالدي من هو الكافر فقال الذي يعرف الله سبحانه وتعالى وينكره ويكفر به . فقلت له ماذا يجب ان نفعل به فقال لاطفوه وآنسوه وأحسنوا اليه ولا تنفروه الى ان يهتدي ويرعوي عن ضلاله ومكابرته . فقلت له واذا كان يحفظ وصايا الله تعالى ولا يذكره . فقال اصبروا عليه واقنعوه بحسن اعمالكم وقوة حججكم وبراهينكم فانه لا يموت الا محباً لله جل جلاله مؤمناً به لانه من المقرر ان الذي يحب شيئاً لا يكره صانعه بل يحبه وخصوصاً اذا كان ذلك الشيء المحبوب حسناً مفيداً . فكيف يحب وصايا الله ويحفظها لانها تعود عليه بالخير والنجاح ولا يحب واضعها والآمر بها رحمة للناس ورأفة بهم وهو تعالى لا يرجو من الذي وضعها له عوضاً ولا بدلاً . انه يحب الله تعالى باطناً وسيحبه ظاهراً أيضاً

ثم قال والدي . فاذا قال هذه قواعد وقوانين طبيعية وجدت في الناس منذ خلقهم فلم يضعها الله تعالى ولم يأمر بها فقولوا له لو كانت طبيعية لما أكره الانسان على اتباعها والعمل بها . ولما قتل . ولما زنى . ولما سرق ولما شهد عند الحاكم لصاحبه على غريمه بالكذب والزور . ولما ولما

فاذا قال لكم ان لي عقلاً اعرف به خيري من شري يأمرني بالصلاح فلا احتاج الى الايمان فقولوا له انك حينئذ تنهى عن المعاصي جهراً وتأتي اعظم منها سراً

فاذا قال لا فقولوا له اذاً انت دين مؤمن تحب الله تعالى وقد أخذت الدين عنه وانت لا تدري . غير انك اذا لم ترعو عن كبريائك وانكارك نعمة الله تأثم

ما ذا يضر بك اذا أقررت بفضله وبدينه . أتطلب لنفسك العظمة والافتخار بعقلك وسدادك على زعمك . ألا تعلم أولاً ان التعظم اثم وألا تعلم ثانياً ان عقلك هذا الذي تنافس فيه هو هبة لك من عندالله سبحانه وتعالى أتعتقد أنك أوجدته لنفسك لا . أتعتقد أنه وجد من نفسه لا . انك تجاوب وقد حرت ان الطبيعة أوجدته لي . أتعلم ما معنى هذا الجواب معناه أنك عجزت وعييت فكابرت وحاولت تكبراً منك وتجبراً ولم ترد أن تظهر عدالتك وتزكي نفسك بشرف اقرارك

أجب ياهذا من أوجد الطبيعة وما هذه الطبيعة . مالك لا تجيب انك لا تحب ان تقول ان الله تعالى أوجدها لئلا يقال انك اخطأت فغلبت

يا للعجب انك تستحي ان تنسب اليك المغلبة وحدها فكيف يهون عليك ان ترمى بالغلبة والجهل والكبرياء والمكابرة والمحاولة وبالالحاد أيضاً

يجب على الرجل العاقل المنصف ان لا يجتهد في تأييد خطائه اذا برح له الخفاء ووضح الحق وانجلى الصواب وعلى الخصوص في الدينيات وعليه ان يذعن حالاً لليقين ويقر به مصرحاً فيحسب اقراره علماً منه لا جهلاً وقوة لا ضعفاً واقتداراً لا عجزاً

ما احلى قولك لا أدري في مسألة لم تقف عليها ولم تدرك سرها ألا تعلم ان هذا القول يحفظ كرامتك . لانك اذا أجبت وخبطت عرضت نفسك للاهانة. وهذه العادة المستهجنة متمكنة من كثيرين يجتمعون لحل معضلات

يتوقف عليها صلاح امة أو فسادها فيجتهد الرجل منهم في اثبات رأيه بفصاحته وبلاغته مع انه على ضلال وهو يعلم ضلالته بعد ذلك فلا يريد ان يقلع عنها خوفاً على منزلته على زعمه لئلا يقال عنه تكلم فلان فلم يصغ اليه لان فلاناً أفسد عليه رأيه وغلبه بقوة حجته وحسن برهانه

فيبعث حب الذات والكبرياء والحسد هذا الضال المكابر على المماحكة في الحاجة الى ان ينفرط سلك الجمع اما بخصام ونزاع عظيمين لهما تأثير شديد على الامة واما بضياع الوقت في الجدال فلا يتفقون فتفوت الفرصة وهنالك الضرر العظيم

فانصح هؤلاء المكابرين ان يجتنبوا كل اجتماع خصوصي وعمومي لئلا يتمكن منهم حب المقاومة والمخالفة فيصير فيهم عادة يشتهرون بها فيفقدون منزلتهم ويضرون اخوانهم ضرراً لا أعظم ولا أشد منه

ليعلم هؤلاء المكابرون والمقاومون ان الذين يدعونهم الى بعض المجالس يريدون منهم ان يستعينوا بهم على الشر والضلال

الفصل الحادي عشر منه

﴿ في النجس ﴾

وقلت لوالدي يقولون هذا الشيء نجس وانا أراه نظيفاً نقياً فلماذا هذا وماذا يريدون بالنجس . فقال كل قذر وخيم وكل عفن . وكل آجن (١) آسن وجب اجتنابه على التعميم وكل شيء تأباه نفسك وينفر منه طبعك

(١) أجن الماء تغير طعمه ولونه وقيل رائحته وقيل غشيه الطحلب والورق فهو آجن وأجن وأجون . أسن الماء تغير طعمه ولونه وريحه فهو آسن

ويرده ولو أكره عليه وجب اجتنابه على التخصيص حتى الدواء

وكل شيء حسن الظاهر قبيح الفعل وجب اجتنابه كالخمر بفعلها فانك اذا نظرت عصير العنب المخمر وجدته نظيفاً حسناً فاذا اسكر في شربه وظهر فعله وهو الاضرار بشاربه في ماله وسمعته وجب الامتناع عنه . فلما ولع الناس به وأدمنه بعضهم وخشي ان يعم ضرره انكره الانبياء والرسل. فبعضهم حرمه على مدمنيه وبعضهم حرمه تحريماً عاماً . فلوكانت الخمر في قوم لا يتغيرون بها لما حرمت عليهم

والدليل على ان الشيء اذا قبح فعله منع هو ان الخمرة اذا استحالت وخللت اي اذا حمضت وفسدت زال المنع وذلك بزوال فعلها وهو الاسكار مع انها تحولت من حالة الى ادنى منها اي من الصلاحة الى الفساد

الفصل الثاني عشر منه

﴿ في التوجع والطلق ﴾

وقلت لوالدي لقد جاء في اول سفر التكوين من التوراة العظيمة ان الله تعالى عاقب حواء بجعلها تحبل وتلد بالاوجاع لانها لم تأتمر أمره تعالى وقد انتقل هذا العقاب الى جميع النساء فهل يفهم من هذا ان المرأة من طبعها تحبل وتلد من غير تألم فلما عصت عوقبت بالتوجع . وقلت أيضاً اني ارى انثى الحيوان تتألم حينما تنتج فهل حكمها في ذلك حكم حواء . فقال لابد لاناث الانسان والحيوان من هذا العذاب إلا انه لو لم تخالف حواء لأنعم الله سبحانه وتعالى عليها بان لا تتعذب كما انعم على نسائنا في الزهرة ليمتزن عن اناث الحيوان

الفصل الاول من الباب التاسع

﴿ في الارض وقدمها ﴾

وقلت لوالدي اني اسمع كثيرين من العلماء يقولون ان الارض قديمة اقدم من التاريخ الذي يلوح في التوراة ويقولون ان الانسان وجد قبل ذلك الزمان ايضاً فماذا ترى. فقال لقد صدقت التوراة العظيمة ولقد اصاب علماؤكم لان الله تعالى كان خلق الارض وانزل اليها جماعة من الزهرة وذلك منذ احقاب ودهور غاية في القدم . غير انه رأف بعد ذلك بعباده المعذبين في الارض فعفا عنهم عفواً عاماً وأمر فصدمها احد البروج فاحرقها في طرفة عين فخرجت النفوس منها الى الزهرة

اما المعذبون في زحل فلم يعف عنهم الى الآن . وبعد أدهار عاد سكان الزهرة الى الخطيئة فأنزلهم الى الارض بعد ماجعلها صالحة لعيش البشر ثم عفا عنهم ايضاً وهكذا الى عهد آدم وحواء وسوف يعفو عنهم بمنه وكرمه

الفصل الثاني منه

﴿ في كيف خلق الله تعالى الخلق ولماذا ﴾

وقلت لوالدي كيف خلق الله تعالى الخلق ولماذا . فشزرني (١) حتى خفته ثم قال لقد تعودتم ياسكان الارض مثل هذه السؤلات الدالة على

(١) شزره واليه نظره منه أى من نفسه في أحدى شقيه أوهو نظر فيه اعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين أو النظر عن يمين وشمال

فحتكم وجهلكم القطيع لانكم لم تقدروا قدرة الله تعالى وحكمته وسموه فكأنكم تزعمون انكم تضاهونه ولهذا تريدون ان تدخلوه في فلسفتكم

ما ذا تقولون اذا اجتمعت الحيوينات الحقيرة وأخذت تبحث عن حالة الانسان ألا تهزأون بها وتعجبون من حمقها . أنا لا أعلم ولن أعلم ولا أريد ان اعلم كيف ولماذا خلق الله تعالى الخلق ولا يوجد في الزهرة رجل يحب ان يعلم ذلك ثم سكت وبعد هنيهة قال غير اني انقل اليك حكاية بل فكاهة سمعتها في مدينة التكفير . قال زعموا ان الله سبحانه وتعالى كان جعل في الجنة اشجاراً ذوات ثمار لا تحدثهم نفوسهم بالتجاسر على وصف محاسنها ولذاتها عجزاً منهم وتأدباً . وهنالك شجرتان عظيمتان متجاورتان تسمى الواحدة «الموافقة» «والثانية» «الميل» فكان كلما هب النسيم اعتقنا والتفتا فلقحتهما مرة ريح طيبة من عند الله تعالى فخرج منهما فرع نمي وعظم حتى صار شجرة اسمها . «المؤانسة» لها ثمر احسن والذ من ثمرهما . وكان بجانبها شجرة تسمى «الود» فلقحتهما ريح ربيعية في ليلة بهية فكانت شجرة . «الهوى» لها ثمر اشهى وازهى وابهى وكان بجوارها شجرة «الخلة» (١) فالتقحتا فكانت منهما شجرة «الحب» بثمر فاق كل الاثمار

وكان قريباً من الحب ثلاث شجرات تسمى الاولى «الصدق» والثانية «العفة» «والثالثة» «التواضع» وكان الله تعالى يحب هذه الشجرات الاربع أكثر من جميع الاشجار لجودة ثمرها وبهائها الفائقين فأثرت فيها محبة الله تعالى اسمه فتحركت فصارت تنتقل من مكان الى آخر ثم تعود الى مركزها

وكانت الحركة تنمي فيها وتقوى وتشتد وهي كلما اشتدت سجدت

(١) الخلة المصادقة والاخاء.

وسبحت الله عز وجل تعظيماً وتبجيلاً فخرن سجودها لديه فلمسها ذات مرة بيمناه الكريمة فسرت منه تعالى اليها النفس العاقلة فتمثلته كل واحدة منها وتكلمت حالاً

وكان اول كلامها قولها له جل جلاله بلسان واحد « نحمدك ونشكرك ونسبحك ونعظمك ياأيها الخالق العظيم الذي احبنا فخلقنا »

قال وزعموا ايضاً ان الحب كان ذكراً والصدق انثى فاقترنا فرزقهما الله تعالى ثلاثة ذكور وثلاث اناث وهذه اسماؤهم (الذكور) «العدل» « الوفاء » «الثبات » (والاناث) «الامانة» المبرة « الاستفادة »

وتزوج التواضع العفة فرزقا من الذكور ثلاثة وهذه اسماؤهم (الاخلاص) «الشفاء» « الاقتناع » ورزقا من الاناث ثلاثاً وهذه اسماؤها (الملاطفة) «الراحة» « الرفاهية » فلما كبروا تزوج ذكور الحب والصدق اناث التواضع والعفة .وتزوج ذكور التواضع والعفة اناث الحب والصدق فكان منها سكان المريخ

الفصل الثالث منه

﴿ في قولهم خير للانسان ان لا يخلق ﴾

وقلت لوالدي ما ذا ترى في قولهم خير للانسان ان لا يخلق لانه يعاقب كثيراً لكونه رهيناً بذنبه منقاداً لاهوائه الغالبة عليه مأسوراً بشهواته المتمكنة منه . فقال ان الانسان لم ينزل الى الارض ليتنعم بها بل ليعاقب كما علمت . اما الخلق في الزهرة فلا يأثم منهم الا عدد قليل لا يعتد به بالقياس

الى كثرتهم . فهل من الحكمة ان لا يخلقوا وان يحرموا السعادة والنعيم في الزهرة والمريخ من اجل جزء منهم يسير لا يريد أن يستعين بعقله على تخفيف شهوات قلبه ورغائبها انك تجيبني كلا

مع هذا كله ان الله تعالى يعلم ضعفكم ومنزلتكم من القوة والعقل والتحمل ولذلك لم يكلفكم اكثر من وسعكم فيعاقبكم عقاباً تستحقون اشد منه واعظم . وهو تعالى لا يريد ان يمسك عنكم رحمته الى الابد فيرفق بكم ويغفر لكم اذا استعنتم به على التوبة ويسر بخلاصكم غيرانه يجب ان تحذروا الطمع برحمته وان لا تعصوه بل يلزمكم ان تنتبهوا لنفوسكم فاذا زلت بكم القدم وادركتم سيئاتكم ندمتم واستغفرتم حالاً من غير ان تؤخروا توبتكم ولا دقيقة واحدة لانه ربما كان فيها انصرام حبل الحياة

الفصل الرابع منه

﴿في قول بعضهم ان الله تعالى يخلق الحسن وينهانا عنه﴾

وقلت لوالدي ما رأيك في قول بعض المعترضين ان الله تعالى يخلق لنا الحسن وينهانا عنه مع انه فطرنا على الميل اليه والرغبة فيه . فقال ان الام توقد النار ليدفأ بها طفلها من البرد فتقربها منه ولا تبعدها عنه الا اذا مد يده اليها لانه يجهل درجة حرارتها وتأثيرها فيه فتحرقه أو تكاد وهو يبكي ويشكو جورامه لانها منعته الحسن الذي كان يتلذذ بالنظر اليه مع انه مضر به وقبيح عليه . وهكذا الله تعالى فانه خلق الحسن للانسان ليتمتع به بشرط ان يقف عند حده وان يدع الافراط . فاذا تعدى حده وافرط حرم عليه

لانه انهمك به انهماكاً ضاراً وهو لا يدري ولا يريد ان يدري . فاذا درى هون عليه هوى نفسه اقتحام الاخطار والوقوع في الاضرار فهل من الحكمة تركه على غيه وضلاله . ان الله تعالى يريد بعباده خيراً وهم لا ينتبهون

الفصل الخامس منه

﴿في قول بعضهم ان الانسان يلتمس من الله تعالى ما يحتاج اليه فلا يرد عليه﴾

وقلت لوالدي ما رأيك في قول بعضهم ان الانسان يلتمس من الله تعالى ما يحتاج اليه فلا يرد عليه . فقال لقد اتضح مما تقدم ان الله يحكم على بعض أئمة الزهرة بأن ينزلوا الى الارض ويعيشوا اغنياء وعلى بعضهم بأن يعيشوا فقراء فليس والحالة هذه من الممكن ان يجيب ملتمس الانسان وان يمنحه شيئاً حرمه اياه عقاباً له . فقلت ألا يجوز له ان يطلب منه ما يضطر اليه فقال ليطلب الأهم والالزم الا وهو العفو والمغفرة بالتوبة الصادقة وليلتمس منه ان يصونه من عذاب القتل وغيره وليسأله أن لا يسمح بعذابه حين خروج نفسه من جسمه . اليس ما ذكر أهم مما يضطر اليه الانسان في ايامه القلائل في الارض التي تقيمون بها كما يقيم الراحلون حينما يعرسون (١) الى ان يبلغوا المدينة التي يقصدونها ويقيموا بها ولعلكم

(١) يعرسون أي ينزلون في السفر في آخر الليل

تعودون الى زلزكم وهو الطريق الذي جئتم منه فتسعدوا وتنموا . ان الله تعالى لا يتخلى عنكم فلماذا لا تسترحمون

الفصل السادس منه

﴿ في قول بعضهم إن الله تعالى يحكم على زيد مثلاً بأن يفتقر بعد غنى وعلى عمرو بان يغنى ولا يفتقر ﴾

وقلت لوالدي مارأيك في قول بعضهم ان الله تعالي يحكم على زيدمثلاً بأن يفتقر بعد غنى وعلى عمرو بأن يغنى ولا يفتقر . فقال اذا عاش الغني ظالماً سالباً اموال غني مثله فأفقره واذاأ كل اموال اليتيم والايم والارملة يعاقبه الله تعالى عقاباً ارضياً يضيفه الى عقاب الزهرة وهوان يفقره ليكون عقابه من نفس عمله مع ان الغني الذي افقره ذلك الغني كان محكوماً عليه في الزهرة ان يفتقر في الارض فلم يتسلط عليه الغني والحالة هذه في الحقيقة ولم يفقره هو وبيان ذلك ان الغني الظالم أرادت نفسه الظلم وهو من الحاسدين وقد ابصر بين يديه كثيرين من الاغنياء (المحكوم عليهم بالفقر بعد غنى) فأفقر احدهم اي كان سبب فقره بغدره ومكره او ببطشه ونفوذكلمته

واذا دققت وبحثت عن ثروات بعض أولئك الذين اعتدي عليهم فافتقروا ادركت شيئاً من حكمة الله تعالى وعدله فاذاقلت رأيت كثيرين من الاغنياء يفتقرون وهم لم يظلموا ولم يعتدوا قلت لك ألم اذكر ان الفقر عقاب من عند الله تعالى في الزهرة

واني أزيد على هذا واقول ان كثيرين من البشر عندكم يتزيون بازياء

العادلين وهم ظالمون وانتم لا تعلمون . ان الله تعالى يعلم الخفيات وما في تلك القلوب والضمائر الرديئة المضمرة الغدر والشر وهي ترقب الفرص لتفترصها . فهؤلاء يعاقبون ولو لم يستطيعوا ان يفقروا غيرهم لانهم ارادوا واصروا فما استطاعوا

اما بعض الصالحين الاتقياء الذين يفتقرون بعد غنى وهم قليلون فانهم اذا لم يكونوا أضاعوا ثروتهم بتغفلهم وتوانيهم فقد اضاعوها بالبخل والطمع وهم لا ينتبهون كالذين يجلبون بضاعاتهم ويرسلونها من غير ضمان فتغرق أو تحترق أو تفقد الى غير هذا . دقق وتعقب تجد سبباً بل اسباباً . ان الله تعالى قد يحكم في الارض بالافتقار بعد الغنى ولكن للسبب الذي يجره المفتقر على نفسه وذلك ليعتبر الناس وينتبهوا

وقلت لوالدي سمعت كثيرين يقولون نرى باراً يشقى وشريراً ينعم فما الحكمة في هذا فقال ألم تعلم مما مر بك ان البار المقيم بالارض كان حوكم في الزهرة فحكم عليه بان يشقى بسجنه الارضي فان عاش صالحاً عاد الى الزهرة بعد نهاية ايامه . والشرير قد حكم عليه بان يسر في الارض لان ذنبه كان في الزهرة أخف من ذنب البار فاذا عاش طالحاً عوقب فيها أيضاً بعد خروجه من الارض كما علمت

الفصل السابع منه

﴿ في قول بعضهم ان الانسان ضعيف تستعبده شهواته ﴾

وقلت لوالدي ما رأيك في قول بعضهم ان الانسان ضعيف تستعبده

شهواته فلو خففها الله تعالى لكان تخفيفها ارحم له . فقال يترتب على ذلك ان يخلقه مقيداً غير مطلق الارادة وغير حر ايضاً فيعد من المتوهمين الذين لايحاكمون ولا يعاقبون كغيرهم فلا يستدل به على عظمته تعالى وقدرته . فقلت له لقد ظهر من كلامك ان الانسان مطلق الارادة . فقال اذا اراد الانسان بنفسه خيراً دله الله تعالى عليه واذا اراد بها شراً نبهه ونهاه عنه . فاذا لم يطع تركه على عصيانه . فلو منعه لم يجعل له فضلاً واجراً في الطاعة وكسر الارادة وزجر النفس الامارة بالسوء

الفصل الثامن منه

﴿ في كشف السر والختام ﴾

وقلت لوالدي كم سنة كان عمرك لما أنزلت الى الارض فقال كان مائتين وخمسين سنة . فقلت وكم عاماً كان عمرك حينما تزوجت في الزهرة فقال ستين . فقلت له بكم زوجة اقترنت فقال بواحدة هي ابنة عمي فقلت له ألك أولاد كثيرون فقال عندي خمسة من الذكور وخمس اناث

ثم قال ان أنجالي الاربعة المقيمين بالزهرة تزوج منهم اثنان . أحدهما وهو الاكبر له بنتان في الارض وهما الفتاتان اللتان أحببتهما في وقت واحد وأردت الاقتران بأحداهما وأنت لا تعلم أيتهن تختار وبعد ذلك تركتهما واقترنت ببنت عمك الاصغر المقيم الآن بالزهرة وقد زعمت على حسن ودادك وصدق وفائك واخلاصك الحب لهما أنك مسيء اليهما لانه لايسمح لك ان تحب عاشقين في وقت واحد . والحكمة في ذلك هي ان العادة في

أسرتنا بالزهرة ان لا يبني الرجل على ابنة شقيقه وان لا يعرس (١) ببنت شقيقته فهذه هي الحقيقة التي خفيت عليك . واما شقيقك الاصغر المتزوج فله بنت في الارض وهي التي احببتها بعد تزوجك

فلما سمعت منه هذا الكلام عجبت ودهشت وسبحت الله تعالى على حكمته الفائقة التي لا تدركها عقولنا ثم سكت . فقال سلني فقلت التمس منك ان تعلمني أين الآن شقيقتي الصغرى وبناتي الثلاث فقال في الزهرة. فقلت اشتهي ان تحضرهن لي الآن فقد اشتقتهن اشتياقاً اذابني أو كاد فقال بأية هيئة تريد ان تراهن أبمثل هيئتي هذه ام بهيئتهن الطبيعية في الزهرة فقلت احب ان اراهن كما هن الآن . فغاب هنيهة ثم عاد وفي يده غشاوة (٢) سوداء فوضعها على وجهي وقال انك تستطيع بهذا الستار ان تنظر اليهن فلا خوف على عينيك من نورهن وبعد هذا قال (اسرعن) وقبل مضي دقيقة رأيت اربع فتيات ما لحتهن إلا مسني الخبل وانعقد لساني وسكنت جميع حركاتي وصرت كقطعة من جبل راسخة لا حراك بها وشعرت للحال انه ليس في عيني قوة يمكنهما بها ان تبصرا حسنهن وعلمت ان جمالهن شيء آخر لا يشبهه جمالنا وادركت ان جسمي اضعف من ان يتحمل هذا المنظر الذي هو فوق حواس سكان الارض فاحتقرت نفسي وصرت اراني كبعوضة حقيرة واما مطرق خجلاً واستحياء

اما هن فتقدمن الي ووقعن علي يقبلنني فطابت نفسي وعاد الي نشاطي وقوي قلبي وعقلت ان بين يدي من لا يجب ان استحي منهن فجعلت اقبلهن واضمهن الى صدري وانا اقول لقد غلبني شوقي انا الضعيف فلا اقوى على

(١) بنى عليها أي دخل وكذلك اعرس (٢) الغشاوة الغطاء

الافصاح عما اكابده من لوعات الفراق آه ما احرها فان لها ناراً شديدة الاضطرام تحرق قلبي ولكنها لا تريد ان تفنيه لانجو من عذاب اليم

لقد ذهبتن الى النعيم حيث السعادة وانا مقيم بالارض أعاني مصائبها ونوائبها وازاول مخاوفها ومصاعبها واقاسي بلاياها وامارس رزاياها واتجشم شدائدها واتكلف مكارهها واتحمل مكايدها

ان حزني عليكن شديد وقلبي منه عليل وجسمي به نحيل فيا أملي خذ بيدي وياصبري قوني ويا ربي لا تنسني وان شئت فتداركني برحمة منك

فقلن لي بصوت واحد اننا نسأل الله سبحانه وتعالى كل يوم ان يرحمنا بك وبوالدتينا فانتم غصتنا ولا نسأله ان يقصر ايامكم في الارض لان حكمه لا يتغير

لا نسألك عن والدتينا واخوتنا لاننا اعرف منك باحوالهم وانما نسألك ان لا تسأل عنا فاننا بخير من الله تعالى . كل شيء في الزهرة حسن وكل شيء لذيذ . لا نشكو الى الله ضيماً ولا ألماً . غمنا على فرقك اقل من غمك على فراقنا لاننا نعلم انك ستعود الينا فتب الى الله التواب العظيم لئلا تكون ايامك في مدينة التكفير طويلة

اننا نحب ونشتهي ان تكون معنا الآن في الزهرة ولكن الله العادل لا يحب مانحبه ونتمناه فاذا يجب علينا ان لا نحب مالا يحبه الله لاننا نحبه لانه خالقنا

فلما فرغن من كلامهن قلت لوالدي ألا تأذن لهن بان يتزوجن فقال انهن لا يتزوجن الا بعد ان يرجع الى الزهرة آخرجين في الارض من أقاربهن

أما هيئتهن فقد رأيتها تختلف كثيراً عن هيئتنا نحن سكان الارض . إني رأيت لجسمهن لوناً يأخذ حسنه بالقلوب والعقول وهو نوع من الزرقة البهجة

التي تؤثر في الابصار . ولشعورهن لون الطف من الفضة وهي تلمع لمعان البرق وأعظم

وبعد ربع ساعة قبلني وقبلتهن ثم ذهبن فقال والدي أتريد ان تسألني فقلت بقي علي سؤال واحد وهو كم سنة أعيش في الارض

فاجاب اني لا استطيع ان اطلعك على المدة المعينة وانما استطيع ان اطلعك على امر يسرك وهو انك ستكون قاضياً في مدينة القضاة

ثم قال اوصيك بأن تتوب توبة كاملة لتنجو من عذاب الاحتضار واوصيك ايضاً بأن تجعل الكلمات الاربع نصب عينيك واحب واشتهي ان اكررها لك وهي «المحبة» . «العفة» . «التواضع» . «الصدق»

وفي الختام اوصيك بأن تثبت كل ما سمعته مني في كتاب تطبعه لتتم فائدته . فقلت اني اخاف ان لا احفظ واذكر كل ما ذكرته وسردته فقال انا اعلم انك لا تنسى باذن الله تعالى شيئاً . ثم قال اني اريد ان لا تكتب بلغة عالية كما يفعل اكثر كتبة العرب فيحبسون تآليفهم عن العامة مع انها اولى بها من الخاصة . فقلت اخشى ان اجمع بين العامي والفصيح فلا ادرك الغاية . فقال اكتب الكلام والعبارات التي دارت بيننا نفسها وهي لغة قريبة الفهم ماخلا بعض كلمات لا بد منها فاجعل لها شرحاً

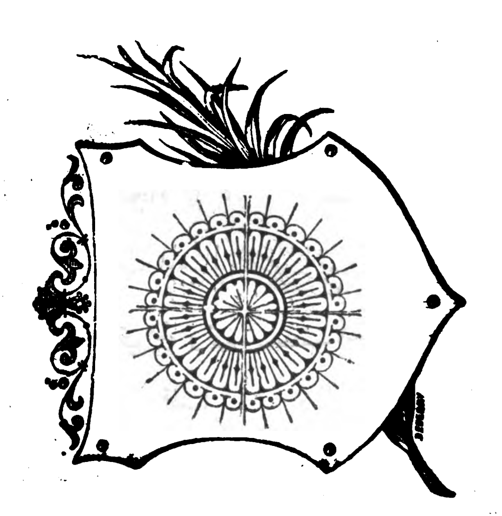
ثم قبلت يديه فباركني وضمني الى صدره وغاب كأن غمامة وارته وانا اقول له ألا تحضر علي مرة ثانية فسمعته يقول «اذا شاء الله تعالى حضرت» فانتبهت والليل مظلم اقول اللهم زدني ايماناً وتداركني برحمتك ثم اخذت اتأمل واقول في نفسي .اهذا ياربي أكل هذا منام ان في الامر لعجباً . ثم شرعت اكتب هذا الكتاب حتى تم باذن الله تعالى فأسأله ان يغفر لي ذنوبي

وان يخفف عني سكرات الموت ويختم لي الخير لأتقرب اليه بالمحبة .

صرت بالدنيا خبيراً فلذا أعرضت عنها
احسن الساعات عندي حينما اخرج منها

﴿ تم الكتاب ﴾

لقد قضت علينا العجلة ان لا نهتدي الى الخطاء فالمرجو
من ارباب الصواب ان يمهدوا لنا بفضلهم
عذراً وخير الناس من عذر



لقد تفضل عليَّ سادتي العلماء الاعلام والشعراء المجيدون بهذه التقاريظ فرتبت أسماء حضراتهم على الحروف الهجائية وأنا أشكرهم على تفضلهم

قال حضرة اللوذعي الأريب والشاعر المجيد السيد ابرهيم افندي الكيالي

ان هذا الكتاب سفر جليل · للنهى في آياته تفصيل
جاء في منتهى البلاغ فاضحى · وله في فم العلى ترتيل
زان جيد الايام بالادب الغـ · ـض ولولاه شانه تعطيل
قد تحلت هام العلى بحلاه · فهو في هامة العلى اكليل
لو تلاه بقراط نثراً ونظماً · قال صح التركيب والتحليل
فهو روض داني القطوف وكأس · للندامى مزاجها زنجبيل
غاية الفضل في البداية أبدى · وله في النهاية التفضيل
به قرت عين الودود وعنه · رد طرف الحسود وهو كليل
ان هذا سحر حلال لعمري · صاغه ابن الصقال ميخائيل
اللبيب الاريب والشاعر المفـ · ـلق والجهبذ الجليل النبيل
أعرب اللفظ عن حجاه كما أعـ · ـرب عن جوهر الحسام الصليل
يا ابن صقال مرهفات المعالي · أنت سيف لدى الفخار صقيل
كن عذيري على قصوري فشعري · في قصور والطول منك طويل
وجزيل الثناء مني قليل · وقليل لك الثناء الجزيل
واذا المدح كان دون المعالي · فسواء كثيره والقليل

وقال حضرة العلامة المحقق والفهامة اللغوي المدقق الشاعر الناثر
السيد الشيخ بشير أفندي المعروف بالغزي

ما روضة أنف تضوع رندها نشراً بآنق من كتاب الغايه
أبدى مؤلفه بديع بدائه وأجاد فيه بداية ونهايه

وقال حضرة القانوني المدقق والشاعر المرق الالمعي المفضال



﴿ جورجي افندي الخياط ﴾

اليكم يابني الاوطان سفراً تفرد في معانيه الرشيقه

فحيا الله صقال المعالي لقد وشاه في حلل أنيقه
أجل أنشا البداءة للبرايا وأبدع في نهايتها الدقيقه
كتاب قد وعى حكماً فكانت لتثقيف الورى نعم الطريقه
فان صبت النفوس اليه طبعاً فلا عجب وقد شاموا بريقه
سيبقى ذكره في الناس حياً بغايته التي حوت الحقيقه
وخير الناس من للناس يهدي معارفه لتهذيب الخليقه

وقال حضرة الاريب والشاعر الاديب حبيب افندي العبديني

هلموا يا أولي الالبا ب من عجم ومن عرب
خذوا من فضل صقال الا قرائح أفضل الكتب
فكم علم وتاريخ له في الشرق والغرب

سنة ١٩٠٧

وقال حضرة العالم الاريب والذكي الاديب كاتب زاده الشيخ زكي أفندي

كتابك يا ابن صقال كتاب جليل حاز فضلاً كل غايه
لقد أضحى المطالع عن سواه غنياً في البداية والنهايه

وقال حضرة العالم الفاضل والشاعر الاديب عبد
الكريم افندي الترمانيني

كتاب به الآداب أشرق نورها فأصبح شكلاً في البيان بديعاً
تحار له الالباب عند سماعه ويحلو مذاقاً اذ أجيد صنيعاً

﴿ وقال حضرة الاديب الكاتب العصري والشاعر الاديب ﴾



عبد المسيح بك الانطاكي

سرح عيونك يا أخا البلبال ... في الكون تصبح في نعيم البال

واذا تضيق الارض فيك بما بها ... من متعب الاشغال والاعمال

فأرح فؤادك من متاعبها ومن ... أهوالها الكبرى بجمع الملل

واذهب الى المريخ واصحب أهله ... حيناً وجز بسهوله وجبال

واقصد رجال الزهرة القوم الاولى ... سادوا تجد منهم كرام الآل

أوسر الى القمر المنير ولا تخف ظلماته فلقد غدا متلألي

واركب الى هذي الكواكب مركباً رغداً وطر فيه بجنح خيال

واقض السياحة بالهناء ممتعاً ان كنت لم تبخل بدفع « ريال »

لترى هناك فوائداً مسطورة وفرائداً وفكاهة وأمالي

هي غاية الغايات من هذي الحيا ة فقد حوت لذات كل كمال

صقلت بتحبير الاديب الكاتب الا أستاذ ميخائيلنا الصقال

أبدى لنا من معجزات بيانه وبديع ما أنشا عقود لآلي

لو انها وضعت على جيد الزما ن غدا بها جيد الزمان الحالي

لله درك يا ابن صقال فقد أبدعت في حسن الخيال العالي

ووصفت للانسان كيف يعيش في التقوى ورغد العيش والاجلال

وأريتنا ما في الحياة من المصا عب والمتاعب في رقيق مقال

أثني عليك بكل ما سطرته بلسان أهل العلم والافضال

فبك ازدهت حلب وأنت فخارها ما فاخرت وزهت بخير رجال

وقال حضرة الاديب الاريب والشاعر البارع عبد الفتاح

افندي الطرابيشي

الى الغاية القصوى نجد ونذأب وفي بدئها نلقى النهاية تعجب

ونلتذ بالافكار علماً لما بها عن الفلك السيار ينبي ويعرب

اذا رمت تدري ما يقال عن الفضا وما فيه من اسمى المقالات تسهب

وكيف به تجري الكواكب دائماً بحسن انتظام لا يخل ويضطرب

عليك بتأليف الهمام اخي العلى ابي الفضل ميخائيل من فيه نعجب
فذاك كتاب فيه كل مقولة تلذ بمعناها الغريب وتعذب
كتاب جليل عز في العلم مثله يحق له في الطرس بالتبر يكتب
تسامى بفكر الكامل الفاضل الذي له في ذرى المجد المؤثل منصب
عظيم على أوج المراتب قد علا بفضل عظيم نوره ليس يحجب
رأيناه شهماً للكرام محبباً وكل امرئ حاز الكمال محبب
فنور حجاه كم ازاح دياجراً عن العلم للراجي الذي راح يطلب
اخو فطنة لو حاز معشار عشرها باقل لاضحى بالفصاحة يعرب
ولا غرو ان نال الفصاحة والحجى لان شبيه الشيء للشيء يجذب
وفي الغاية القصوى بداية فضله نهايتها تسبي العقول وتسلب
ابانت بهذا اليوم عن فضل ذاته وما لذكاه الفرد قد بات ينسب
تخال اذا اجرى اليراع بكفه سحاباً بماء العلم يهمي ويسكب
ففي النظم والنثر البديع بدا له قلائد في جيد العلى تترتب
نجيب غدا يهوى الفضائل والعلى وما كل من يهوى الفضائل ينجب
فغايته هذي لبعض علومه مثال لمن عنها من الناس يحجب
وان ننس لا ننسى مقالاته التي بسالف اجيال مضت لا تغيب
فكم اعربت عما يكن بصدره وما فيه يلتذ اللبيب المدرب
وكانت مثال الشمس تهدي بنورها لمن راح في ليل الجهالة يلعب
لك الشكر يا من بالمآثر قد سما وظلت به العليا تتيه وتعجب
لتأليف سفر معرب عن عوالم هي اليوم للمرتاد عنقاء مغرب
فلا زلت للعلم الشريف مصنفاً وفيك لسان الدهر بالمدح يخطب

وقال حضرة اللوذعي الأَريب والشاعر المتفنن



ڤيكتور أفندي الخياط

لقد ذهبت سدى همم الرجال وراج السوء في سوق الفعال
وقد رقي الذميم الى المعالي كما دخل الفساد على الخلال

بروح تمدن العصر المضر

تنافس في العلى قوم لئام تساوى النور فيهم والظلام
أناس . ما لودهم ذمام وليس من الاصابة أن يلاموا

لأن الجهل مصدر كل شر

فما التهذيب والعلم الصحيح　　سوى سنن بها الحق الصريح
فهاكم يا غواة فتى يصيح　　همام زانه الادب الوجيح
لديكم مرشد يا قوم سفري

هو السفر الذي رسم الحقيقه　　ووشحها بحلات أنيقه
كتاب من معانيه الرقيقه　　يلوح سناء غايات دقيقه
تجلت كالعرائس وسط خدر

حقائق والمجاز لها شعار　　رواشق والخيال لها خمار
يزين جمالها الاسنى الوقار　　لقد نقشت كما نقش السوار
بنقش حكمة ويراع تبر

ألا أكرم بمنشئها الخطير　　وناسج بردة الفضل الكبير
هو الصقال من حاكى الحريري　　غدا في الشعر أشعر من جرير
ولقمان الزمان بنور فكر

فهيوا يا بني الشهباء نهدي　　ثناء طيباً ككبير ند
نصد صفات سفر أي عد　　يخلد للمؤرخ صوت حمد
ويبقي للمؤلف خير أجر　　سنة ١٩٠٦

---

* وقال حضرته مؤرخاً أيضاً نشر الكتاب *

بداءة العمران تهذيب الورى　　والعلم منهاج الى النهايه
فيا بني الاوطان قد لاح سنى　　سفر غدا يسفر عن هدايه

أنشأه الصقال ميخائيل من   في الفضل والعرفان أضحى آيه
يبقي له ذكراً جميلاً خالداً   يعرب عن حزم وعن درايه
لكل قوم سفر فخر أرخوا   ولبني الشهبا كتاب الغايه

سنة ١٩٠٧

وقال حضرة العالم الخطيب اللوذعي والشاعر الناثر

قسطاكي بك الحمصي

متعت الطرف بما أطرفت وما وشيت وما طرزت وأرسلت من رائد الفكرة رسولا يستبصر منه معقولا ومنقولا فاذا هناك للخيال مسرح ومجال .

وكأنك لما تركت الحدس وهامت بالتحقيق النفس وبت تخاف خداع البصر علوت الجبال لتجلو الخبر .

فاذا دنيانا ومن فيها لك قد بسطت وظواهرها وخوافيها لك قد كشفت ومحاسنها ومساويها لك قد ظهرت بخزنت ولا حزن يعقوب ورمت حلاً للغز هذه الخطوب .

بل رمت طباً أو علاجاً ناجماً ينجع في دائها العقيم وطلبت فيها وازعاً أو شارعاً يصلح فسادها القديم فأعيتك الحيله ولم تجد وسيله .

فأصعدت الى النجم على جناح الفكر وشمت الفهم بالوهم فهان بعض الأمر .

فاذا هناك عوالم ومظاهر وخلائق ليست تحصى واذا هناك

محاكم ومتاجر ومرافق لا تستقصى وصنائع دقت عن أفهام المخلوقات الارضية وشرائع ليست من احكام المعهودات البشرية وأناس قد لبسوا أبهى ثوب من جسم الانسانيه وتعروا من ادران عيوب المشهودات الحسيه نجوم نور ورسوم طهور وأعيان شكور وأذهان سرور بل نفوس في شموس خالدات ومصابيح تناسخت بعد ما انحلت من قيود المشهودات فحلت أعالي النيرات تحييها التسبيحات لمبدع الكائنات.

فلله أنت فلقد هذبت بما سطرت وما حبرت شباناً وكهولا .
ولله ما أجدت فلقد أطلعت بما أودعت وما أبدعت غرراً وحجولا.
بل أصولا وفصولا تسحر عقولا

﴿ وقال حضرة العالم الفاضل والشاعر المجيد ﴾

هذا كتابك في البلاغة آيه — يزهو بحسن «بداءة» ونهاية
حليت بالدر النظيم سطوره — وبذلت في المعنى جزيل عنايه
وصقلت يا «صقال» بردة لفظه — ونشرت للتهذيب اسنى رايه
ما فيه من نظم ونثر قد حكيــــت به جريراً والبديع روايه
وكشفت عما ضم صدرك من نهى — وكمال آداب ووفر درايه
فأتى وفيه لكل طالب حكمة — عن كل سفر غنية وكفايه
فاذا تبدى بالطباعة بارزاً — أمنت به القراء شر غوايه
وقضى التحاسد بين ألحاظ الملا — وسماعهم عنه لطيف حكايه
فأتاك كل بالثناء مؤرخاً — وبقوله أدركت منه الغايه

سنة ١٩٠٦

فهرس الكتاب

صحيفة